

al-Shahrastani
al-Hay'ah wa-al-Islam

[illegible]

Princeton University Library



32101 074328400



A 22~
360/924

al-HUSAINI, HIBAT ad-DIN. al-Hai'a wal-
Islām. 1381

al-Shahrastānī, Hibat al-Dīn

الحياة والإسلام

al-Hay'ah wa-al-Islām

تأليف

سماعة الإمام الحجة
السيد هبة الدين الحسيني الشيرازي

تقديم وإشراف

السيد محمد الحسيني

ملاحظات

مكتبة الثقافة الدينية

دار الشريعة

RECAP

مَطْبَعَةُ الْأَدَبِ

النجف الاشرف : تلفون - ٨٩٨

١٣٨١ هـ ١٩٦١ م

تقديم

بقلم

السيد احمد الحسيني

يرجع عهدى بهذا الكتاب القيم إلى سنين قديمة ، اذ كنت احضر حينذاك حلقة درس في الأدب في احد المساجد بالنجف الأشرف وأرى في زاوية ذلك المسجد أوراقا مبعثرة كثيرة مطبوعة ومخطوطة . وفي ذات يوم لم يأت الاستاذ ساعة الدرس وبعد الانتظار واليأس حداني حب الاستطلاع الى النظر في تلك الأوراق فرحت افتش فيها واقلبها بترو ودقة حتى عثرت على اوراق مطبوعة من كتاب فارسي يبحث في الهيئة الحديثة ويوفق بينها وبين ماورد من هذا العلم في الآيات القرآنية واحاديث النبي الكريم واهل بيته المعصومين - عليهم الصلاة والسلام .

استلفتت نظري هذه الأوراق وصرت لا اتمكن من اهمالها كما اهملت كثيرا من الاوراق التي اطلعت عليها هناك ، بل استغرقت في القراءة ولم ألتفت الى المواعيد المسبوقة بيني وبين آخرين للبحث والدرس والتدريس ولم ينبهني شيء الا اذان الظهر واقامة الجماعة في ذلك المسجد ، فاستصحبت معي تلك الأوراق الى البيت ولم اقم بعمل في ذلك اليوم حتى استوعبت قراءتها عن آخرها ، وعند ذلك صرت افتش عن اسم الكتاب ومؤلفه ونسخة كاملة منه فساقتي القدر الى صديق عزيز قال لي : أن هذا الكتاب هو ترجمة كتاب (الهيئة والاسلام) ومؤلف الأصل العربي سماحة الحجة العلامة الأكبر السيد هبة الدين الحسيني الشيرازي ، ويوجد لدى نسخة من

2274

.871

.342

2271

.40076

342

الاصل العربى يمكننى اعارتها اياك لمدة اسبوع واحد فقط .

هكذا تعرفت بهذا الكتاب وكنت أترقب الفرص للتعرف بمؤلفه حتى ساعدنى التوفيق على المشول بين يديه واثم أنامله الكريمة فى مكتبته العامة العامة (مكتبة الجوادين) فى الكاظمية ، فوجدت سماحته أعظم بكثير مما كنت قد سمعته من معارفه وما قرأت عنه فى الكتب والمجلات والجرائد ، رأيت بهجراً زائراً يفيض علماً وثقافة ومعرفة . لمست منه شخصية علمية كبيرة عارفة بحاجيات العصر وما يتطلبه الزمان من رجال العلم والدين ، وكيف لا وهو ربيب مهد العلوم الدينية (جامعة النجف الأشرف) تلك المدينة المقدسة التى رفعت منار العلم منذ ألف سنة وضمت بين جوانحها باب مدينة علم الرسول الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) .

سررت كثيراً بهذا التعارف المبارك وجعلت أزوره يومياً وأتروى من منهل العذب كلما سنحت لى الفرصة أيام إقامتى فى الكاظمية المشرفة ولم أقطع رسائله عنه أيام بقائى فى النجف الأشرف ، كما أن السيد شملنى بأطافه ولم يتوان عن الإجابة على رسائل التى أرسلتها إليه بين حين وحين ، وأحتفظ الى الآن - بكل فخر واعتزاز - ما كتبته إلى من الكتب والرسائل .

وفى إحدى مقابلاتى طلبت من سماحته أن يأذن لى فى طبع بعض كتبه وذكرت فى جملة تلك الكتب (الهيئة والاسلام) وقلت له : انى قد شغفت كثيراً بهذا الكتاب وأود أن يعاد طبعه حتى يفتح لشبابنا باب جديد من العلم ويتهيا لهم جو ثقافى اسلامى لى يفهموا الاسلام كما هو عليه لا كما عرفه المهرجون وأعداء الدين .

فأجابنى : ان هذا الكتاب قد طبع قبل نصف قرن وأنا تتبعته بعد

طبعه الكشفيات المستحدثة وما استجد في الهيئة وكتبتها على هوامش نسخة مطبوعة بصورة غير منظمة حتى أحفظ ما يتجدد في مجموعة أستعين بها عندما يوفقني الله تعالى لاعادة طبع الكتاب ، ولكن هذا عمل شاق لم أوفق للقيام بعينه حتى الآن لكثرة أشغالي وانحراف صحتي وشيخوختي ، واني لا أعلم انه هل يقوم شخص بهذا العمل الذي يحتاج الى ماثارة طويلة وتضحية وقت كثير حتى أعطيك نسخة معدة للطبع أم لا ؟

فقلت : اني مستعد لانجاز هذه المهمة اذا كنت عند ثقتكم .

* * *

كان لهذا الكلام وقع حسن في نفس سماحته فأمر خادمه أن يحضر الكتاب ، فلما رأيت النسخة في يدي كبدت أظير من الفرح ، إذ رأيت أمنية من أمانتي تتحقق بعد طول الانتظار ، قلبت النسخة وجعلت أتصفحها فاذا الهوامش مملوءة بالكتابة وربما الهوامش لم يسع الموضوع المطلوب بحثه فزيد بين الكتاب ورقة بيضاء أو أوراق متعددة للكتابة فيها .

في هذا الوقت شعرت ان المسؤولية التي ألقيت على عاتق عظمة جداً والقيام بها يحتاج الى عمل جدى متواصل ، لأن الكتاب قد شوه تماماً وأصبح شيئاً آخر في الوضع والترتيب ، بالاضافة الى أن الطبعة الأولى ليست بصورة تناسب والطباعة الحديثة ، ولكنني استصغرت كل هذه المتاعب والصعوبات فشرعت في العمل فيه .

* * *

قسمنا ما كان مكتوباً على الهوامش الى ثلاثة أقسام :

١ - أشياء تنسجم مع موضوع الكتاب تماماً فأدرجناها في الكتاب نفسه .

٢ - أشياء تناسب موضوع الكتاب ولكنها ليست من صلب الموضوع فجعلناها في الهامش .

٣ - ما لم يناسب الموضوع أصلاً بل هي مذكرات متفرقة كتبها المؤلف في حينه فرأينا حذفها أنسب فحذفناها .

ولم ننس الاستفادة من الترجمة الفارسية للكتاب حيث كان المترجم والناشر قد استدركا بعض الكشفيات والآراء الحديثة على الكتاب فترجمناها الى العربية ووضعناها في الهامش ، ورمزنا لها بحرف (ف) .

وحاولنا جهدنا أن يكون التنسيق عليها فكابدنا المتاعب والمشاق لتحقيق هذا الغرض واضطررنا الى كتابة الكتاب من أوله الى آخره باليد ومراجعته مراراً وتكراراً حتى لا يذهب عنا شيء من الكتاب أو مما كتبته سماحة المؤلف فيما بعد ، ونحن نعلم أن هناك أغلاطاً وهفوات وقعت من دون اختيارنا نرجو من الناظر المحترم الغض عنها فإن الانسان لا يخلو من الغلط والاشتباه ، وسبحان من لا ينسى .

* * *

وبعد :

فائق إذ أقدم هذا المجهود المتواضع الى أرباب العلم وعشاق الفضيلة أنتهز الفرصة فأقدم شكرى المتواصل الى سماحة المؤلف - أطال الله أيام حياته - إذ جعلنى موضع ثقته وهياً لى العمل على أحسن وجه حينما قدم لى نسخته الثمينة الفريدة وزودنى بمعلومات قيمة ذلت أسمى المصاعب ، كما أتى أقدم ثنائى العاطر الى الأخ النبيل محمد الكتبى صاحب (مكتبة الثقافة الدينية) حيث ساعدنى على إكمال هذا المشروع العلمى الجليل وطبعه بهذه الحلة القشبية .

مقدمة المؤلف للطبعة الجديدة

لقد وفقت - والشكر لله - قبل خمسين عاماً لتأليف كتابي الموسوم بـ (الهيئة والاسلام) في استنباط مسائل الهيئة الحاضرة وكشفيات الغربيين الفاخرة من ظواهر آي الذكر الحكيم وأحاديث رسوله الكريم وعثرته الطاهرة - عليهم أفضل الصلاة والتسليم - ذلك الكتاب القيم الذي كان الأول من نوعه ، وتحملت الجهود الجبارة في تأليف منقولاته من مختلف المصادر وتصنيف مسائله الفنية من كتب الأوائل والأواخر ، فما انتشر إلا واشتهر تلك الشهرة الواسعة وتواردت علينا تقارير كثيرة من القريب والغريب ، ونهض ترجمته إلى اللغات المختلفة لفيف من أهل العلم والفضل حتى ترجمه إلى اللغة الهندية ثلثة من الفضلاء وترجمه إلى الفارسية جماعة من العلماء والأدباء وذاع صيت أولئك المترجمين في الآفاق كما ذاع صيت الأصل العربي وحسنت شهرته في المجتمع الاسلامي وقرظه أصحاب مجلة المقتطف المصرية بقولهم : « إن هذا الكتاب لو يترجم إلى لغة غربية يوقع دويماً في الأندية العالمية ... »

أجل ، أثار هذا الكتاب في كل وسط وبلد شعوراً حسناً نحو دين الاسلام ومذهب أهل البيت النبوي (ع) كما أثار شوقاً عظيماً في النفوس نحو اقتباس العلوم الحديثة وكشفياتها الجديدة وروحاً قوية للتمدن الشرقي ، كما جدد شعوراً طيباً نحو التمسك بالدين والتوفيق بينه وبين افكار المتجددين حتى قال لي رئيس الشيعة وشيخ الشريعة سماحة المغفور له المولى فتح الله

الاصفهانى : « إن هذا الكتاب صار همزة وصل بين القديم والجديد . . . » .
فنال هذا السفر النفيس - والله الحمد - حسن اقبال من العامة عامة ومن
الخاصة خاصة .

وفى خلال هذه المدة وردتنى اقتراحات عدة فى تلخيص هذا الكتاب
واختصاره ، كما وردتنى اقتراحات فى توسيع نطاقه وتفصيل اجاثه وتأيسد
مكتشفاته ، فضاق صدرى وابتهلت إلى ربى فى توفيق الاسباب والوسائل
لإعادة طبعه وتقديمه إلى المتشوقين إلى العلم معتقداً بأن لله سبحانه عناية عامة
ورعاية تامة لدينه القويم وتقويته فى كل عصر بوسال القوة المناسبة له ، فلا
بد وأن يهىء لذلك نفوساً صالحة للنشر اريجه ومؤيدات تعززه وترويجه كما
ولا شك انه سيقبض رجالا لمساعدتى فى تعظيم شعائر الدين ومعاضدة كل من
ينوى خيراً وخدمة للمسلمين .

بينما احدث نفسى وامنيها واسليها اذ طلب منى الشاب النابه فضيلة
الاستاذ الأديب السيد احمد الحسينى اجازة تجديد طبع الكتاب ، فوجدت
صاالى المشودة فيه فشكرته و « من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق » .
وانى اذ لبيت طلبه واجزت له إعادة طبعه انتهن الفرصة لادخال
اضافات قيمة وكشفيات جديدة وتصاوير فنية مفيدة ، فوق ما هنالك من
تصحيح وتنقيح وتسكلة وتوضيح ، مؤملا من وجه الله الكريم أن يتقبلها
منى ومنه بقبول حسن انه سميع الدعاء .

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى أظهر بكتاب الاسلام أسرار العوالم وهيئة الاجرام ،
ووفقنا لتفصيل المجمل مما تبين من ظواهر الكتاب والسنة ومظاهر علوم
الوحي والإلهام ، والصلاة والسلام على المبعوث بأعظم المعجزات محمد وآله
الهداة ما دامت الأرضون والسموات .

اما بعد :

فيقول خدام العلم والدين هبة الدين محمد على بن حسين الحسيني الشهير
بالشهرستاني أحسن الله حاله ومآله وبلغه آماله : إن الدواعي التي دعتنى الى
تأليف كتابي (الهيئة والاسلام) هي أغراض أربعة ألخصها فيما يلي :

١ - صيانة عقائد المشتغلين بالفنون الفلسفية لاسيما الهيئة العصرية ،
سواء الأساتذة والتلامذة في المدارس والمستمعون للمحاضرات والخطابات
وقراء الصحف والمجلات والمتطلعون على المكتشفات الغربية . ففي الناس
أناس غرهم الشبهات والنظريات ، فزعموا سلوك أولياء الشريعة مسلك
الحكماء في مباحث الفلك والطبيعة وفيهم من ظن أن الهيئة القديمة هي الموافقة
لشريعة الاسلامية القويمة ، فتراهم اذا اعتقدوا بطلان تلك الفلسفة الغابرة
ضعف إيمانهم بنواميس الشريعة الطاهرة . فقصدت من تصنيف هذا الكتاب
إيضاح كون الاسلام بمعزل عن طرق الفلاسفة بل تهدم مقالاته معظم المباني
من الهيئة السالفة وتحالف مذاهب الأوائل أشد المخالفة .

فعلى هذا ينبغي أن يكون تصديق الناس للعلوم سبب قوة إيمانهم بالمعارف الإسلامية ومزيد يقينهم بصدق البقية من مقالات النبي الأمين والأئمة من آله الميامين - صلى الله عليهم أجمعين .

٢ - إتمام الحجة على من خالفنا في المذهب والدين ، وأنكر على المسلمين تصديقهم بما جاء به محمد خاتم المرسلين ﷺ - ذلك الرجل المتخرج من بادية العرب أمياً بين أميين لا يعرفون الكتب والكتابة ولا درسوا على علماء الشرق والغرب - فان ما شرحته في هذا الكتاب من كلمات وكلمات صحابته وقرابته وحفاظ شرعه أخبار غيبية وأنباء سرية وخفية ، لا تستند الى أدوات فنية دقيقة ولا على الآلات المستحدثة الرقيقة .

إذن ، فهي موحات من عوالم الغيب بلا زيب ، فالذى يخبر بصورة جدية عن حقائق خفية لا يقتضى وجودها عقل ولا يدركها حس هو ولى الله المحيط بأسرار هذه العوالم . فدراسة أبحاث هذا الكتاب خير وسيلة لإخفاء المخالفين كما هو خير وسيلة لتنوير أفهام المنصفين وخير طريقة لتصديق أمناء الاسلام من أقصر الطرق وأقصد السبل .

ألا ترى أن الامام المرشد المخبر بوجود أقمار وشموس وراء المحسوس قبل وجود النظامات ووسائل الاكتشافات بألف سنة يدعن له القلب السليم والعقل المستقيم وبأنه هو الولي الربانى والمربى الروحانى المتصل بالعالم النورانى إذ لا يشك أحد فى أن الاصول العلمية الحديثة والمكتشفات الجديدة أمور لا يرشد اليها دليل عقلى قبل إحساسها ولا تحس إلا بواسطة الآلات الدقيقة والأدوات المستحدثة ، ومعلوم أيضاً حدوث اختراع هذه الوسائط والأدوات بأسرها وتأخر زمان ظهورها بعد الألف الهجرى نعرف مخترعيها وتواريخ صنعها واختراعها ولم يكن منها فى صدر الاسلام أثر ولا خبر ،

بل كانت في أيدي العرب بعض التجارب والخرافات عن السماوات والفلكيات والنجوم والطب (غير ما جاء الاسلام به كتابا وسنة) حتى ترجمت الى العربية بعد المائة الاولى كتب الفرس والهند وعلوم اليونان والاغريق .

فما شرحته في هذا الكتاب خير برهان وآية لصحة الاسلام واتصال علومه بالوحى والالهام ، ولا يجدن المنصف المتحرى مثله في سائر الشرائع والمذاهب ، وان كشف الدين عن الخفايا والمغيبات آية صدقه عند الجميع في كل ملة ونحلة .

٣ - تنزيه ساحة النبي الأسمى ﷺ ودفع ما يتوهمه بعض الزنادقة والمشككين الزاعمين فيه ﷺ انه كان ترجمانا لآراء غيره من فلاسفة البشر وقراء كتب السلف . ولسانا معربا عن أفكارهم ومن المعلوم أن الميزة بين الانبياء العظام وبين الفلاسفة هي من أهم أبحاث الأديان ولا أظن كيفلا لفصل هذه المعضلة أصح وأوضح من علم الغيب وبيان الشريعة لأسرار الاجتماع وخفايا الطبيعة ، فقصدت بهذا التأليف إثبات أن النبي ﷺ لم يوافق فلاسفة عصره ومن قبلهم حتى يظن فيه الاكتساب منهم والانتساب اليهم ، بل عارضهم في كثير وناقضهم في أكثر . بل أظهر - وهو أمي - رموزاً من عوالم الاجتماع وأسرار الطبيعة والفلك وكائنات الكائنات هي بالضد مما كان عليه حكماء عهده والأقدمون .

نعم ، كشف ﷺ - وهو ابن الصحراء - للمتمدنين من خفايا الأرض والسماء ما مصره اليوم في الغرب والشرق في المجالس والمدارس والمراسد والمختبرات بالعقول والأقلام والألسن . حتى ظن البعض في مكتشفات الافرنج أنها مقتبسة من مصابيح ظواهر القرآن والحديث .

وان مؤلفات استاذ الحكماء جابر بن حيان السكوني الصوفي المتوفى سنة

١٦١ هـ - التي طبعت في بازل وسائر مدن الافرنج في عصر (كوبر نيكوس) الالماني وغيره - هي التي أوجدت نهضتهم العلمية ونهبت أساتذة الهيئة والطب الى أصرلها الحديثة .

اللهم اننا خسرنا افتخار هاتيك الكشفيات من قبل ، أى حينما كثر المتفلسفون في صدر الاسلام وأخذوا بتأويل الآيات والروايات وتحريف ظواهرها نحو نظرياتهم ، حيث استغربوا حقائقها من قصور في معارفهم ، إذ كانت أدواتهم العلمية ناقصة يومئذ كأدواتهم الحربية فستروا بأغشية تأويلاتهم محاسن الحقيقة ، والتبس الأمر على القاصرين فزعموا أن ظواهر الشريعة ترجمة للآراء الفلسفية - وهذا الظن إثم - فكم لرعيم شرعنا ﷺ معنى لم يحسم حوله فهم مدرك قبله ! .

٤ - هدفنا الأخير أن نجعل كتابنا هذا مفسراً جديداً لمأثورات الدين وممدد طريقة جديدة لمسلك إصلاحى يحل مشكلات الكتاب والسنة ويتكفل تفسير الآيات المشككة وتوضيح الروايات المعضلة - تلك اللواتى حسبن الجمهور من المتشابهات ، اذ وجدوا ظواهرها لا تنقاد لعلومهم فتخاضوا في تقاسيرها وتكلفوا في تناسبها بتأويلات رديئة ومعان خفية ، وصيروا ظواهر الحديث والقرآن أساساً لاختلاف الرأى وباباً لتثبيت الكلمة ومفتاحاً لتفريق الأمة وعقبة تمنع سير الأفكار في مضمار الارتقاء وقصب السبق . كل ذلك من أجل أنهم لم يشموا نفحة من العلوم والمكتشفات العصرية ولم يتفطنوا بعرضها على المأثورات الاسلامية .

ولقد جاء - والحمد لله - كتابى هذا شارحاً لأكثر هاتيك المشكلات والمتشابهات ، رافعاً عن محيا أسرارها أستارها كالجمهور المتين فى ايضاح جوهر الدين ، وسيلوح لك أفقه المبين واضحاً فى طيات الكتاب .

وانى أظن ان منشأ الاختلافات الحادثة فى صدر الاسلام - التى أوجبت
انشعاب الدين القويم الى هذه المذاهب الوافرة والمشارب المتنافرة - انما هى
أمر أقواها انتشار آراء الفلاسفة الماضين بين المسلمين ، وثقتهم بفلسفتهم
من غير اجتهاد واعمال للفكر فى الأقوال الصادرة عن الفلاسفة ، ثم وجدوا
أصول الاسلام وظواهره مخالفة لما أيقنوا بصحته من الآراء الفلسفية فتفرقوا
من ذلك أياذى سببا ، فأنكر بعضهم أصول الشريعة الاسلامية جهرا وأخذ
الآخر يؤل ظواهرها كيف ما تجود عليه فكره ورأيه ، وأنكر بعضهم انكار
الشريعة خفية - كذئب بزى شاة - يحدث فى الدين أنواع المفاسد والبدع .
ولعمري ان الفلسفة المستحدثة والمبادئ العصرية ستفعل بالناس
ما فعلته القديمة لنقص فيهم وفيها ، الا اذا تصدى المحققون اصلاح فاسدها
ونهمضوا لدفع مفاسدها ، وبذلوا الجهد البليغ فى ترويح العقائد الحققة وتنقيحها
عن الأباطيل والزوائد .

وما ذكرته من التأثير انما هو فى النفوس النافسة والعقول القاصرة
والقلوب المنزلة ، وأما المعتصم بحبل الله ورسوله والمستمسك بظاهر السنة
والفرقان الذى لا يأتية الباطل - لاسيما الذى أكمل تحريره فى العلوم -
فهو فى عز الأمان ، لا تزیده الفلسفة الحديثة الا بصيرة فى الدين
وتفكر آ فيما جاء به نبي الاسلام وما قاله ذريته - عليهم السلام - .
وأسأل الله تعالى أن يجعل الانتفاع بهذا الكتاب عاما وأن يغفر لى
يوم الدين « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » .
ولا بد قبل الشروع فى أصل الموضوع من تقديم مقدمات وهى :

« المقدمة الاولى »

(طريق الاطمئنان الى الأقوال المنقولة ومصادر الكتاب)

حدثني بعض الأبرار قال : ان شخصاً سمع حديثاً ناطقاً ببعض الخفايا المكتشفة في هذه العصور فاستغرب وقال : لو كنت على يقين من صدور هذا المقال عن نبي الاسلام أو أحد أوصيائه لآمنت بشريعه وصدقته .
أقول : لا ريب في ان الاطلاع على قول أى شخص كان انما يحصل بطريق أتقنها سماعه عن لسان قائله ، وهذا مختص بمن أدرك حضرته دون من تأخر عنه زمانه أو تقاصى عنه مكانه .
الطريق الثانى — أن ترى خط المتكلم المعلوم نسبته اليه بالتواتر أو بقرائن قطعية .

الطريق الثالث — أن ينقل اليك قوله بنحو التواتر ، وهو إخبار جمع لا يجوز تواطؤهم أو تقاؤلهم على الكذب .
الطريق الرابع — أن ينقل قوله اليك من تثق بصدق سماعه من قائله ، ولا فرق في المنقول بواسطة بين قلة الوسائط وكثرتها . نعم يجب أن يكون كل واحد منهم ثقة في الصدق والأمانة .

وهذه الطرق الأربعة تورث الاطمئنان والإعتقاد بصدور ذلك القول عن قائله ، وعليها تدور رحى الأعمال والمحاكمات والمعاملات عند العرف والعقلاء من غير تكبر ، وليس الاعتماد عليها أمراً مختصاً بالمسلمين . وقد يجمع أقوال شخص أو أشخاص في كتاب ونحوه ليخلد ذكرهم أو علومهم في الدهر ، مثل كتب الحكماء والكتب المقدسة ونحوها لتحدث في المقام نسبتهان :

(الاولى) - نسبة مؤلف الكتاب تلك الاقوال الى اصحابها باحدى الطرق الاربعة المذكورة ، فان ثبتت بأحدها كان الكتاب معتبراً من هذه الجهة فارغا من هذه الحيثية .

(الثانية) - اسناده هذا الكتاب الى ذلك المؤلف ، ويثبت ذلك بأحد الوجوه الخمسة المعمولة بين المؤرخين والعقلاء من كل صنف وملة ، ولا يسلك المسلمون في هذه الامور العامة وغيرها غير مسالك العقلاء ، بل نجد محافظتهم على أمثال ذلك أشد .

فاسأل أصحاب الاديان والملل المتمدنة والمؤرخين قاطبة فان كان لهم في معرفة أقوال العلماء والحكماء وأحوالهم غير الطرق المعمولة بين المسلمين مما ذكره أو سأذكره فاني ضامن لإتيان مثله أو الاكمل منه لنقل أقوال علمائنا وكلمات أولياء شرعنا ، فلو لم تثق مع هذا بما نقوله ونقله فيلزمك أن لا تثق بكتب العلماء والتواريخ الغابرة بالطرق الاولى إلا أن يملكك التعصب - والعياذ بالله .

تفبيہ

ان المقالات التي نعتد عليها في الشريعة الإسلامية المنقولة في هذا الكتاب إنما هي على أربعة أصناف :

(١) - كلمات الله سبحانه المنقولة الى نبينا محمد ﷺ بطريق الوحي ، وهي مجموعة في الكتاب المقدس المعروف بالقرآن ، وهو مقدس عند المسلمين بأشد من تقدس التوراة عند اليهود والانجيل عند النصارى ، وتواتره عن النبي محمد ﷺ أظهر من الشمس في وسط السماء .

(٢) - مقالات النبي محمد ﷺ وكثير منها مضبوط في كتب الحفاظ والعلماء . وقد وصلت تلك اليهم بأحد الطرق الاربعه الماضية فدونها في كتبهم ووصلت الينا بأحد الوجوه التي سنذكرها .

(٣) - مقالات خلفاء النبي محمد ﷺ والأوصياء الأئمة من اهل بيته الذين نص على خلافتهم وتقديسهم نبينا محمد ﷺ ، وهم عندنا معشر المسلمين الاماميين اثني عشر اماماً ، وهم :

١ - اخي النبي وابن عمه امير المؤمنين علي بن ابي طالب .

٢ - الحسن بن علي المجتبى .

٣ - الحسين بن علي الشهيد .

٤ - علي بن الحسين السجاد .

٥ - محمد بن علي الباقر .

٦ - جعفر بن محمد الصادق .

٧ - موسى بن جعفر السكاظم .

٨ - علي بن موسى الرضا .

٩ - محمد بن علي الجواد .

١٠ - علي بن محمد الهادي .

١١ - الحسن بن علي العسكري .

١٢ - محمد بن الحسن المهدي القائم (١) .

(٤) - مقومات الصحابة الفاضلين بصحبة النبي محمد ﷺ المقربين من

حضرة وحضرة اوصيائه اصول العلوم والمباني واسرار حقائق الاعيان

(١) لم ينقل في المسائل الهيوية عن كل الأئمة بل المنقول فيها عن

الامام علي عليه السلام الى الرضا ، واما بقية الأئمة فلم ينقل عنهم شيء يخص الهيئة .

والمعاني كابن عباس وسلمان الفارسي وابو ذر الغفاري ومقداد بن الأسود الكندي وجابر الجعفي وغيرهم ، اذ مقالات هؤلاء في امثال هذه المغنيات تشعر بكونها مأخوذة من معدن الوحي ومهبط جبرائيل الامين .

وهذه الاصناف الاربع من المقالات المتبوعة مضبوط اكثرها في كتب حفاظ المسلمين بالطرق المعمولة بين العقلاء ، وكتبهم ايضا معتمدة بينهم ثابت نسبتها بأحد وجوه خمسة :

(الوجه الأول) - التواتر ، اعني به إخبار الجمهور من اهل عصر طبقة بأنهم سمعوا نسبة الكتاب الفلاني الى صاحبه المعلوم من جمهور طبقة ثانية سابقة عليها ، والطبقة الثانية سمعت تلك النسبة بعينها من جمهور طبقة ثالثة سابقة وهكذا يسمع جمهور كل طبقة عن جمهور مثلهم من طبقة سابقة حتى يتصلوا بعصر صاحب الكتاب . وهؤلاء الجمهور في كل عصر قد يكونون من طائفة العلماء والحفاظ خاصة وقد يكونون من سائر طوائف الناس ، كتواتر الصحاح الست الحديثية الى اصحابها وتواتر صحاحنا الاربعة الحديثية الى اصحابها ، وهي السكافي والاستبصار والتهذيب ومن لا يحظره الفقيه .

(الوجه الثاني) - تصريحات المؤرخين والمترجمين لأحوال المؤلفين من عصر ذلك المؤلف وبعده بأن الكتاب الفلاني انما هو لفلان بن فلان . وجميع العلماء والعقلاء والمصنفين من كل امة يطمئنون بهذا الوجه في نسبة الكتاب الى صاحبه .

(الوجه الثالث) - سلسلة الرواية ، وهي ان تأخذ نسبة الكتاب الى صاحبه عن ثقة ضابط اخذها عن مثله حتى تنتهي سلسلة هذه الرواية والأخذ الى صاحب الكتاب ، سواء كانت هذه الرواية في الخطاب او في الكتاب .

(الوجه الرابع) - طبع الكتاب في حياة مؤلفه او في مطبعة رسمية

يطمئن الانسان بصحة نسبته الى مؤلفه من جهة استبعاد كذب هذا النحو من الطبع .

(الوجه الخامس) - شهادة القرائن المعتمدة عند العقلاء المقوية لصحة نسبة الكتاب الى صاحبه ، كمنقل عبارات ذلك الكتاب في الكتب المعتمدة عند الرد على مؤلفه او جرحه او مدحه او قدحه او غير ذلك ، ومثل ان تجد الكتاب بخط مؤلفه او يكون خطه عليه او تكون النسخة عتيقة عليها آثار اعتبار المعلوم او الشهرة او نحوها .

* * *

إن الطرق المتداولة بين الناس موجودة بأجمعها بين المسلمين لمعرفة آثار اسلافهم واخبارهم ، بل هي لديهم اكمل ، بل ندعى امتياز المسلمين عن غيرهم بحفظ كثير من هذه الطرق مع فواتها عن غيرهم ، فان العلم والدراسة والتحفظ على الآثار والاخبار كانت معهودة متداولة بين المسلمين من صدر الاسلام الى هذه الأيام ، وأما سائر الملل فقد اعترأها من عظامم الغير والتفرق والتمزق ما تفصح عنه صحائف التواريخ والصحف ، حتى اشتهر ان اليهود ونحوهم لاتصح دعوى التواتر منهم لوقوع القتل والفن الممزقة بينهم بحيث خلى بعض اعصارهم عن يقوم به التواتر ، وغلب الجهل على الافرنج وغيرهم عصوراً طوالاً حتى اشرقت عليهم انوار العلوم من افق المسلمين .

الافرنج هم انفسهم يعترفون بذلك ، فقد قال المستر « وزويرس سميث » الانكليزي ما معناه : بينما كانت اروبا غارقة في ظلمات الجهل والعرب مدة خمسة قرون ينثرون العالم والانسانية بمصاييح العلوم ، فهم الذين اعادوا شباب الآداب وعلوم الكلام بعد هزمها وترجموا أقوال اليونان ورققوا علم الزراعة والفلك وأوجدوا على الجبر والمقابلة والكيمياء وزينوا مدائنهم

بالمكاتب والمدارس كما ملؤها بالمساجد وعلّموا أوروبا مذاهب الفلسفة من قرطبة - يعني فلسفة ابن رشد ...

اقول : وهذه العلوم قد انتشرت بين المسلمين بعد اسلام الفرس ولكنهم كانوا يؤلفون الكتب باللغة العربية لانضباطها واتساعها فنسب الافرنج هذه العلوم الى العرب . وقيل : نسب الافرنج هذه العلوم الى العرب لان علماء الأندلس هم الذين نشروها في اوروبا .

وقال المؤرخ « دروى » (١) : بينما اهل اوروبا تائهون في دجى الجهالة لا يرون الضوء الا من سم الخياط اذ سطع نور قوى من جانب الملة الاسلامية من علوم أدب وفلسفة وصناعات واعمال يد ، حيث كانت بلادهم مراكز عظيمة لدائرة المعارف ، ومنها انتشرت في الأمم واغتنت منها اوروبا في القرون المتوسطة مكتشفات وصناعات وفنوناً عظيمة .

وجاء في هامش مشهد الكائنات : ان مكتبة القاهرة سنة ٣٢٥ هـ تضمنت من كتب العرب في فن النجوم ستة آلاف وخمسمائة كتاب .

اقول : لاريب ان اهتمام المسلمين من بدء البعثة الى تلك السنين انما كان في طلب العلوم الدينية ونشرها دون العلوم الرياضية ، لا سيما النجوم المعروف عندهم بجلب الفقر والهموم ، فاذا كان لهم في مكتبة واحدة من بلد واحد ستة آلاف كتاب في خصوص علم النجوم فما ظناك بكتبهم الدينية في مكاتب البلاد ومدارسها الحاوية لمقالات نبينهم والأئمة من بعده التي اضحى الجمهور عاكفين عليها يتقربون الى الخلق والخالق بحفظها ونشرها ، فطرق الاطلاع على اقرال نبى الاسلام واوليائه - عليهم السلام - اوضح واصح (١) كذا جاء في بعض اعداد مجلة العرفان لسنة الاولى ، والذي اظنه

انه المؤرخ « دوزى » الهولندى الذى له (تاريخ الفرق الاسلامية) .

من الجميع عند الانصاف .

* * *

وقد وجب علينا الآن ان نسمى الكتب التي وجدت فيها آراء القدماء والمتأخرين ، والتي وجدت فيها مقالات النبي محمد (ص) ومقالات السنة وحيه وحفاظ شرعه - عليهم السلام .
أما الكتب المنقولة عنها في هذا الكتاب مقالات النبي وحفاظ شرعه فالعمدة من بينها تنقسم الى ثلاث طوائف .

(الأولى) - ما ثبت عندنا نسبته الى صاحبه بجميع الأوجه الخمسة المتقدمة ، أو صار تواتر اسنادها في الوضوح والاشتهار كالشمس في وسط النهار وهي سبعة كتب :

١ - كتاب (الكافي) بجميع مجلداته ، للحافظ الجليل ثقة الإسلام (محمد ابن يعقوب الكليني) المتوفى ببغداد سنة ٣٢٩ عام تناثر النجوم . وكتابه أصبح معتبراتنا الحديثية وعليه مدار أحكام المسلمين الامامين من عصر تأليفه الى الآن ، ونسخه العتيقة الصحيحة كثيرة جداً .

٢ - كتاب (نهج البلاغة) في المختار من كلمات الامام أمير المؤمنين علي (ع) ومؤلف هذا الكتاب هو الحافظ الفاضل الامامي (محمد الشريف الرضي) المتوفى سنة ٤٠٦ هـ ، وشروح هذا الكتاب متواترة أيضاً كشرح الفاضل ابن ميثم البحراني المتوفى سنة ٦٩٧ ، وشرح الحافظ عبد الحميد بن أبي الحديد المتوفى سنة ٦٥٥ . وعندى نسخة من نهج البلاغة قديمة الخط تاريخ قراءتها على

- السيد العلامة يوسف الاصبهاني سنة ٧٦٠ هـ (١) .
- ٣ - كتاب (مجمع البيان) في تفسير القرآن . للحافظ الامامى أمين الاسلام (فضل بن الحسن بن فضل الطبرسي) المتوفى سنة ٥٤٨ هـ . وفي مكتبة شيخنا النورى نسخة منه كتبها عبد العزيز الترمذى سنة ٧٢٥ .
- ٤ - كتاب (تفسير القمى) للحافظ (على بن ابراهيم القمى) من علمائنا فى القرن الرابع . وقد ادعى تواتر نسبته الى مؤلفه جملة من العلماء وشهرته لاتنكر ، ولقد وجدت نسخة منه كتبت سنة ٨٦٦ .
- ٥ - كتاب (بحار الأنوار) للعلامة الحافظ ميرزا محمد باقر المجلسى من أعظم علماء الامامية توفى سنة ١١١١ هـ . وهذا الكتاب ستة وعشرون مجلداً ضخماً يحوى مقالات شرعنا فى كل علم وباب آية أو رواية أو حكمة أو تحقيق أو تاريخ ، لم يعمل مثله فى الإسلام حتى الآن .
- ٦ - كتاب (الأنوار النعمانية) للحافظ الامامى (السيد نعمة الله الجزائرى) المتوفى سنة ١١١٢ هـ .
- ٧ - كتاب (الوافى) كتاب كبير جامع لأخبار كتبنا المعتمدة فى كل فن ، للحافظ الفاضل (محمد محسن الفيض) الكاشانى المتوفى سنة ١٠٩١ هـ . وتواتر كتابه عنه مسلم .
- (الطائفة الثانية) - ما ثبت نسبته عندنا الى صاحبه بغير التواتر من اكثر الأوجه الخمسة المتقدمة ، وهى ثمانية كتب : (كتاب التوحيد) و (علل الشرائع) و (الخصال) و (عيون أخبار الرضا) و (معانى الأخبار) و (١) وقد عثرت بعد ذلك على نسخة من كتاب نهج البلاغة كتبت سنة ٤٣٠ هـ كما ان نسخة اخرى توجد فى مكتبة الامام الرضا (ع) بطوس وهى بخط باقوت المستعصمى المتوفى سنة ٦٩٨ هـ .

(الأمالي) وجميع هذه الكتب الستة للحافظ الصدوق (محمد بن بابويه) القمي من اجلة علماء الإمامية المتوفي سنة ٣٨١ هـ . ورأيت هذه الكتب بخطوط عتيقة وهي مطبوعة مكرراً .

و (الاحتجاج) للحافظ (أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي) من علمائنا في القرن الخامس الهجري . قال تلميذه رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب المتوفي سنة ٥٨٨ في كتاب المناقب : وجدت بخط أبي طالب الطبرسي كتابه الاحتجاج .

و (الدر المشور) للحافظ (عبد الرحمن جلال الدين السيوطي) الشافعي المتوفي سنة ٩١١ هـ .

(الطائفة الثالثة) - مائت اسناده الى صاحبه ببعض الأوجه الخمسة المتقدمة وذلك ستة :

١ - (تفسير العياشي) للحافظ (محمد بن مسعود) من علمائنا في القرن الرابع الهجري .

٢ - (بصائر الدرجات) للحافظ (محمد بن الحسن) القمي الصفار المتوفي سنة ٢٩٠ هـ من علمائنا الفائزين بصحبة العسكري (ع) . وجدت نسخة منه كتبت سنة ١٠٦٨ مبروبة على ١٦٣ باب .

٣ - (منتخب البصائر) للفاضل صاحب كتاب « المختصر » (الحسن ابن سليمان) من علمائنا في القرن الثامن الهجري . انتخب فيه كتاب بصائر الدرجات للحافظ الامامى سعد بن عبد الله القمي المتوفي سنة ٢٩٩ هـ .

٤ - (كتاب الاختصاص) للمحقق العلامة قطب الشيعة (محمد بن محمد ابن النعمان) المفيد المتوفي ببغداد سنة ٤١٣ هـ . وله كتب تبلغ المئات منها « الارشاد » و « المقالات » ولقد وجدت في مكتبة شيخنا المحدث ميرزا

حسين النورى المتوفى سنة ١٣٢٠ نسخة منتخبة من كتاب الاختصاص أولها:
« الحمد لله الذى لاتدرکه الشواهد . . . » انتخبها الشيخ أبو على أحمد بن الحسن
ابن أحمد بن عمران الامامى وكتبت سنة ١٠٥٥ هـ .

٥ - (كتاب النجوم) واسمه فرج المهموم للحافظ السيد (على بن
طاوس) من أجلة علمائنا المتوفى سنة ٦٦٤ هـ .

٦ - (نور الثقلين) تفسير للحافظ الشيخ (عبد على بن جمعة العروسى)
من علمائنا فى القرن الحادى عشر . وجدت منه نسخة كتبت سنة ١٠٦٥ هـ .

* * *

وأما كتب الحكماء والفلاسفة التى أنقل منها فى الاكثر ماقاله المتأخرون
والقدماء فهى :

(الشفاء) لشيخ الحكماء رئيس فلاسفة المسلمين (أبى على الحسين
ابن سينا) المتوفى سنة ٤٢٧ هـ وكتابه متواتر مشهور عند المسلمين وغيرهم .
(اصول الهيئة) ، (ارواء الظماء فى القبة الزرقاء) ، (النقش فى الحجر
فى فنون الفلسفة العصرية) للفيلسوف الفاضل (كرينليوس فاندريك) الهولندى
أصلاً الأمريكى مولداً ثم البيروتى المتوفى سنة ١٨٩٥ م .

(مشهد الكائنات فى الخالق والمخلوقات) لمدرس الخطابة (ميخائيل
مشاقفة) المسيحى المتوفى سنة ١٨٨٨ م (١) وله كتاب (أساطير الأولين) .
(هيئة فلا مريون الفر نساوى) من مشاهير فلاسفة أواخر القرن التاسع
عشر ، بترجمة الفاضل (عبد الرحيم التبريزى) الشهير بطالب اوف المتوفى

(١) قال اسكندر معلوف فى مجلته (الآثار) مستقداً : ان ميخائيل
غيريل اللبنانى الخورى هو مؤلف هذين السكتابين وليس ميخائيل مشاقفة
الدمشق . . . وهو أدرى .

سنة ١٣٢٠ هـ .

(هيئة فيلكس ورنه الفرنسية) من مشاهير القرن التاسع عشر ،
بترجمة الفاضل (نجم الدولة) الفلسكى الطهرانى المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ .

(دائرة المعارف) للإسلامة (بطرس البستاني) المسيحى المتوفى سنة
١٨٨٣ م . ويشتمل هذا الكتاب على مجلدات ضخمة معروفة .

(تاريخ علم الفلك) مجموعة محاضرات للسنيور (كرولونينو) الايطالى
الاستاذ بالجامعة المصرية وبجامعة بولم بايطاليا ، ألقاها سنة ١٩٠٩ - ١٩١٠ م
وطبعها فى روما بايطاليا سنة ١٩١١ م .

كتاب فى وصف الكون ، أى (السماء والعالم) طبع فى غوتنغن
١٨٤٩ م . ومؤلفه كتاب (آثار البلاد وأخبار العباد) فى الجغرافية والهيئة
التاريخية طبعه (وستنفلد) فى غوتنغن سنة ١٨٤٨ م .

(عجائب المخلوقات) للفاضل القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود
الأنصارى) المتوفى سنة ٦٨٢ هـ ١٢٨٣ م .

(التصريح فى شرح التشرىح) لامام الدين بن لطف الله اللاهورى ألقه
سنة ١١٠٣ هـ ١٦٩٢ م .

(حدائق النجوم) مجلدان ضخمان فى الهيئة الجديدة بالفارسية للفاضل
ديير الملك (هشيار جنك) الهندى سنة ١٢٥٣ هـ .

(الآيات البينات فى عجائب الأرضين والسموات) للفاضل (ابراهيم
أفندى) الحورانى المطبوع فى بيروت سنة ١٨٨٣ م (١) .

(١) وقد نقلنا أشياء كثيرة من غير هذه المصادر كالأنوار الناصرية ،
المقتطف ، الهلال ، تقويم المؤيد ، تقويم الحاج نجم الدولة ، مختصر الهيئة
لاليزافرث ، المباحث المصرية ، تحفة النجوم ، سياحة المعارف ، المقتبس .

فاستبان مما سلف ان الطالب لتصحيح نسبة الكتب الاسلامية وتوثيق
مقالات شرعنا الاقدس يجد لمقصده طرقاً واضحة متقنة كالطرق المتعارفة
بين سائر الامم بل أكمل منها . فلو لم تثق يا صاح بعدئذ بما نقل عن شرع
الاسلام لزمك ان لا تثق بما ينقل اليك من غيره حتى مقالات الحكماء
وتواريخ الملل .

«المقدمة الثانية»

(طريق ترجيح احد المتعارضين)

اعلم ان العاقل عبد لما ايقن به فيعمل على وفقه ان كان عملياً ويقنع باعتقاده ان كان علمياً ، ولا يتزلزل يقينه الحاصل الا بسبب اقوى يورث يقيناً مخالفاً لما حصل قبله . فلو أيقنت بموت زيد مثلاً باخبار ألوف من الثقات فهذا اليقين لا يزول عند الشك من اخبار عشرة بحياته الا ان يقرن خبر العشرة بشواهد قوية يرجحها العقل ، فالعقل تابع دائماً لأقوى الاعتقادين ومخطيء لأضعف الطريقتين ويعالج ايضاً بأخف العلاجين .

فلو سمعت رجلاً يحدثك عن موسى النبي (ع) انه جوز الجمع بين الضدين وانت عالم برسالة موسى (ع) وعصمته عن الخطأ وعالم باستحالة الجمع بين الضدين فلا شك انك تؤل الخبر أولاً الى معنى صحيح فان صعب عليك تأويله تكذب المخبر في خبره أو تعالج بالأخف مؤنة . ولا تعتمد اولاً الى تكذيب موسى (ع) ولا الى تصديق الجمع بين الضدين ، اذ اليقين في هذين الأخيرين اقوى من اليقين بصدور ذلك الخبر من موسى (ع) وأقوى من اليقين بالظاهر من ذلك الخبر ، ولا يطرح الأقوى بغير الاقوى .

فعلى هذه الطريقة العقلية لو كان في مقالات شرع الاسلام - بعد الايمان به - كلام ينافي ظاهره امرأ يقينياً لوجب علينا العمل بتلك الطريقة العقلانية ، اعنى المعالجة بأخف الأدوية وترجيح اقوى الاعتقادين ، اى نبتهد في تأويل ذلك الكلام اولاً الى معنى مناسب ولو عجزنا عن هذا العلاج كذبنا ناقل هذا الخبر ، مع ان الاسلام قد اختص اقواله بخاصية لا تضطر بعد العلم بها

الى تكذيب الناقل ، وهى انا وجدنا فى هذه العصور وقبلها مقالات فى شرع الاسلام تنافى ما علم فى الفلسيكيات والفلسفيات والسياسيات وغيرها ، ولأجل تلك المناقات رأينا علماءنا السلف أولوا ظواهر تلك المقالات الى معانى صحيحة عملا بأخف المعالجات ، ثم من بعد اطلعنا على الكشفيات الجديدة والآراء السديده علمنا ان ظواهر تلك المقالات كانت ناطقة بهذه الكشفيات وكان تأويلها من فساد معلوما تنال السالفه لا من جهة نقصان ظواهر المقالات ، وسيضحك الخلف ببعض علومنا كما نضحك بعلوم السلف الأقدمين .

فاذا اتضح لديك المقصد قلنا لك : ان العقل بعدئذ لو ظهر فى شرعنا على كلام ينافى ظاهره ما علمه فهو يجوز اولا خطأ علمه ، ويقول : لعل اتساع دوائر العلم وتكميل الادوات يظهر لنا فى المستقبل حقيقه هذا الكلام كما اظهر ألوفاً من قبيله ، فاني اتركه على سنبله واضمره لمجىء اهله فكم ترك الاول للآخر ونال الغائب ما فات الحاضر ، ثم اذا جزم العقل بحكم ولم يجوز خلافه اصلاً - مع ندرة هذا الجزم من الحكيم - فعلاج العقل عند ذلك تأويل الكلام الى معنى صحيح ، ثم لو عجز عن التأويل بعد الاجتهاد فعلاجه تكذيب ناقل الكلام عن الأولياء عليهم السلام .

«المقدمة الثالثة»

(الشواهد الداخلية على صحة النسبة)

إن اليقن بصدور الكلام عن صاحبه قد يحصل بسماعه عنه أو بثقات ناقلية - كما في الخبر المتواتر أو خبر من ترى عصمته وتقده عن الخطأ - وقد يحصل من أمور آخر : مثلاً لو أخبروك بمقالة في غاية البلاغة عن شخص متناه في البلاغة فانك تجزم بأنها منه حيث تعلم فرضاً انه ابلغ المتكلمين كما تعلم انها ابلغ المقالات ، فلو جوزت كونها من غيره فلا تنقض يقينك بأنه ابلغ - وهذا خلاف المفروض - فلا بد من تصديقك بأنها منه ، وهكذا لو أخبروك عن الولي بمقالة غيبية تنطق بما لا يقتضيه العقل ولا تدركه الحواس فانك تجزم بأنها منه حيث تعلم ان الاخبار بما لا تدركه الحواس ولا يقتضيه العقل شأن الولي فقط فانه المحيط بحقائق السكون حيطه غيبية مستمدة من المجردات الروحانية ، فلو جوزت ان تكون المقالة من غيره فقد نقضت علمك ويقينك .

ومقصودنا من هذا الكلام ان الاخبار التي نروياً في هذا الكتاب عن النبي (ص) وأوصيائه (ع) إذا تضمنت كشف المغيب قبل انكشاف بالآلات فلا يهمننا البحث عن نقلة الخبر وانهم ثقة أو ضعفاء وان الكتاب المنقول عنه معتبر عند الأصحاب أو غير معتبر ، فان هذا الباب غير سائر الأبواب ، حتى أنه لو وجد مثل هذا الخبر في أو هن كتاب عن اضعف الناقلين لكان ذلك مقبولاً لدينا - إذا تقدم تاريخ الكتاب على تاريخ المغيب المكتشف -

لأننا نعلم انه اخبار عن المغيب فرضاً ونعلم أن المغيب لا يخبر عنه الاولى الله المرتبط به .

وهاتان المقدمتان المفيدتان تلازمان الخبر نفسه كيفما كان ناقله ولا ينقضهما شيء إلا تأخر تاريخ الكتاب عن وقت كشفت فيه الأدوات برقع الخفاء عن وجه مضمون الخبر ، فراعاة هذا الأمر أهم من كل شيء .

ولذلك ترى حكماء الافرنج إذا تلى عليهم خبر يتضمن كشف مغيب يجتهدون في تحصيل نسخة عتيقة الخط تتضمن ذلك الخبر ولا ينظرون إلى ناقله قط ، ولأجل هذه النكتة تجدنى ساعياً في تكثير اسامى الكتب الشاملة للخبر مبيناً توارىخ نسخها في المقدمة الأولى لتطمئن القلوب بتقدم الخبر على زمان ظهور المغيب المخبر عنه ، فأذكر الخبر مثلاً عن كتاب الكافى وتفسير القمى والاحتجاج وجمع البيان والبحار والبصائر وغيرها ، فيخال الناظران ذلك الخبر مروي في كل من هذه الكتب بسند غير ما فى الآخر والحالة انه فى الجميع بسند واحد ، فالوجه فى ذلك ان المقصود انما هو ايجاد العلم بأن مضمون هذا الخبر صادر قبل زمان انكشافه للحكماء المتأخرين ، وهذا المقصد يحصل بذكر الكتب المتعددة الشاملة لهذا الخبر المكتوبة أو المؤلفة قبل زمان اختراع الأدوات الكاشفة عن تلك الحقائق .

ومن علم تاريخ سراية علوم الغربيين إلى اقطار الشرق فقد استغنى عما قدمناه ، فان العلوم العصرية والكشفيات الغربية لم ينتقل شيء منها إلى أبناء الشرق إلى القرن الثانى عشر الهجرى . والمنقول من المؤرخين هو ان القطر المصرى والسورى اول بقعة فى الشرق طلعت عليها شمس العلوم الغربية بواسطة (بونابرت نابليون) الفرنسى المتوفى سنة ١٨٢١ م إذ حسب تسخير الشرق نشر علومهم فيه ، ثم القطر اليابانى دبت فيه العلوم الافرنجية وهى

ذات ثروة فاضلة وصنائع كاملة وحكومة ذكية ، فاستقبلت العلم بترحاب
وانتخبت من ملتها رجالا للاغتراب ، ثم القطر الهندي ثم القطر الفارسي
سرت فيه في عصر الخاقان (فتح علي شاه) فظهرت في عصر حفيده ناصر الدين
شاه وأثمرت في عصرنا الزاهر الذي نرى فيه ملل الاسلام باقتضاء دينهم
يتسابقون الى اعادة مجدهم وضاءة الوطن بنور العلم وفضل الدستور . والى الله
ترجع الأمور .

«المقدمة الى ابعة»

(الفرق بين التفرس وكشف المغيب)

اعلم أن كشف المغيب الذى هو حجة الانبياء والأولياء هو اظهار ما لا يدركه الحس ولا يقتضيه العقل كقول نبينا (ص) بأن الهواء فيه خلق وقول وصيه على (ع) : « لا تبل فى الماء فان للباء اهلا ، (١) ونحو ذلك ، لا تدركه حاسة مجردة ولا كان يقتضيه دليل عقلى كما لم يكن مقتضياً لعدمه . فمثل هذا الأمر لا ينطق به الا المحيط بحقائق الـكون المنكشف لديه اسرارها - والله تعالى ومن اوحى اليه منه تعالى - فن ادعى النبوة والولاية وأظهر المغيبات التى يعجز الحس والعقل عن كشفها فهو صادق لدى ابناء كل شريعته ، اذ لا يقدر على ذلك غير الولى الكامل والولى منزّه عن الكذب والخيانة على الأصول المقررة فى علم العقائد .

واما التفرس فهو مغاير لكشف الغيب . فان التفرس انما هو اظهار امر خفى من علاماته ولوازمه الدقيقة ، فان كان الامر من صفات النفس ونحوها سمي التفرس (قيادة) كتفرس الحق فى عريض القفا وتفرس الفطانة فى القصير ونحو ذلك ، وان كان من الحوادث الآتية خصوصاً او عموماً سمي (التنبوء) كتفرس السياسيين مستقبل احوال الاثمم وما سيحدث فى العالم .

(١) وقال (ع) فى بعض خطبه : « رب هذه الارض التى جعلتها قراراً للانعام ومدرجاً للهوام والائنام وما لا يحصى مما يرى وما لا يرى ... ، فما لا يرى هو المسكروب المشهور المشار اليه فى آية : « ويخلق ما لا تعملون » ،

والتفرس بجميع اقسامه لا يكون دليلاً على شيء مما ذكرناه ، لأن منشأؤه الحدس والتزوى فى الأسباب الخفية والعلل المعدة التدريجية والقياس على النظائر والأشياء .

* * *

وفى شرعنا القدسى مقالات فى اظهار ما سيحدث يَحتَمَل فيه الوجهان مع الغرض عن شاهد يخصهما بأحدهما ، كاخبار القرآن بغلبة الروم بعد مغلوبيتهم فان الأجنبى يَحتَمَل فيه انه اخبار عن مغيب لا يدركه حس ولا يقتضيه عقل ، ويَحتَمَل فيه ايضاً انه تنبؤ منشأه النظر فى الاسباب الخفية والحدس القوى ، لكن الشاهد على كونه كشفاً للغيب هو : ان التفرسات السياسية تفيد الظن ، وبعيد جداً أن يذكر مدعى النبوة بين أعاديهِ فى كتابه الذى هو معجزه الباقي أمراً ظنياً وحادثة حدسية ويخبر عنها بصورة الجزم فيقول : ﴿ آلم غلبت الروم . فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴾ (١) .

وكيفما كان فللاسلام مقالات وافرة من قسم كشف الغيب ، كتصريح الرضا (ع) بوجود ارض فوقنا فى السماوات ، وتصريح الباقر (ع) بوجود اقمار عديدة بعد قمرنا المحسوس ، وكذلك التصريح بكثرة العوالم والشموس وتصريح على (ع) بنجمة اروس ، وغير ذلك مما لا يحمل له عند الانصاف الا الوحي والارتباط بخالق العالم والمحيط بأسراره ، اذ لا يرتاب فى أن هذه الأمور يعجز الحس المجرد والعقل عن ادراكها ، وانما توصل المتأخرون الى فهمها بالادوات القوية المخترعة بعد الألف الهجرى .

* * *

فان قلت : نجد هذه الآيات والروايات بعضها صريحاً واضح الانطباق

(١) سورة الروم آية ١ - ٣ .

على الكشفيات الجديدة وبعضها بجملا يحتاج الى بيان ، فأى وجه للعدول فيه من التوضيح الى الاجمال ؟

قلت : لا ريب ان الكلام قد يخلو مجاله عن كل مانع فنجدّه واضحاً أكمل توضيح ، وقد يقتزن بشواهد مقامية أو عقلية يستغنى المتكلم بسببها من تطويل الكلام فيستوفى الحاضرون مرام المتكلم لإحاطتهم بالشواهد ولا يستوفيه الغائب لفوات الشواهد منه فيحتاج الى بيان ، وقد يحصل الإجمال من اختلاف اللغات وخفاء بعض الصفات ، فيصف المتكلم شيئاً بلغة عصره ومصره ثم يعثر على هذا الكلام أبناء سائر الأعصار والأمصار فلا يأنسون بمساق الكلام أو لا يفهمون الصفات والعلامات المذكورة فيه لاختلاف اللغة أو اختفاء الصفة ، كما في الروايات الناطقة عن أئمتنا (ع) : « إن لله تعالى مدينتين عظيمتين في أرضنا أحدهما بالشرق اسمها جابلقا والاخرى بالمغرب اسمها جابرسا وفيهما خلق لا يعرفون آدم ولا ولده » فاني احتمل ان تكون الأولى اشارة الى جزيرة أستراليا التي اكتشفها (دوفكن) القبطان سنة ١٦٠٦ م ولذلك تسمى بالهولند الجديدة وهي في شرق جزيرة العرب التي هي مصدر كلمات الشريعة ، وتكون الثانية اشارة الى جزيرة أمريكا التي اكتشفها (كولومبس) و (امريك) سنة ١٤٩٢ م وهي في غرب جزيرة العرب قبل نصف الدور ، فهذا التطبيق لا يبعده غير اختلاف اللغات والأسمى وبعض الصفات الخفية (١) .

ثم ان المتكلم قد يرى المانع من توضيح كلامه فيكسو قوله حلة الإيجاز كما لو توقف شرح الكلام على مقدمات غير موجودة بحيث لو كانت المقدمات

(١) ويجوز أن تحمل المدينتان على كرتين في خارج أرضنا . وانظر مجلة المقتبس ج ٩ المجلد ٤ ص ٥٧٠ فان فيها مقالا هاما عن جابلص وجابلق .

لأفاد الشرح للمخاطبين . وأما مع فقدتها فقد يضر بجاهلهم أو بشأن المتكلم حيث أنهم يكذبونه أو يهينونه من استغراقهم في الضلال والجهالة ومن غرابة أصل المعنى حتى قرب من الاستحالة فكيف يصدق به من لا يحسه ولا يتصوره فيكسو المتكلم عندئذ حلة التشبيه أو الإيجاز حتى لا تعطى غرابة كلامه ممسكا بيد العدو العالم أو المحب الجاهل — أعاذنا الله منهما — فيتولد من ذلك ما يفوت الأغراض المقدسة التي كانت على عهدة المتكلم .

ومما اكتسب ثوب التشبيه قول النبي (ص) : « فر من المجذوم فرارك من الأسد » (١) فإن أطباء الإفرنج كشفوا عن موضع الجذام وإذا فيه ميكروب على صورة الأسد تنتشر في الهواء المجاور للمجذوم فتدخل من مجرى النفس في من يقترب منه فتؤثر فيه بعض الأحيان . فتشبيه النبي (ص) فرارنا عن المجذوم بالفرار عن الأسد يعطى المرام بنحو من اللطافة .

فكته

أكثر الحقائق الخفية نجدها في شرع الاسلام تدرجت لدى ظهورها عن ألسنة الشريعة فالمطالب الغامض البعيد عن عقول الجمهور نجد القرآن الكريم يوحى اليه باجمال ، وكذلك النبي (ص) يشير اليه في ظواهر كلماته ، وأما الأئمة (ع) فيظهرونها للناس بالتصريح تدريجا . فتحرك الأرض مثلا

(١) وفي من لا يحضره الفقيه : « انه (ص) كره أن يكلم الرجل مجذوما الا أن يكون بينهما قدر ذراع » .

يؤمى إليه القرآن بكسوة التشبيه تارة بأنها مهد أو ذلول وبكسوة الاجمال اخرى في قوله تعالى : ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ﴾ (١) وأما الأئمة (ع) فيصرحون بالتحرك كما سيأتى .

وأيضاً تعدد الأرضين يشير إليه القرآن بقوله تعالى : ﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾ (٢) ويصرح الاوصياء بأنها سبع أرضين وانها فوقنا وفيها كذا وكذا .

وأيضاً كثرة الشمس والأقمار والعوالم يؤمى إليها القرآن بقوله تعالى : ﴿ رب العالمين ﴾ (٣) وقوله : ﴿ وجعل فيها سراجا ﴾ (٤) ونحوها ، ويصرح الأئمة بأن من وراء هذه الشمس المحسوسة شمس وأقمار عديدة وخلف عالمنا عوالم كثيرة فيها خلق كثير .

وهكذا أكثر الأبواب نجد السنة فيها أصرح من المكتاب . ولعل الوجه فيه امور :

(منها) ان القرآن كتاب عام لا يخص عصراً ولا مصرأ ، فينبغى له المشى المتوسط بحيث يرغب اليه الكل فى كل عصر ويتدبرونه برغبة حتى يسلّموا بهداه . كما قد جرى رأى أهل عصره فى محل القوة الدراكة ، فانهم كانوا يحسبون ان محلها الصدر والقلب فسايرهم القرآن فى ذلك حكمة وسياسة ، فقال تعالى : ﴿ وشفاء لما فى الصدور ﴾ (٥) وقال : ﴿ ونزعلنا ما فى

(١) سورة النمل آية ٨٨ .

(٢) سورة الطلاق آية ١٢ .

(٣) سورة الفاتحة آية ٢ .

(٤) سورة الفرقان آية ٦١ .

(٥) سورة يونس آية ٥٧ .

صدورهم من غل) (١) وقال : « فانها من تقوى القلوب » (٢) .
 (ومنها) ان هذه الشريعة نشأت في قوم استغرقتهم الجهالة واستعبدتهم
 الخرافات ، فلو فاجأتهم بتكذيب جميع خرافاتهم دفعة ونسخت كل عقائدهم
 بغتة في العبادات والمعاملات والإلهيات وأسرار السكون لما تقدموا اليه شبراً ،
 فرجيب نشر العلم فيهم شيئاً فشيئاً وابطال عقائدهم تدريجاً مقسداً ما تستنير
 عقولهم وتحمله أفهامهم القاصرة . قال النبي (ص) : « انا معاشر الأنبياء امرنا أن
 نكلم الناس على قدر عقولهم » فالذين يرمونه بالجنون — لأنه جعل الآلهة
 إلهاً واحداً — كيف يسكتون عنه إذا قال لهم مثلاً : ان نجمة المشتري هي
 أرض مثل أرضنا ألف مرة وفيها بحار وأشجار وعمار وديار فهل تقتضي
 سياسة العقلاء إلا المباشرة معهم وتنوير عقولهم بالتدريج ! فالنبي (ص)
 يحرك العقول نحو هذه الغرائب والأوصياء يشونها مشروحة .

* * *

فان قلت : سيأتي ان اظهر هذه الأمور خارج عن وظيفة النبي (ص)
 ولا يجب عليه ، فما كان الباعث له في ابداء هذه الأسرار حتى يقارب الأخطار
 ولم لم يسكت عنها كباقي الأديان ؟
 قلت : إن في ذلك أسراراً ومصالح وافرة ، ولا ينبغي لنا قياس
 الاسلام بباقي الشرائع فان الاسلام دين يبقى الى الأبد ويتكفل تكميل البشر
 من كل وجهة ، وينبغي أن يتدبر الناس في معاجزه وآياته في كل عصر
 ومصر ، ومعجزاته الحسية ترشد الحاضرين عند الرسول (ص) ويلزم
 للغائبين وابناء القرون الآتية معاجز متجانسة على اختلاف مشارب العقلاء .

(١) سورة الاعراف آية ٤٣ .

(٢) سورة الحج آية ٣٢ .

ألا ترى حكام الافرنج لا يهتدون اليوم بنقل تكلم الضبي والضب وانفلاق الحجر وانشقاق القمر ونحوها من معاجز نبينا ، ولكنهم اذا تدبروا القرآن وشاهدوا مثلاً الآيات الناطقة بأن الذكورة والأنوثة وناموس اللقاح لا تختص بالحيوان بل تعمه وتعم النباتات والجمادات كما فى قوله تعالى : « وانبتنا فيها من كل زوج بهيج » (١) وقوله : « ومن كل شيء خلقنا زوجين » (٢) تعجبوا من ذلك واتخذوه مصداقاً لرسالة محمد (ص) من دون التفات الى سائر المعجزات أو بلاغة القرآن .

ولعمري ان مقالات الشريعة الاسلامية بحملها ومفصلها ملكت قلوب العارفين فى كل مكان وزمان وصارت فى النفوس الكاملة أشد تأثيراً من شهود خوارق العادات لغيرهم ، فالإلهيون قديماً وحديثاً يستنبطون من حقائقها متعجبين من دقائقها وكذلك فلاسفة الطبيعة والفلك ودواهي البغاء والمؤرخين من القدماء والمتأخرين ، فلكل قوم أصبح الاسلام هادياً بمعاجز معنوية تناسب مشاربهم .

وأما السياسيون من الافرنج وغيرهم فحسبك اعتراف كثير منهم بأن التمدن الغربى الذى أضحت نخبة لأفكار ملايين الألوف من الحكماء أكثر من ستمائة سنة بتشكيل آلاف الألوف من المجالس والجمعيات الكاملة لم يبلغ بعد ذلك كمال التمدن الاسلامى الذى أظهره رجل واحد ، إذ لا يشذ عنه شيء من محاسن مدنية الغرب اصولها وفروعها بل يفوقها ويزيد عليها ، وليس فيه شيء من مفاسد تلك المدنية التى أعيا الحكماء رفعها .

تدبر آفات المدنية الحديثة فكل كمال فى التمدن الحاضر تجدد الاسلام

(١) سورة الحج آية ٥ .

(٢) سورة الذاريات آية ٤٩ .

حاوياً له وكل نقص يوجد فيه تجد الاسلام بعيداً عنه ونهاياً إياه » ومن
يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » (١) .
قال القس (لوازن) فى خطبة ألقاها فى مصر ٢١ فبراير سنة ١٨٩٦ م :
« . . . وليس فى الاكتشافات العلمية الحديثة ولا فى المسائل التى انتهى حلها
والتي تحت الحل ما يغير هذه الحقائق الاسلامية الوضاعة . . . ولهذا فان
التوفيق الذى نبذل كل جهدنا معاشر المسيحيين ايجاده بين العقل والاعتقاد
فى ديننا المسيحى هو سابق موجود فى الديانة الاسلامية » .

« المقدمة الخامسة »

(سبب سكوت الأديان الأخرى عن الأسرار الكونية)

ان الغرض من بعثة الأنبياء ونصب الأوصياء وإنزال الكتب إنما هو إرشاد العباد الى عبادة الرب تعالى ونصحهم للعمل بما يحبه وترك ما يكرهه من الأفعال ليبقى نظام الاجتماع وتحفظ الأشخاص والأنواع وتكمل النفوس وتصفى القلوب ويتمهيئون لحضرة الرب عظم شأنه ، فلا يجوز للرسول الإخلال بشيء من هذه الوظائف المقدسة المختصة بهم ، واما إرشاد الناس الى وسائل المعاش وطرق تكميل الدنيا وتجملاتها أو تعليم العلوم المنهقد تكليف بيانها على ذمة الحس مع العقل كالحساب والهندسة والطب ونحوها فجميع هذه الأمور خارجة عن وظائف الرسل ، فلو بينوا شيئاً منها فاحسان منهم وتفضل بمقدار ما ينبغي لهم أو يقتضى الحال فاقدراً للهوانع بحيث لا يزرى بشأنهم ولا يخل بمقصدهم الأصيل .

وهذا الذى أقوله يعتقد كل حكيم متبحر . جاء فى المقتطف ص ٥٤٧ سنة ١٣١٤ هـ : اما نحن فقد قلنا مراراً أن ليس غرض الكتاب السماوى تعليم العلوم الطبيعية ولا نقضها ، فان وافقها أو خالفها فلموافقة والخالفة عرضيتان كما اننا فى معاملتنا اليومية نوافق العلوم الطبيعية مرة ونخالفها اخرى .

ويجب فى مشهد الكائنات متردداً سألته : لماذا لم يذكر موسى النبى (ع) ما رأيناه بتمامه (يعنى الكشفيات الجديدة) ؟ فقال فى جوابه : ان النبى لم

يتجرأ الا تاريخ الانسان ولهذا تراه ذكر بالاجمال عن كيفية السماء والارض .
أقول : وأما نبينا وأوصياؤه - الذينهم أسنة الشرع الاسلامى -
فقد شرحوا لنا مبادئ العلوم المفيدة غالباً ونطقوا بكشفيات الحكماء كثيراً ،
لكن المنقول منها بين الحفاظ قليل والواصل إلينا أقل ، وهو مع قلته يغلب
الحيط نداه ويفوق الرعود صيته وصداه . وليس قلة المنقول لتقصير من
الأولياء (ع) بل لقصور أو تقصير من أصحابهم الراقدين ، فان المصيبة
انهم - عليهم السلام - انبثوا بين اناس جاهلين لا يعرفون قدر المعارف ولا
أثمان الكمالات ، تشهد لبعضهم قلوباً كالخجارة أو أشد قسوة .
ولو نبغ هذا الدين فى غير جاهلية العرب لا كتبوا من أنواره
وعلمه ما يعنى الناس ويضىء العالم ، ومن ذلك صار أكثر حملة العلم فى
الاسلام الفرس كما صرح به المؤرخ الكامل جرجى زيدان وغيره . وقصدى
من هذا الكلام ان الشريعة الدائمة وأولياءها (ع) أتوا للأمة فوق ما تحتاج اليه
من العلوم والكمالات ، ولكنها قصرت فى ضبطها ونقلها على ما ينبغى ففاتها
الكثير وبقي القليل ، ولكن (قليلك لا يقال له قليل) .

المقدمة السادسة

(في المتفق عليه والمفترق من الهيئات)

ان المسلم بين الفلاسكيين بل وعند الناس أجمعين في أبواب الفلسكيات انما هو وجود الأجرام السماوية المحسوسة وظهور الشمس والقمر والنجوم بعد خفائها وخفاؤها بعد ظهورها في كل يوم وليلة وتشكلات القمر وسائر أحواله المحسوسة وقرب الشمس وبعدها عن شمال الأرض أو جنوبها في السنة مرة وتبدل أوضاع الثوابت المجتمعة في شهور السنة وعودها الى أوضاعها بعد سنة وأمثال ذلك من التغيرات التي لا ينكرها حيوان فضلاء عن انسان . وانما الخلاف في الأسباب الحقيقية لهذه الأمور وتميز الوهمي منها والحسي وتفرقة المجازي من الحقيقي ، فاختلفت الحكماء في هذا المقام من سالف الأيام واختار كل مسلماً ونظماً وهيئة وأحكاماً . والمنقول من هاتيك الهيئات ستة :

١ - هيئة ذيمقراطيس

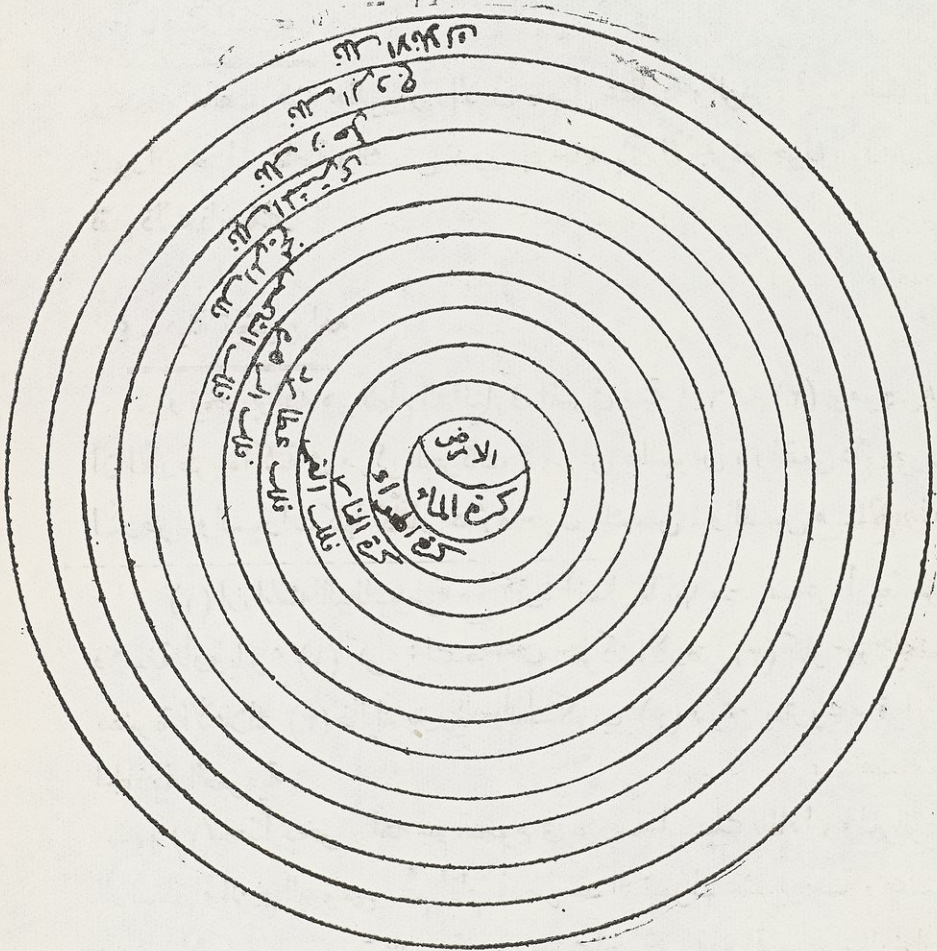
وجمل هذه الهيئة على ما في مشهد الكائنات ان الفضاء مملوء من الهواء والكواكب كلها منشورة في الهواء غير ثابتة في جرم وتتحرك بمقتضى طبيعتها بسبب جذب الهواء ، فكلما كان الكوكب قريباً من مركز الأرض كان أبطأ سيراً وكلما كان أبعد كان أسرع ، كما هو شأن الكرة المتحركة على مركزها في نفس الأمر دون ظاهر الحس . ومن ذلك صارت الثوابت لديه أسرع سيراً من الجميع دائرة حول الأرض في يوم وليلة . . . الخ

٢ - هيئة بطليموس

وبطليموس (١) هذا هو مصنف المجسطى قبل الميلاد بقرن ونصف قرن وموجز هيئته ان الأرض كرة ساكنة في الوسط يستر الماء أرباعاً من سطحها وتحيط بالمجموع كرة الهواء ثم تحيط بالهواء كرة النار ثم يحيط بالنار فلك القمر وليس فيه شيء غير القمر ثم يحيط به فلك عطارد ثم فلك زهرة ثم فلك الشمس ثم فلك المريخ ثم فلك المشترى ثم فلك زحل يحيط كل فلك منها سابقة ، ولن يوجد في ثخن الواحد منها غير نجمة واحدة بها يعرف ذلك الفلك ، ثم يحيط بفلك زحل فلك عظيم ثامن قد ارتكزت في ثخنه الكواكب الثابتة بأجمعها ، ثم يحيط بفلك الثوابت فلك تاسع اسمه اطلس ليس فيه نجم أصلاً ولا نهاية لأفطار ثخنه وهو المالىء لفضاء العالم كله ولا يعلم محده الا الله تعالى ، وهو في سرعة الحركة بمثابة يدور حول الأرض بجميع ما في جوفه من الأفلاك والأجرام مرة في كل يوم وليلة . انظر شكل (١)

ولكل نجمة غير الثوابت سير خاص تبعاً لسير فلكه المخصوص على خلاف سير الأطلس ، ولذلك سميت بالسيارات السبعة وتختلف حركاتها جسداً ، ويشتمل كل فلك من السبعة على أفلاك جزئية قد أظن في شرحها القدماء في كتبهم ، وسندكر بعض مبانيهم واعتقاداتهم في ضمن مسائل هذا الكتاب . والهيئة البطليموسية هذه كانت لعمري على أحسن تلفيق ونظام وأشبه بالحقيقة لولم تعارضها نتائج الآلات الحديثة والكشفيات الأخيرة ، ولذلك تراها نسخت جميع النظمات والأقوال من حين ظهورها وارتضاها جماهير

(١) المشهور بين القدماء في ضبطه تقديم الميم على الياء المشتاة وأما عند العوام فبالعكس والصحيح هو الأول .



(ش - ١) النظام الشمسي البطليموسي

الحكماء وصار له في العالم المتمدن مجالا لأصحابها ، وهي التي نسميها بالهيئة القديمة (١) .

٣ - هيئة المصريين

وتخالف هيئة بطليموس الا في جعل عطارد والزهرة قمرين للشمس يدوران حولها خاصة والشمس تدور بصحابة باقي الأجرام حول الأرض . نقل ذلك فاندريك .

٤ - هيئة تينخو براهه

وتينخو براهه هو العالم الدانياركي المتوفى سنة ١٦٠١ م (٢) وموجزها ان الأرض ساكنة في مركز الحركات كما مر عن بطليموس ، والقمر دائر حول الأرض والسيارات كلها كأقمار دائرة حول الشمس ، والشمس مع هذه (١) ان الهيئة البطليموسية مع كثرة أنصارها انهدمت بمساعي أربعة من فلاسفة أوروبا وهم (١) كوبرنيك بترويجه حركة الأرض (٢) كبلر بترويجه بيضوية الأفلاك (٣) غاليله بترويجه التلسكوب (٤) نيوتن بترويجه قوانين الجاذبية العمومية .

(٢) خذأ تينخو براهه علم النجوم في مدرسة ليبسيك بالمانيا وولع بالزيج الالفتسي والزيج البروسي ، ثم أقام في مرصد الدنيمرك عشرين سنة وصنع زيجات لانكسار النور حتى الدرجة (٤٥) وزيجات شمسية دقيقة وأصلح الزيجات القمرية ، وأثبت ان أفلاك المذنبات وراء القمر ، وعين مواقع (٧٧٧) نجماً من الثوابت . وأبقى أرصاداً كثيرة للسيارات على الهيئة القديمة استخدمها تليپذه كبلر في اثبات الهيئة الكوبرنيكية .

السيارات سائرة حول الأرض . نقل ذلك فاندريك وجاء في دائرة المعارف أيضاً . وذهب الى هذا النظام (ليكومنطانوس) غير انه قال بحركة الأرض .

٥ - هيئة فيثاغورس

وهو الفيلسوف اليوناني المتولد في ساموس سنة ٥٩٠ ق م . ومجملها على ما في تقويم المؤيد لسنة ١٣١٩ ان أشرف مكان الكون اذ كان لأشرف عنصر وكان المركز والمحيط أشرفا الامكنة كانت النار فيهما ، ففي المركز جرم نارى تدور حوله جماعة الأجرام العشر الآلهية ، وهى الثوابت أولا ثم السيارات السبع ثم الأرض من بعد القمر تاسعة ثم الانجم الخيالية التى توهمها الفيثاغورسيون مكملة للنظام الكونى ، فتكون الأرض دائرة حول النار المركزية على دائرة مائلة ، ثم تدور هى على نفسها حول خط وهمى بين قطبيها محور دورة توحيد الليل والنهار .

وبدل (أرسطارك) من أصحابه نار المحيط بالفضاء الفاقد للنهاية كما بدل نار المركز بالشمس ، فأضحت هذه الهيئة أقرب الى الهيئة العصرية من الجميع .

٦ - الهيئة الجديدة

وهى من فلاسفة أروبا الناهضين نحو العلوم بعد نهضة المسلمين ، ومن ذلك تسمى (نظاماً حديثاً وهيئة عصرية أو غربية أو جديدة) وغير ذلك . ويمكننا القول بأن هذه الهيئة الجديدة هى الهيئة الواردة فى أخبار آل محمد عليه السلام وذلك لان الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام المشهور بذكر المعانيات قد تحقق انه تكلم فى فنون الهيئة والكيمياء ومباحث الطبيعة كما يظهر

من كتب تلميذه جابر بن حيان المطبوع كثير منها في ألمانيا قبل ظهور نوابغ
الهيئة الجديدة (١)

(١) قال ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان عند ترجمته للإمام الصادق
عليه السلام : انه أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الامامية ، كان من سادات أهل
البيت ، ولقب بالصادق لصدقه في مقالاته ، وفضله أشهر من أن يذكر ، وله
كلام في صناعة الكيمياء والزجر والفسال ، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن
حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل
جعفر الصادق ، وهي خمسمائة رسالة .

وقال كرنيلوس فانديك في مقالته (أطباء الشرق) المنشورة ص ١٢٣
من مجلة المقتطف لعام ١٨٧٦م ما لفظه : أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي
الصادق السادس من الأئمة المستورين العلويين ألف في الهيئة والكيمياء والرمل
وتوفي في المدينة سنة ١٤٨ هـ ، ٧٦٠ م ، وأبو موسى جابر بن حيان الصوفي
الطوسى مولداً السكوني تلامذة جعفر الصادق ، واشتهر في الكيمياء
وجمع خمسمائة رسالة من رسائل جعفر في ألف صفحة طبع مؤلفه في
ستراسبورج سنة ١٥٣٠ م وطبع أصول الكيمياء لجابر في بازل سنة ١٥٧٤م
وكتاب له في الهيئة طبع في نورسبرج .

وفي كشف الظنون بعد تصريحه بكون جابر تلميذ جعفر الصادق قال :
وأول من اشتهر هذا العلم عنه جابر بن حيان الصوفي من تلامذة خالد .

أقول : لا بد وان يراد من تلميذه علي خالد استفادته من كتب خالد ، كما أن
الجلدكي المتأخر كثيراً عن جابر يعد نفسه من تلامذة جابر ، ضرورة تأخر
عصر جابر عن عصر خالد المتوفى سنة ٨٥ أي في أواخر القرن السابع الميلادي
حينما توفي جابر سنة ١٦١ أي بعد وفاة خالد بنحو ثمانين سنة ، وقد صرح —

والمعروف أن (كوبرنيك) كان ذا اطلاع على الكتب الشرقية وأنه كان يأخذ منها المطالب ثم يسندھا الى نفسه ، فيظهر اذن بما تقدم ان علماء الهيئة والكيمياء من أهالى أوروبا وألمانيا عرفوا نظام الهيئة الجديدة والكيمياء من كتب علماء الشرق القدماء الذين أخذوا علومهم من آل محمد ﷺ ، ثم من بعد ما اهتمدوا الى نظام الفنون الطبيعية صاروا يؤيدون أقوالهم بالأدوات والآلات . ويؤيد ذلك ان ظهور الهيئة الجديدة فى أوروبا كانت أولاً قبل اكتشاف النظارات وبقيّة الأدوات .

ولما كان أساس هذه الهيئة الجديدة حركة الأرض والسيارات حول الشمس حركة وضعية وانتقالية ، وكان أول المبرهنين على هذه المسائل (كوبرنيك) البروسى المتوفى سنة ١٥٤٤ م اسندت هذه الهيئة اليه ، مع انه لم يكتشف اموراً جديدة فى الهيئة وقد سبقه فى اكثر أقواله أساطين الحكمة من المسلمين واليونان والافرنج ، لكنه امتاز من بينهم باقامة البراهين والتوضيحات اللازمة فاتبعته الحكماء سرّاً وجهرّاً وعد بذلك مؤسساً للهيئة الجديدة وصار لقوله دوى عظيم ، لكنه أخطأ فى مدارات السيارات اذ فرضها بركارية ، أى دوائر حقيقية تبعاً للمتقدمين .

— ادوارد بن فاندريك بأن جابر آ ولد فى أوائل القرن الثامن الميلادى . والصحيح تلمذ جابر على جعفر الصادق (عليه السلام) كما صرح به هو وغيره ، وجاء فى الشعر المنقول فى كشف الظنون :

حكمة أورثناها جابر عن امام صادق القول وفى

وذكر فى كشف الظنون أيضاً ان جابر آ خص بالتقدمة من بين كتبه كتابه المسمى بالخسائة . وهذا اشارة الى ما ذكر من أن له خمسائة رسالة من رسائل جعفر فى ألف ورقة .

ومنذ أن نشأ الحكيم الشهير (كبلر) الألماني سنة ١٦٥٠ وكشف قواعد الجاذبية وحكم بأن المدارات بيضوية أو اهليلجية صحت المحسوبات والأرصاء ومع ذلك كله لم يكن لهذه النظرية رمق باهر ولا رونق ظاهر حتى قام (غاليله) الإيطالي واخترع النظارات المكبرة والمقربة وتفرع منها أدوات كاملة ، فنشطت بهامباني هذا الفن وظهرت خفاياه وأحسوا بأصولهم الحدسية وتطارت نفوس الحكماء الى تكميل هذا الفن من كل فج عميق حتى بلغوا هذا المبلغ العظيم المحير للعقول .

ويجب علينا أن نذكر موجزاً من الهيئة العصرية لتكون على بصيرة ، وهو ان الشمس عندهم كرة نورانية بذاتها نارية بنفسها ثابتة في وسط أفلاك السيارات كاللحمة في البيضة ، وجميع السيارات كرات مستديرة من الشمس بجذوبة لها دائرة حولها وحول نفسها كالأرضنا في أكثر الجهات معلقة في الفضاء لكل منها جبال وبحار وهواء ، وأقرب هذه السيارات نجمة (فلكان) بعدها عن الشمس ١٣ مليون ميلا ودورها المحورى ١٨ ساعة ودورها حول الشمس عشرون يوماً ولم تزل أحكامها مجهولة لصعوبة رصدها .

ثم نجمة (عطارد) وبعدها عن الشمس ٣٥ مليون ميلا ودورانها المحورى ٢٤ س ٥ ق (١) ودورها حول الشمس ٨٨ يوماً وحجمها أصغر من الأرض ٢٤ مرة وفلكها الاستوائى مائل على دائرة البروج قليلاً .

ثم نجمة (زهرة) بعدها عن الشمس ٦٦ مليون ميلا ودورها المحورى ٢٣ س ٢٢ ق ودورها حول الشمس ٢٢٥ يوماً وحجمها قريب من الأرض على نسبة ١٠،٩ وميل فلكها خمسون درجة .

(١) قد أثبت (شياپرلى) ان عطارد لا يدور على محوره ٢٤ س ٥ ق بل يتمايل تمايل القمر ويدور مثله على محوره في المدة التى يدور فيها حول الشمس

شم أرضنا وبعدها عن الشمس ٩٣ مليون ميلاً وقطرها ٨٠٠٠ ميل
ودورها المحورى ٢٤ ساعة ودورها حول الشمس ٣٦٥ يوماً وميل فلكها ٢٣
درجة ونصف .

شم نجمة (المريخ) وبعدها عن الشمس ١٤٠ مليون ميلاً ودورها المحورى
٢٤ س ٣٨ ق ودورها حول الشمس ٦٨٧ يوماً وحجمها أصغر من الأرض
ست مرات ولها قران وميل فلكها ٢٩ درجة .

شم نجمة (المشترى) وبعدها عن الشمس ٤٧٦ مليون ميلاً وحجمها أكبر
من الأرض ١٤٠٠ مرة ودورها المحورى ١٠ س ودورها حول الشمس ١٢
سنة ولها ثمانية أقمار وميل فلكها أربع درجات .

شم نجمة (زحل) وبعدها عن الشمس ٨٧٦ مليون ميلاً وحجمها أكبر
من الأرض ٧٦٠ مرة وميل فلكها ٢٨ درجة ودورها المحورى ١٠ س ١٥ ق
ودورها حول الشمس ٢٩ سنة ونصف ولها تسعة أقمار (١) وحلقة نيرة عظيمة
مؤلفة من ثلاث حلقات تحيط بها من بعيد كالنطاق .

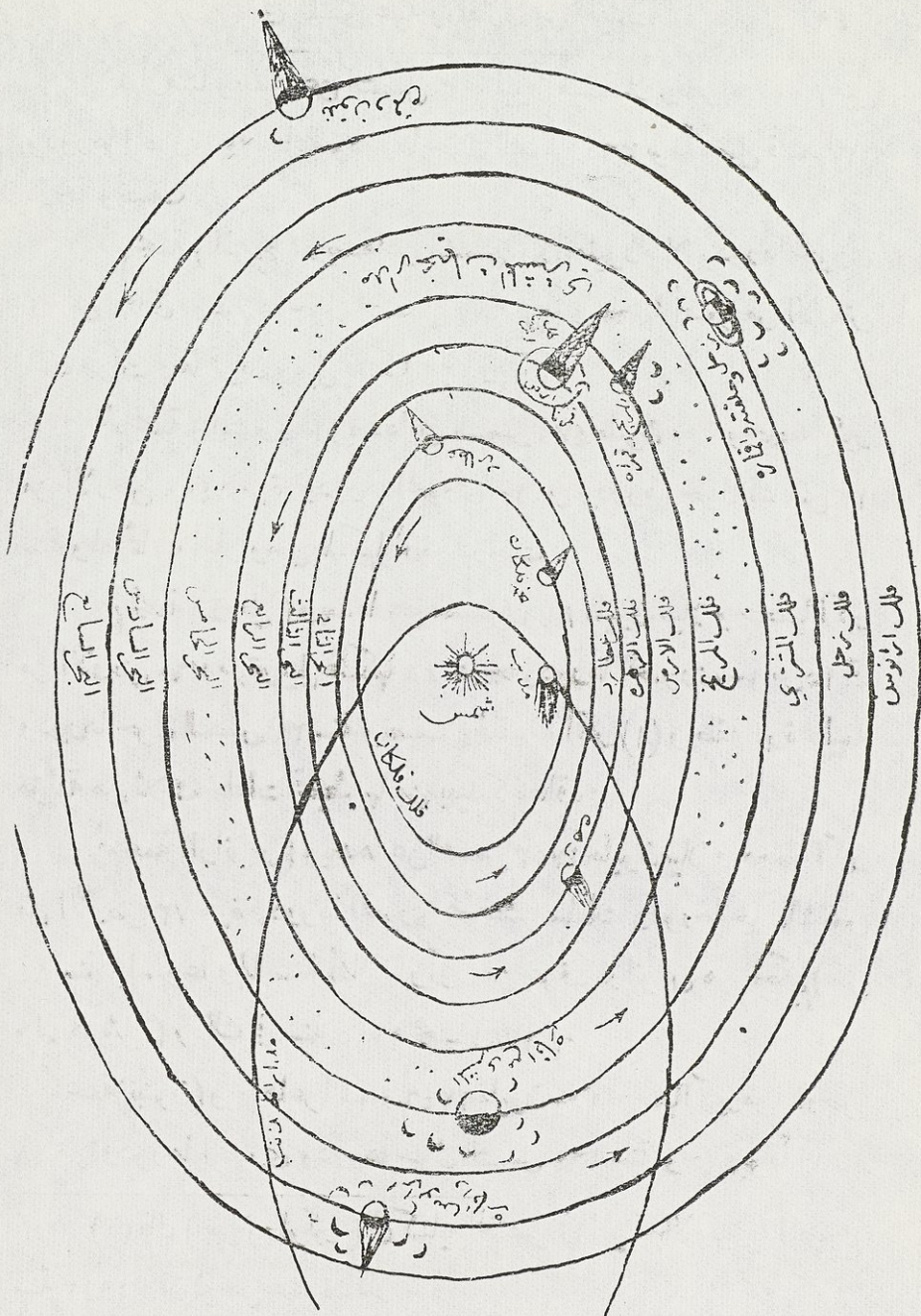
شم نجمة (ارانوس) وبعدها عن الشمس ١٧٥٣ مليون ميلاً وحجمها أكبر
من الأرض ٧٢ مرة ودورها المحورى نحو عشر ساعات ودورها حول الشمس
٨٤ سنة واسبوعاً ولها ستة أقمار . وأول من عرف ارانوس هو الحكيم (سر
وليم هرشل) وذلك في سنة ١١٩٥ هـ - ١٧٨١ م .

شم نجمة (نبتون) وبعدها عن الشمس ٢٧٤٦ مليون ميلاً وحجمها أكبر من الأرض
٤٨ مرة ودورها المحورى ودورها حول الشمس ١٦٤ سنة و ٢٨٥ يوماً (١) .

(١) قال (سر نورلوكبر) في كتابه المختصر في الهيئة بالانكليزية المطبوع

سنة ١٩١٢ : ان لزحل عشرة أقمار .

(٢) اكتشف العلامة الفلكي (تومبو) سيارة جديدة سماها (فيلوتوا) -



(ش - ٢) النظام الشمسي الكوبرنيكي

وليعلم ان اكثر التقارير التي ذكرناها انما هي تقارير تقريرية لاثبات حقيقة
ويسمى هذا المجموع نظاماً شمسياً خاضعاً لنواميس الجذب ومقتضيات
الطبيعة بمشيئة البارئ تعالى . وحركة هذه الاجرام مطلقاً من الغرب الى الشرق
في مدارات بيضية مفروضة في الفضاء . انظر شكل (٢) .

وما بين مدار المريخ الى مدار المشتري نجيمات صغار سيارة سياقي شرحها
وما بعد فلك نبتون انما هي فضاء مجهول الحقيقة قد نثر الله تعالى فيه الشموس
الثابتة على أبعاد متشاسعة ، ورتب لكل شمس منها نظاماً كنظامنا ، فسبحان
الله رب العالمين .

وسنشرح ما أوجزنا ذكره في طي مسائل السكتاب الآتية .

— سنة ١٩٣٠ م وتري هذه النجمة بواسطة التلسكوب الأصغر ، وكان الدكتور
(لاويل) قد ظن وجودها سنة ١٩٠٥ . ولكنه لم يوفق حينذاك الى كشفها
وقطر هذه السيارة ٤٠٠٠ ميل (ف) .

« المسألة الأولى »

(في حقيقة الفلك ومعناه)

عمدة ما ثبت عليه الهيئة القديمة هي الأفلاك العظيمة التي أطنب الحكماء والمتقدمون في اعدادها وأوصافها ، وما برحوا في نشاطهم بترتيبهم العجائب المحير للألباب : حتى أشرقت من الغرب شمس الهيئة الحاضرة فندست مبانى الهيئة القديمة وأحكامها نسخ النور للظلال بل نسخ الهدى للضلال ، فأصبحت أفلاكهم العظيمة مع عدتها وشدتها واستحكامها كالحبساء المنثور أو كسر اب بقية يحسبه الظمان ماءً فإذا أتاه لم يجده شيئاً .

هذا ، وشرع الاسلام مصرح بوجود الأفلاك ، فإذا قامت الأدلة الواضحة - كما ترى - على بطلانها وانتساخها فعلى أى معنى سائع يحمل مناطق به دين الاسلام - على مبلغه التحية والسلام ؟

(الجواب)

ذهب الجمهور من الحكماء القدماء الى ان الأرض وما حولها من العنصریات محاطة بجسم عظيم فلكى دائم الحركة لا ينفك عن صفاته التي أشار اليها رئيسهم الشيخ حسين بن سينا في الفصل الرابع من الفن الثاني من طبيعيات كتاب الشفاء ولفظه : ان الفلك مطلقاً جسم كروى بسيط شفاف فيه مبدأ الميل المستدير فقط ، فلا يقبل خرقاً ولا التاماً ولا كوناً ولا فساداً ولا زوالاً عن حيزه أبداً ولا تضاد فيه ولا مضاد له ولا فيه سكون عن حر كته ولا تغيير في صفته

وكذلك الأجرام المركوزة فيه كالشمس والقمر ، والنجوم أجسام كروية من جنس جوهر الفلك الذي لا يتكون ولا يفسد . . . الخ .

وأسندوا تحرك الأفلاك الى أنفسهم بالعشق والارادة ، وأثبتوا الأجرامها حياة روحية (١) وقالوا : ان الفلك حيوان كامل بلا رأس ولا ذنب ولا اشتها ولا غضب ، ثم أفرطوا في خواص الفلك وتقديسه غاية الافراط .

ونبي الاسلام وأوصياؤه - عليهم السلام - خالفوا الفلاسفة في هذه الآراء وتجاهروا بتكذيبهم وتخطئتهم ونهوا أتباعهم عن اتباعهم ، كما في حديث أبي بصير المروى في آخر فصل من كتاب الارشاد للشيخ المفيد انه قال للامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام : ان الناس يقولون اذ تغير الفلك فسد ؟ فقال : ذلك قول الزنادقة وأما المسلمون فليس لهم الى ذلك سبيل .

والشرع الاسلامي المقدس كما نراه لم يخالف الحكماء في أصل الفلك واسمه وإنما خالفهم في حقيقته ولوازمه .

ثم لا تخال صفاء الأحوال في افق الهيئة المتقدمة ، فان بلاء الاختلاف الناشء من قصور العلماء أو تقصيرهم متهاجم عليهم أيضاً ، فتراهم هوّماً في اعداد الافلاك وأوضاعها ونظاماتها حائرين في تصفية مسائلها وحل مشاكلها يتداوون بتكشير الأفلاك ، كما اعصوب عليهم علاج الحركات المركبة والتوفيق بينها مع المحافظة على اعتقاد استدارتها ، فالأمرهم الى تحشية الأفلاك

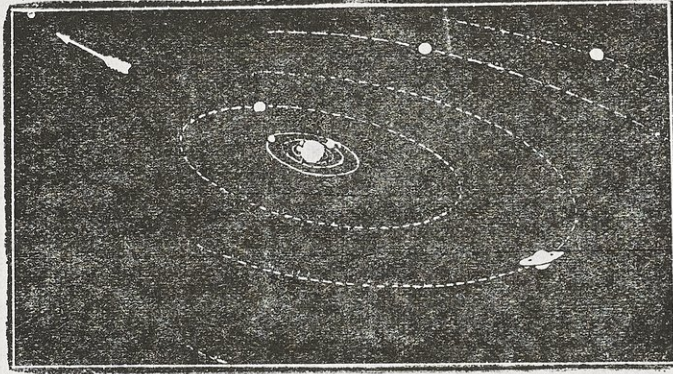
(١) نقل الطوسي في شرح الاشارات أطباق الطبيعيين على أن للأجرام حياة روحية وان لاميت في الكواكب ، وقد جنح الطوسي الى هذا الرأي ، ونقل عن ابن سينا في النمط الخامس من الاشارات الحكم به ، ونقل عن المرتضى انه لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحياة عن الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب وذلك معلوم عن دين رسول الله ﷺ ضرورة .

الكبار من الأفلاك الصغار وتأليف كل فلك كل من أفلاك خارج المركز وأفلاك جزئية وصغار من مثل وحامل وتدوير ومائل وغير ذلك ، فبلغ من ذلك عدد الأفلاك الجزئية عند الجمهور ٢٤ وعند (اودكيوس) ٢٣ وعند (كالپوس) ٣٠ ، وعند (رجومونتانوس) ٣٣ ، وعند (أرسطو) ٤٧ ، وعند (فراسكاتور) ٧٠ فلـكا . وانا فيها الفاضل محمد الحفري على ثمانين .

هكذا وقعوا في اختلاف عجيب يتبعه اشكالات صعبة قد اعترفوا بالعجز عن حلها ، وهم مع اختلافهم في عدد الأفلاك وصفاتها لم يختلفوا في وجودها ، غير اني وجدت في كتاب مشهد الكائنات في هامش ص ٤١ ان ذي مقراطيس أنكر وجود الجسم الفلكي وقال بتحرك الكواكب في فراغ الفضاء .

أما الهيئة المتأخرة فقد انكر أصحابها وجود الجسم الفلكي رأساً ولم يؤمنوا بحقيقته فضلاً عن الايمان بصفاته المتقدمة ، وما استلزم ذلك الانكار وهنا لمبانيهم ولا خلا في أرواحهم بل زاد ذلك في صحة مبناهم واستحكام نظامهم . فهم يطلقون اسم الفلك على المدارات الفرضية للأجرام السماوية ، اذ كل جرم سماوي فهو متحرك عندهم في فراغ الفضاء في مدار معين يبين مدار الجرم المائل له على نسب متناسقة نظمها ناموس الجاذبية بقدره آلهية ، كما قال على عليه السلام في وصف السماء وما فيها : « ووشج بينها وبين أزواجها » فالوشج اشتباك القرابة والأزواج استعارة بمعنى الأمثال ، أى أوجد الله سبحانه روابط متناسبة بين الأجرام وبين أمثالها حفظاً لنظامها الصالح .

وبالجملة فان الجرم السماوي متحرك لديهم على نظام دورى رجحى مستمر كما نراه في الشكل الثالث وكل جرم متحرك على نهج مستمر فان الوشم يفرض لمسيره مجرى على حسب سيره ، وذلك المجرى والمدار يسميه المتأخرون فلـكا ولا يختص ذلك عندهم بالنيرين والنجوم بل يثبت للأرض والسحب والشهب



(ش - ٣) مدار السيارات على الرأى الحديث

والرجوم . وسيأتى اثباته للسحب في الدليل الثالث عشر .

* * *

وقد اعترض على بعض العلماء وقال : لم لا يجوز الاعتراف بمسائل
الهيئة الجديدة من كون الشمس مركزاً للحركات وكون الثوابت شمساً غير
مرتكزة في فلك مع الاعتراف بثبوت الأفلاك السبعة للسيارات فقط ، وعدم
وجدان القوم تلك الأفلاك لا يستلزم عدم وجودها .

فأجبهته : ان المتأمل في مباني الهيئة الحديثة يجد اكثرها مخالفاً لوجود
الافلاك على النحو المتقدم ، ألا ترى ان الأرض عندهم سيارة من سيارات

شمسنا مع انها غير مركوزة في جسم فلكى فما وجه استثناؤها لديك ؟
 وأيضاً المذنبات تحرق عندهم مدار السيارات ذهاباً وإياباً ، فلو كانت
 السيارات مرتكزة في ضمن أجسام غلظها ملايين فرسخ لاختل موازين حركاتها
 وحركات المذنبات فضلاً عن لوازم الحرق والالتيام ، الى غير ذلك من الموانع
 والمفاسد التى لا يحل لسردها .

إذا اقتبست ما يكفيك من آراء القدماء والمتأخرين في هذا المقام صح
 ان تلقى عليك ما عرفناه من ظواهر شرعنا وانه لم يقصد من اسم الفلك الامدار
 الكوكب ومجراه . ويتدعى انضاح الحقيقة تقديم أمر ظاهر ، وهو ان لفظ الفلك
 وما يشتق منه يطلق في لغة العرب على الشيء المستدير استدارة عريضة . ففي
 القاموس وغيره : تفلك ثدى المرأة اذا استدار ، والفلك كل شيء مستدير ،
 ومنه فلكه المغزل (١) .

إذا عرفت هذا قلت : كل من أطلق اسم الفلك فانما اعتبر استدارته
 ولو بالتقريب . ومن أمعن النظر في كلمات الشرع وراجع أقوال المحمدين
 واللغويين من صدر هذا الدين وجدها ناظرة - بل وظاهرة - في المعنى المختار في هذه
 العصور ، اعنى كون المقصود من اسم الفلك انما هو مجرى سير السيار ومدار
 حركته المفروض في فراغ الفضاء لا المعنى المعروف من المتقدمين .

أما كلمات المحمدين واللغويين فقد قال ابن الأثير في النهاية : « والفلك
 مدار النجوم من السماء » . وقال صاحب القاموس : « الفلك محركة مدار النجوم »
 وقال الضحاك : « انما الفلك ليس بجسم وانما هو مدار هذه النجوم » ، فما اصرح

(١) الفلك اسم معرب عن لفظة (بلك) الفارسية بمعنى الحركة ، وأما
 سائر مشتقات الفلك بالعربية كالتفلك ونحوها فما خوذ عن الفلك .

هذا الكلام ونحوه . وقال الراغب الاصبهاني في مفرداته : « الفلك مجرى الكواكب » . وقال ابن قتيبة : « الفلك مدار النجوم الذي يضمها » . هذه الأقوال المسطورة بأسرها تنظر الى المعنى المختار في هذه العصور ، ولم يكن هذا التفسير الصحيح من هؤلاء العلماء لأجل اطلاعهم على الهيئة الجديدة لظهورها في حدود الألف من الهجرة ، ولم يكن ذلك منهم لأجل اطلاعهم على الواقعيات الخفية والأسرار الغيبية ، اذ لم يكونوا من سلسلة الانبياء وأصحاب الوحي والالهام ، وانما كانوا مطلعين على هذا المعنى الصحيح لاستيئناسهم بكلمات نبي الاسلام وأوصيائه (ع) والجرى على ظواهرها بأفكار حرة ، خلافا لغيرهم ممن مزج الشريعة بالآوهام .
وأما ظواهر الشريعة الدالة على ان الفلك هو مدار النجوم الذي تجرى الكواكب فيه فهي كثيرة نقنع منها بأربعة عشر دليلا :

الدليل الاول

قوله تعالى في سورة (يس) بعد ذكر الارض وما فيها والشمس والقمر والمنازل السماوية : ﴿ وكل في فلك يسبحون ﴾ (١) وقد استفدت اموراً لطيفة من هذه الآية المباركة :

(منها) ان الاجرام السماوية تسبح وتجرى في الفلك وفقاً للمتأخرين وخلافاً للقدماء القائلين بأن الاجرام السماوية ثابتة كالمسامير في ثخن الأفلاك لا تنتقل من مواضعها قط ، وانما حركاتها بتوسط حركات أفلاكها . وظاهر الآية يعطى عين ما تقرر في هذه العصور ، واعترف بذلك المحقق نخر الدين

(١) سورة يس آية ٤٠ وتجد هذه الجملة أيضاً في سورة الانبياء آية ٣٣

الرازي في تفسيره وقال : ان الذي يدل عليه ظاهر القرآن هو ان تكون
 الأفلاك واقفة والكواكب تكون جارية فيها كما تسبح السمكة في الماء .
 (ومنها) مشابهة الأجرام السائرة في أفلاكها للحيتان ، حيث عبر عن
 سيرها وسياحتها بالسباحة ، وسوف نشرح ذلك في الدليل الثاني .
 (ومنها) وحدة الفلك لكل سيار كما هو الرأي المختار في هذه العصور
 فان تكبير الفلك مشعر بها ، فكأنه تعالى قال : وكل في فلك واحد يسبحون
 لا في أفلاك متعددة ، كما تقدم عن المتقدمين الزاعمين امتلاء الأفلاك العظام
 من الأفلاك الصغار .

(ومنها) تحرك الأرض . فانه تعالى ذكر قبل هذه الآية أرضنا وما
 عليها من النبات وغيره ثم قال : ﴿ وكل في فلك يسبحون ﴾ فأتى بلفظة كل
 نكرة ولم يذكر المتعلق بها . ومن المعلوم ان اسقاط المتعلق يفيد العموم ، فالتقدير
 اما ان يكون وكل شيء من الأشياء المذكورة في فلك يسبحون ، واما ان يكون
 وكل شيء مطلقاً ، وعلى الأول يعطى تحرك الأرض بما عليها وفيها من
 الجامد والنامى والماشى في فلكها ، وعلى الثانى يعطيه أيضاً بنحو العموم ويوافق
 مذهب (هرشل) وأشياعه ان الأجسام الكائنة في الفضاء ليس شيء منها ثابتاً
 تحقيقاً ، بل لكل منها حركة دورية وفلك مخصوص حتى الشمس والبروج
 والأراضى والذراوى والدرارى ، فكل في فلك يسبحون وبمجد الحق جل وعلا
 يسبحون .

الدليل الثانى

قال تعالى : ﴿ والساجدات ساجداً ﴾ (١) فان الظاهر كون الساجدات كناية

(١) سورة النازعات آية ٣ .

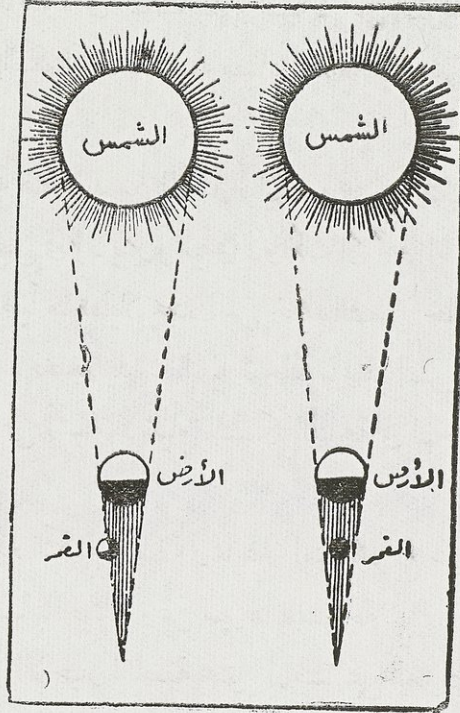
عن النجوم وفقاً لتفسير جماعة من المفسرين كقنادة وغيره ، واستعمال السبع في السير السريع في غير الماء شائع كقوله : « سبعوح لها منها عليها شواهد » .
واعلم ان ماتتلوه في الكتاب والسنة - اعني الظواهر التي اسند فيها والحركة الى نفس الكواكب - جميعه مضاد للنظام التليد وموافق للرأى الجديد والوجه ظاهر .

بقيت نكسة هنا لابد من الاشارة اليها ، وهي سر التعبير عن سير النجوم بالسباحة غالباً كما مضى في الآيتين وسيأتى ، وذلك ان أجرام السيارات يستعقب كل منها ظلاً مخروطياً مستطيلاً يحدث من خفاء الشمس خلف النصف النوعي من كل سيارة دائماً ، فتصير بذلك السيارة حالة سيرها السريع في واسع الفضاء ساحبة ظلها المخروطي أشبه الأشياء بالسمكة السابحة في البحر . (انظر الشكل الرابع) .

ولمراعات هذه النكسة اللطيفة ربما عبر امناء الشرع عن مجرى السيارات بالبحار وعنها أنفسها بالحيثان وعن سيرها بالسباحة .
وربما كانت الاخبار الناطقة بخلق أرضنا على الحوت ناظرة الى ذلك بحذف المضاف ، أى على شكل الحوت . فراجع مسألة هيئة الارض والمقالة التاسعة من مسألة تعدد الارض وشكل (٢) أيضاً .

الدليل الثالث

قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ﴾ (١) فعبر عن الافلاك السبعة للسيارات بالطرائق السبع - وهي جمع الطريقة - ليرشدنا حسب الظاهر



(ش - ٤) ظل الأرض المخروطي في الخسوف وهو شبيه بالسهم الساج

الى ان أفلاك الاجرام العالية ليست الاطرقا ومدارات لها ، ويجرى ويسلك كل جرم في فلسكه وطريقته جريان الطير في الهواء والحيوت في الماء كما يرى المتأخرون ، وليست الافلاك أجساماً عظيمة تستقر الكواكب مركوزة فيها كما يراه المتقدمون .

الدليل الرابع

قال تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ (١) احتمال في تفسير هذه الآية حذف المضاف ، أى ان القمر قدرنا سيره منزلا منزلا حتى عاد هلالا كالعرجون ، فشبهه الله سبحانه جرم القمر بالمسافر الذى يطوى المراحل ويقطع المنازل فى سيره بنفسه كما يراه المتأخرون .
وأما القدماء فتطبيق الآية على رأيهم محتاج الى تجوز والجرى على خلاف الظاهر وتقدير ان القمر قدرنا سير فلكه فى مواجهة المنازل ، وهو مع ذلك غير حرى للقبول ، فان الفلك لا يقدر سيره فى منازل حيث ان السير الوضعى من الجسم الكروى يناسبه النزول ، فان النزول يختص بالسير الانتقالى ، والقمر منتقل بنفسه فى مواضع عند المتأخرين ، فيساق عليه ظاهر الآية على أبلغ مساق .

الدليل الخامس

قال على عليه السلام فى خطبته المروية فى كتاب نهج البلاغة عند توصيفه نظم السماوات : « ثم علق فى جوها فلكا » ومعلوم ان تعليق فلك الكواكب فى جو السماوات وجوف الفضاء يناسب قول من قال : ان الفلك مدار الكواكب المنحاز فى حيز الفضاء كالحلقة المعلقة ، ولا يناسب قول من يجعل الأفلاك عين السماوات ويعتقد ان الأفلاك مستوية للعالم كله .

الدليل السادس

روى في تفسير القمي وكتاب البحار بسند صحيح عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه وصف خلق السماوات والنجوم وقال فيما قال : « وأجراها في الفلك ، ومعلوم ان اجراء الأجرام وتسييرها في الفلك انما يناسب الرأي الجديد في باب الأفلاك ، اذ الجريان يحمل على نفس الأجرام بناءً عليه كما في الخبر ، ولا يناسب رأى القدماء اذ الجريان عندهم لا يكون لنفس الجرم لثباته ولا لفلكه لأن سيره محوري غير انتقالي فلا يتحقق الجريان .

الدليل السابع

روى في الاحتجاج والبحار ج ١٤ مسنداً الى الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال فيما قال للزنديق : « ومن تدبير النجوم التي تسبح في الفلك ، ودلالة لفظه واضحة على ما قصده من تقوية رأى الأواخر وتوهين آراء الأقدمين ، ويزداد الوضوح بمراجعة ما ذكرته في الدليل الأول والثاني .

الدليل الثامن

روى في البحار ورسالة الاستخارات للسيد ابن طوس في حديث : « وانك قادر على نقلها في مداراتها في مسيرها . . . » فنسبة النقل والمدار والمسير الى النجوم تنادى بموافقة هؤلاء ومخالفة الأقدمين .

الدليل التاسع

روى في الكافي والوافي والبحار والأنوار النعمانية وتفسير القمي ومن

لا يحضره الفقيه وغيرها بالأسانيد القوية عن الامام الرابع على بن الحسين السجاد عليه السلام انه قال في خبر الكسوف والخسوف : « أمر الله الملك الموكل بالفلك ان يزيل الفلك الذى عليه مجارى الشمس والقمر والنجوم والكواكب . » والظاهر منه ان الفلك - اعنى الجوهر القدسي - يبدل الدائرة التى عليها مجرى كل من الأجرام السماوية من موضع الى موضع ، وإفراد الفلك يناسب قصد الجنس السكلى من الفلك كما يناسب قصد الفرد الواحد منه .

ولا غرو في تصور مدار واحد لجميع هذه الأجرام - فانك لو اخرجت دائرة فرضية من منطقة البروج الأرضية كانت هى المدار حسب التقريب لكل سيار باختلاف الأطوار والأدوار ، فالأرض مثلاً تجرى على هذه الدائرة في السنة مرة مع تمايل ٢٣ درجة تقريباً ، والقمر يجرى عليها ويسير بتمايل يسير وينخسف بهذا التمايل - المعبر عنه في الخبر بتبديل الملك - والنجوم السيارة أيضاً تجرى عليها بتمايل مختلف لا يزيد في المجموع على ١٨ درجة .

والخلاصة ان الخبر المذكور ينساق بظاهره نحو الرأى المختار في هذه العصور حيث اسند الجريان فيه الى نفس النجوم أو لا وجعل مجارى النجوم على الفلك كجرى الدابة على جادة ولم يجعل النجوم ثابتة في ثخن الفلك كالمتقدمين وجوز إزالة الفلك وانتقاله من موضعه وحيزه ثانياً ، مع امتناعه عند الاقدمين .

وألمع هذا الخبر أيضاً الى حصول الكسوف والخسوف لبقية الكواكب والنجوم كما اكتشفه المتأخرون ، وأما القدماء فالمشهور عنهم اثبات الكسوف والخسوف للنيرين فقط - اعنى الشمس والقمر .

الدليل العاشر

قال الطريحي في كتابه مجمع البحرين : وفي الحديث « ان الفلك دوران

السماء « وظاهره يرشد الى كون ماهية الفلك عند الشرع انما هي نفس دوران السماء المحيطة بالارض مع الارض في واسع الفضاء ، فالخبر مع مناسبته للنظام السكوبرنیکی يقوى كون السماء كرة (اتمسفر) المحيطة بأرضنا السائرة بنحو الدوران في جوف الجوو هي حاضنة لها . وسيأتى شرح هذا القول واثباته في المسألة السادسة .

الدليل الحادى عشر

روى في كتاب الشيخ الزاهد ابى الليث السمرقندى عن ابن عباس انه قال : « ان النجوم معلقة في السماء » ويؤيده ما فى خبر عبد الله بن سلام عن النبي (ص) من كون الكواكب والنجوم معلقة في الهواء ، كما انه يؤيده ما فى خبر المفصل بن عمر المشهور عن الامام الصادق (عليه السلام) انه قال فيه : « ما أجده يستقيم ان أقول ان أحداً يعلم علم هذه النجوم المعلقة في السماء . . . ولا يقع علم الحواس في علم النجوم وهى معلقة تغيب مرة وتطلع اخرى تجرى تحت الارض كما تجرى في السماء . . . اتعلمه من أهل السماء اذ كانت النجوم معلقة فيها » .
وجميع ماورد بهذا المعنى يناسب الهيئة الحاضرة القاضية بأن الأنجـم والاجرام السماوية بأسرها معلقة في فراغ الفضاء بناموس الجاذبية وقدرة الحق تعالى ، وتدور على مدار مخصوص وليست مركوزة في جسم فلكى كما عن القدماء .

الدليل الثانى عشر

روى في البحار عن تفسير القرآت عن على أمير المؤمنين (عليه السلام) في الشمس والقمر : « ان الله جعلهما يجريان في الفلك بحر بين السماء والارض مستطيل

في السماء . . . » وهذا الحديث مصرح بسير الأجرام وجرانها في نفس الفلك وفاقا للرأى الحاضر وخلافا للنظام الغابر ، ثم يشرح لنا المعنى من اسم الفلك بأنه يجرى بين السماء والأرض يعنى جهة العلو من الفضاء . وقوله عليه السلام : « مستطيل في السماء » ظاهر مختار كبير والمتأخرين ، اذ ليس الفلك عندهم غير الخط المستطيل في الفضاء العالى المنحنى بشكل دائرة بيضوية او اهليلجية تجرى النجوم فيه ، فهذا التوصيف الوارد في هذا الخبر الشريف انما ينطبق على مذهب الأواخر في صورة الأفلاك وهيئتها الاهليلجية والمستطيلة لاعلى مذهب القدماء القائلين بكروية الأفلاك .

وتشبيه الامام (ع) هذا المدار المستطيل بالبحر قد يكون لوجه ساظهرها في المقالة التاسعة من مسألة تعدد الارضين .

* * *

فان قلت : اثبت هذا الخبر فلما جرى الشمس والقمر ، مع ان الشمس في الهيئة العصرية مركز الحركات ؟

قلت : سيأتى في مسألة تحرك الشمس انها تتحرك عند المتأخرين بركتين محورية في مستقرها ، وانتقالية في بيداء الفضاء حاملة معها اتباعها وسياراتها حتى قر أرضنا فانه يتبع الشمس ويجرى معها في ذلك الفلك بحركة واحدة ، فيناسبه كثير آقوله عليه السلام : « وجعل الشمس والقمر معاً يجريان في الفلك » .

ويجوز ان يكون قوله عليه السلام : « والفلك بين السماء والارض بحر مستطيل في السماء » اشارة الى مذهب الاستاذ (كمبل) الأمريكى في سير الشمس ، فانه يعتقد ان الشمس تسير دائماً من الجنوب الى الشمال بخط مستطيل ونظامها يتبعها . وسيأتى شرح هذا المذهب في مسألة تحرك الشمس .

الدليل الثالث عشر

في البحار ج ١٤ وخصال الصدوق وغيرهما مسنداً عن الامام الباقر عليه السلام انه قال : « ان الله سبحانه لما خلق السحاب نفرت وذخرت وقالت : أى شئ يغلبنى ؟ فخلق الله الفلك فأدارها بها وذلها . . . » وهذا الحديث يحتاج الى شرح وبسط حتى يظهر مزاياه واسكننا يقتصر على موضع الحاجة ونقول : أطلق عليه السلام لفظ الفلك على مجرى السحاب ومداره في الفضاء حيث لا يرتاب احد ان الغيوم تتحرك في الجو على مدار وهمي فرضي وليس لها فلك بنظر الأقدمين ، بل لها فلك على رأى المتأخرين ، فتسمية الامام عليه السلام مدار السحاب فلكاً يقوى كثيراً استعمال لفظ الفلك في مدارات سائر الأجرام السائرة بعرف من الشريعة . ولا يخفى ان الاشتراك المعنوي عند الجميع مقدم على المجاز وعلى الاشتراك اللفظي ، فيظهر تأييد هذا الخبر لمطلبنا . ولما استقر عليه رأى الحكيم (هرشل) وشيخته ان الأجسام الكونية بأسرها متحركة في الفضاء على أفلاك ومجاري مختلفة

الدليل الرابع عشر

قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المروية في نهج البلاغة والبحار وغيرهما : « والجو المكيفوف الذي جعلته مغيطاً ليل والنهار ومجرى للشمس والقمر ومختلفاً للنجوم السيارة . . . » فصرح بجرىان الشمس والقمر في الجو - يعنى الفضاء - وصرح أيضاً باختلاف النجوم السيارة وترددها في الجولاني جوف جسم فلكي ، فينطبق هذا على الهيئة الحاضرة دون الغابرة . والمغيط موضع يمس الماء ويبلعه . فكانه عليه السلام استعار لفظ الليل والنهار لمعنى النور والظلام ، وشبهه انعدام ضوء النهار في الجو ليلاً ، وكذا انمحاء ظلام الليل فيه نهاراً بمص الجوى

وابتلاعه للظلام والضياء .

ويظهر من هذا التعبير ما استكشفه المتأخرون بآلة (سبكترسكوب)
وغيرها ان الهواء أو الجو يشرب ويمص من النور ما يقتضيه طبعه ويمج الباقي
الينا ، وقد فتح عليهم هذا الباب ألف باب من العلم ، لكن باب مدينة العلم
- اعنى علياً عليه السلام - قد علمه النبي ﷺ حسب الآثار الصحيحة ألف باب يفتح
له من كل باب ألف باب ، وربما كان هذا وأشباهه من فروع تلك الأبواب
التي يستكشف الحكيم منها ألف باب .

وأيم الله سبحانه ان المتأمل في كلمات علي وابنائيه (ع) بعد اطلاعه على
فنون الفلسفة تنفجر عليه ينابيع الحكمة ، ويصدق عندئذ من قال : ان كلام
علي عليه السلام دور كلام الخالق وفوق كلام الخلق . فهل كانت لعلي عليه السلام عين
سبكترسكوبية تجهر له كل خفي ؟ نعم كانت له عين أجلى من السبكترسكوب
وأنور من كل آلة ، وهي عين العلم الآلهي المستمدة من أنوار النبوة المحمدية ﷺ
فتطالع بالوحي والالهام على خفايا النفوس والأجرام وتجلي عن بصيرته كل
غشاء وظلام .

والجو المكشوف يعنى به الممنوع من الهطلان مع سيلان مادته الاثيرية
ونشرح - ان وفئنا الله سبحانه - بعض ما اعصوب فهمه من مصطلحات
الاحاديث كالجو المكشوف والبحر المسجور والبيت المعمور وغيرها في مستقبل
عمرنا ، ولا قوة الا بالله عليه توكلنا واليه المصير .

« المسألة الثانية »

(في هيئة الارض وما تقوم عليه)

قد كان يقرع سمعنا من قديم العصر ان الشريعة الاسلامية اكمل الشرائع الفاضلة وأبعدها عن العقائد الباطلة ، ولأجل ذلك صارت العقول تتلقى أحكامها بأحسن قبول ، فما هذا الذي نسمعه الآن من نسبة تسطيح الارض الى هذا الدين ، وقد ملأ الارحاء نداء الحكماء بكروية الارض ؟ فإزجر عن أفهامنا الشكر .

(الجواب)

لا شك ان الناظر الى الأرض من دون تدقيق ولا تحقيق يعتقد استواءها وامتدادها الى كل طرف ، ومعرفة شكلها الحقيقي مشكلة على ذوى العقول البسيطة والأسباب المبنية لذلك لم تكن في سالف الزمان ، ومن ذلك اختلف مذاهب الحكماء في هيئة الأرض ، والواصل اليها من الآراء ثلاثة عشر :

(١) - عن انكسيمايس انها مسطحة ومحمولة في الهواء كالورقة من رصاص فتعوم على الماء مادامت مسطحة وترسب فيه متى جمعت .

(٢) - عن رؤساء دين المسيح عليه السلام و باباواتهم انها ممتدة الى السفلى مستقرة على أعمدة واسطوانات ، بل نقل عنهم ما هو أشنع من هذا .

(٣) - عن بعض القدماء انها مخروطية الشكل كالجبل رأسه الى فوق وقاعدته الى السفلى ولا نهاية لأسفلها .

- (٤) - عن أنكسيمندر أنها كالأسطوانة المستديرة .
- (٥) - أنها مكعبة - أي مسدسة السطوح .
- (٦) - أنها كالدف .
- (٧) - أنها كالطبل .
- (٨) - أنها كطبل منصف .
- (٩) - عن هرقلي تس أنها كسفينة مجوفة .
- (١٠) - أنها على شكل ترس .
- (١١) - عن قدماء اليونان أنها كدائرة مسطحة مركزها بلاد اليونان ومحيطها سواحل المحيط .
- (١٢) - عن جمهور الفرس واليونان والعرب أنها كرة تامة محيطها الاستوائ مساو لمحيطها القطبي ، ولا تخرجها الجبال عن الكروية الحسية : إذ نسبة أعظم جبل عليها كشعرة على سطح كرة قطرها ذراع . وهذا الرأي لم يكن بين الافرنج الى القرن التاسع الهجري عصر اكتشاف أمريكا (١) .
- (١٣) - مختار نيوتن المتوفى سنة ١٧٢٧م والمتأخرين عنه ، وهو انها شبه الكرة وليست كرة تامة لوجود تسطيح في جانبي قطبيها ، أي يقتصر محيطها القطبي عن محيطها الاستوائي نحو ثلاثة عشر فرسخاً ، ويقصر أحد القطرين الاستوائيين عن الآخر بميلين .
- وهذا الرأي قد فاز اليوم بالشهرة وتصديق الحكاء وقيام البراهين والشواهد عليه .
- وأما الشريعة الاسلامية ففيها اشارات ودلائل على كروية الأرض بل وعلى تسطيح قطبيها وفاقا للرأي الأخير . أما الاشارات فانها تعرف من
- (١) كان هذا رأي علماء الاسلام في صدر الإسلام (ف) .

تشبيهات الأئمة عليهم السلام لجرم الأرض بالأجسام المستديرة استداره غير تامة غالباً كالرطوبة والدره والمهات والجيل من زبد وقلقة الجوز والقبه ونحوها .
وأما الدلالات (فاحداها) قوله تعالى : ﴿ رب المشارق والمغارب ﴾ (١) فان كروية الأرض تستلوم ان تكون كل نقطة فرضت عليها مشرقاً لقوم ومغرباً لقوم - كما سيأتى - فيصح تكثر المشارق والمغارب بناء على الكروية من غير ان نتكلف فى تفسير الآية .

(الثانية) - ما وجدته فى كتاب التهذيب والوافى والوسائل مسنداً عن الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال لبعض أصحابه : « مسوا بالمغرب قليلا فان الشمس تغيب من عندهم قبل ان تغيب من عندنا » وقال عليه السلام فى خبر آخر : « فانما عليك مشرقك ومغربك » .

أقول : وفى هذين الخبرين دلالة على ان المشرق والمغرب يختلفان باختلاف بقاع الأرض وان الشمس تغيب عن قوم قبل مغيبها عن آخرين ، وهذا المعنى من لوازم كروية الأرض وامتدادتها من طرف الخط الاستوائى بل كل نقطة تقرضها على سطحها هى مشرق لمن فى مغربها ومغرب لمن فى مشرق .

(الثالثة) - ما وجدته فى البحار والوسائل والمجالس للصدوق مسنداً عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال : صحبنى رجل يسمى بالمغرب ويغلس بالفجر فكسنت انا اصلى المغرب اذا وجبت الشمس واصلى الفجر اذا استبان لى ، فقال لى الرجل : ما يمنعك ان تصنع مثلاً اصنع فان الشمس تطلع على قوم قبلنا وتغرب عنا وهى طالعة على آخرين بعدنا ؟ قال عليه السلام : فقلت : انما علينا ان نصلى اذا وجبت الشمس عنا واذا طلعت الفجر عندنا ، ليس علينا الا ذلك

وعلى أولئك أن يصلوا إذا غربت عنهم .

ويظهر من استدلال الرجل على مطلبه باختلاف المشرق والمغرب الناشئ عن استدارة الأرض ومن تقرير الامام عليه السلام لكلامه والموافقة معه فيه انه كان أمراً واضحاً مسلماً بين المسلمين ، ويظهر ذلك أيضاً من فتاواهم في أبواب الصلاة والمواثيق وغيرهما .

(الرابعة) - ما وجدته في باب الحج من الكافي وفي الوافي والبحار بسند قوى عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال : « ان الله عز وجل دحى الأرض من تحت الكعبة الى منى ثم دحاها من منى الى عرفات ثم دحاها من عرفات الى منى . . . » .

تفطن الى دلالاته على استدارة الأرض العلامة المجلسي (ره) بناء على تفسير الدحو بالسط ، أى بسط الله تعالى الأرض من موضع الكعبة الى موضع منى ثم بسطها من منى الى موضع عرفات ، فانها وراء منى بالنسبة الى الكعبة المعظمة ، ثم بسطها ومدّها وطواها من تحت مركز الأرض الى ان اوصلها الى الجهة التي ابتداء منها وهي جهة منى - اعنى موضع الكعبة .

ولو فسرنا (الدحو) بمعنى الدفع والتحريك - كما سيأتى - كانت دلالاته على استدارة الأرض بالزام من العقل ، كما ان الادلة الناطقة بتحريك الأرض يستخرج منها السكروية أيضاً من جهة التلازم بينها وبين الحركة الوضعية .

(الخامسة) - ما وجدته في الكافي والبحار والانوار النعمانية وجمع البحرين للشيخ الطريحي فخر الدين وغيرها عن الامام الخامس محمد بن علي الباقر عليه السلام انه ذكر مبدأ الخلقة في خبره فقال : « خلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء نقية ثم طواها فوضعها فوق الماء » .

ولا يخفى أن تطوية الأرض كتطوية السماء ظاهرة في ادارتها ، كما

يطوى العود والكتاب . وفيها أيضاً إشارة الى تسطيحها من طرف القطبين - كما الحالة في السجل المطوى - فيكون هذا التمهيد أقرب التمايل والصور للرمز والايحاء الى هذا السر الدقيق ، ولو تصفحت اخبار الشريعة الطاهرة لما ظفرت على خبر ظاهر في أن الأرض كرة تامة . نعم انما تنطق باستدارتها من الطرف الاستوائى فقط ، أو يرمى الى تسطيح القطبين بحسب مقتضى المقام .

(السادسة) - ما وجدته في البحار وبصائر الدرجات واختصاص المفيد مسنداً عن الامام السادس جعفر الصادق (عليه السلام) انه قال : « ان منا أهل البيت من الدنيا عنده بمثل هذه ، وعقد بيده عشرة (١) »

قال العلامة المجلسي : عقد العشرة بحساب العقود هو ان تضع رأس ظفر السبابة على مفصل انملة الابهام ليصير الاصبعان كالحلقة المدورة .

أقول : كان المتقدمون يفهمون من ظاهر هذا التمثيل احاطة الامام وتسلط ولي الله على ما في الكون ، وظنى انه (عليه السلام) قصد بذلك تمثيل شكل الدنيا - أى الأرض - بشكل كرة غير تامة مثل شكل الكف المقبوضة ، فقال (عليه السلام) : « ان منا أهل البيت » ويعنى بذلك نفسه أو الوصى بعده والامام لمن تبعه « من الدنيا عنده » أى شكل الأرض « بمثل هذه » يعنى الأرض عنده كرة غير تامة مسطحة عند القطبين ومستديرة عند المشرق والمغرب مع وجود الوهاد والجبال . فما أشبه هذه الصورة بالكف المقبوضة ، ولا سيما تسطيح جانبيها . وقد صدق الامام (عليه السلام) في تخصيصه هذا العلم بوصى النبي (ص) ، اذ لم يكن في زمانه من يعتقد هذا الشكل لجرم الأرض لامن عوام الناس ولا من خواصهم وانما اكتشفه المتأخرون بعد الألف من الهجرة .

(١) وفي حديثه الآخر : ان الدنيا تمثل للامام كفلقة الجوزة ، وبسنده الآخر : ان الدنيا ممثلة للامام كفلقة الجوزة .

وبالجملة فظواهر الشرع الاسلامي قوية من جهة الصدور والظهور في الرأى الحادث لشكل الأرض ، وليس فيه ظواهر تنافي ذلك تنافياً ظاهراً ، فان قوله تعالى : ﴿ والى الأرض كيف سطحت ﴾ (١) عام الدليل على السطح المحدث والمقعر والمستوى ولا يثبت به السطح المستوى فقط لجرم الأرض حتى ينافى السطح السكروى ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ جعل لكم الأرض بساطاً ﴾ (٢) أو قوله : ﴿ فراشاً ﴾ (٣) فان البسط كثير أ ما يؤتى به لبيان قابلية الأرض لتوطن الحيوان عليها والسكنى والحرث وسهولة السلوك في منابها كما انه تعالى علل بسطها بقوله بعد ذلك : ﴿ لتسلكوا منها سبلاً ﴾ . والامر متضح لمن أنصف وتدبر .

تتمة مهمة

(فيما تقوم الأرض عليه)

قد تكرر في آثار شريعتنا من خطبها وأخبارها وأدعيتها - كما لا يخفى - ان الأرض قائمة بنفسها في الفضاء غير معتمدة ولا محمولة على جرم غير جرمها وفاقا للمحققين من الحكماء . قال الله تعالى : ﴿ ومن آياته ان تقوم السماء والأرض بأمره ﴾ (٤) قال ابن شهر اشوب هبة الله بن سلامة في الناسخ والمنسوخ :

- (١) سورة الغاشية آية ٢٠ .
- (٢) سورة نوح آية ١٩ .
- (٣) سورة البقرة آية ٢٢ .
- (٤) سورة الروم آية ٢٥ .

﴿ بأمره ﴾ يعنى بلاد عامة تدعمها ولا علاقة تتعلق بها . وقال غيره : يعنى ان اقامتها بلا مقوم محسوس هى من قدرته ، ولو كان غير ذلك لم يتحقق كونه آية ربانية .

وقال تعالى : ﴿ ان الله يمسك السماوات والارض أن تزولا ﴾ (١) أى بناموس الجاذبية العامة .

وقال على (عليه السلام) فى خطبة مروية عنه فى نهج البلاغة والاحتجاج والبحار وغيرها عند توصيفه خلق الارض : « وأرساها على غير قرار وأقامها بغير قوائم ورفعها بغير دعائم » . وقال (عليه السلام) فى خطبة اخرى مروية فى البحار وغيره « خلق السماوات والارض بلا عمد قائمات بلا سند » .

وقال النبى (ص) فى دعاء رواه السيد ابن طاوس فى مهج الدعوات والعلامة المجلسى فى البحار : « نور السماوات والارضين وفاطرهما ومبتدعهما بغير عمد خلقهما فاستقرت الارضون بأوتادها فوق الماء » (٢) .

وقال (ص) فى دعاء وداع شهر رمضان المبارك كما فى البحار وغيره : « وبسط الارض على الماء بلا أركان »

وفى دعاء يوم الاحد كما فى مصباح المتعبد والبحار وغيرهما « فاستقرت الارضون على الرواسى الشاخصات » .

ويعضد كل هذا ما سأتلوه عليك من الادلة الشرعية على تحرك الارض يومية أو سنوية ، بل ويعضده أيضاً ما تلوته من الاخبار الدالة على استدارة

(١) سورة فاطر آية ٤١ .

(٢) فى هذا الحديث اشارة الى ان أوتاد الارض - أى الجبال - هى الموجبة لاستقرارها عالية على الماء ، ولولا أصول الجبال والمواد الحجرية لذابت الارض كالرمل ولعبت المياه والامواج فيها واستولى البحر على البر .

الأرض وإن الشمس تطلع على قوم قبل قوم وتغرب عن قوم بعد قوم من الأمم القاطنة على صفاحها ، فإن ذلك كله مناف لاستقرار الأرض على جرم . نعم ، إنما يستشكل المعترض فيما ورد في الشريعة من أن الأرض خلقت على الحوت أو على قرن الثور ونحو ذلك . وفي خبر مأثور في الدر المشهور أنها بين قرني الثور ، مع الجزم بأن الأرض كرة معلقة في جوف الفضاء يحيط بها من أطرافها كرة الهواء . ولذا لم يؤمن بهذه الأخبار كثير من الفضلاء وأولها جماعة إلى المعاني الباطنية .

وقد من الله تعالى على بفتح مقفلها وحل مشكلها بتقدير المضاف ، وهو امر شائع عند البلغاء ، والمعنى أن الأرض خلقت على شكل قرن الثور - بناءً على القول المختار في هذه العصور - فيكون التناسب بين هيئة الأرض وهيئة قرني الثور من جهات :

(الأولى) - أن وضع القرون في الثيران على الاستدارة من طرفي اليمين والشمال ، وكذلك الأرض مستديرة من طرفيها المشرق والمغرب ، فيناسب ذلك ما في بعض الأخبار من أن قرناً من قرني ذلك الثور في المشرق والقرن الآخر في المغرب . ومن الغريب أن استدارة القرن بهذه الكيفية مخصوص بنوع الثيران ليس لباقي الأنعام وذوات القرون مثله على ما استقريناه (الثانية) - إن شكل القرنين في الثور مسطح من طرفيه الأعلى والأسفل ومحدب مستدير من جانبيه اليمين واليسار ، وقد عرفت استكشاف (نيوتون) وإصرار من تأخر عنه على أن الأرض مستديرة الجانبين مسطحة القطبين ، وذكرنا أن هذا المعنى المستخرج بالآلات الدقيقة والأفكار الحادة مستفاد من أخبار وافرة عن النبي وعترته الطاهرة (ع) .

(الثالثة) - أن جرم الأرض على الدوام واقع في طرف مدار يضيوي

وكذلك قرنا الثور واقعان في موضع من رأسه ، لو فرض خط وهمي من موضعها إلى ذقنه بحيث يحيط بتمام رأسه ذلك الخط ظهر شكل المدار البيضوي ولو اعتبرت المدار بدن الثور ايضاً كان قرناه واقعين في موضع من البدن لو فرض خط وهمي من موضعها الى موضع الذنب بحيث يحيط بجذته ذلك الخط ظهر ايضاً شكل المدار البيضوي .

فالخدس يطمئن بأن الحجج - عليهم السلام - لم يجدوا مساعداً لتوضيح هذه العلوم والأسرار لجهال عصرهم فأدرجوها في طي كلماتهم ورمزوها في ضمن اشاراتهم لأجل ذلك ، وضربوا للإشارة الى مطلوبهم تمثالا جامعاً لأكثر الجهات بأخصر العبارات ، حتى إذا تلى بعدهم على اهل العلم والتحقيق استخرجوا من طيه السر الدقيق .

وهكذا العلاج في خلق الأرض على الحوت - أى على شكل الحوت كما سأشرحه في المقالة التاسعة من مسألة تعدد الأرضين عند شرح البحار السماوية ، وسيتضح هنالك شرعاً أن الأرضين السبع كل منها مخلوق على صورة الحوت والسمة وفاقاً للهيئة الحاضرة .

وكان السائلين من الحجج (ع) عما تقوم عليه أرضنا كانوا على اصناف: (فمنهم) من قرأ الصحف الآلهية وحفظ العهود القديمة المذكور فيها خلق الأرض على الحوت أو قرن الثور أو الصخرة ونحوها ، فكان يقصد من سؤاله امتحان علم النبي الأحمى وخلفائه المعصومين ، وعندئذ كان الواجب عليهم أن يجيبوه كما حفظه وفهمه من الصحف لئلا يسئ الظن بعلمهم (ع) . (ومنهم) من استغرق في جهله بحيث لو أجابوه بأن الأرض مع عظمتها متوسطة في الفضاء بين الهواء لكذبهم البتة ونسبهم الى ما لا يليق بحضرتهم ، فكان الحجج (ع) من حسن تدبيرهم يظهرون الحق على صورة

يقنع العامى بها ايضا ، فيقولون : هي على قرن الثور أى على شكل قرن الثور ، فاذا سأهم عن الثور قالوا : هو على حوت أى على شكل حوت ، واذا سأهم عن الحوت قالوا : على الماء ، فاذا سأهم عن الماء قالوا : على الظلمة أى ظل الأرض أو على قدرة الله تعالى . وربما قالوا عند ذلك : هيئات هيئات ههنا ظل علم العلماء ، وجميع هذه الأجوبة حق وصدق حاو على اسرار جليلة .

« المسألة الثالثة »

(في تحرك كرة الأرض)

قد شاع في هذه العصور أن أرضنا متحركة بجميع ما فيها وما عليها ،
وان الاجرام السماوية كالشمس والقمر والنجوم لا تدور حقيقة وحول الأرض
يومياً بل الأرض تدور على نفسها مرة في كل ٢٤ ساعة ، وبسبب ذلك
تطلع عليها الاجرام ثم تغيب . وهذا الرأي العجيب أن صح فلماذا سكنت
عنه شرع الاسلام عند ما كشف لنا خفايا الاجرام ؟

(الجواب)

لا ريب أن الناظرين إلى أرضنا نظرة بدوية يعتقدون انها ساكنة في موضعها
واجرام السماء هي الطائفة حولها في كل يوم وعام ، وقد استحسنت هذه
العقيدة من قرون بعيدة في عقول البشر حتى عدت من أبده
الواضحات ، ولذلك كان اختيار - دوران الأرض من الوهن والغرابة بمشابة
صعب حتى على الحكماء تجويزه . واول من كشف السر عن هذا السر (فيثا
غورس) النابغ قبل الميلاد بقرون بخمسة وتبعه (فلو طرخوس) و
(ارخميدس) ثم قوى رأيه (ارسترخوس) الساموسي بعده بقرنين ، وعلم
دوران الأرض السنوى حول الشمس ايضاً فشكى عليه بالكفر . ثم نبغ
بعده بنصف قرن (كليا ثيوس) من اسوس واختار الحركتين للأرض فشكى
عليه ايضاً بالكفر امام الحكماء . ثم ظهر (بطليموس) بعيده بقليل فأوضح

سكون الأرض الذي كان الناس يزعمونه فطرياً ويحسبونه بديهياً ورتب الأجرام السماوية والحركات الفلكية على ما فصله في المجسطى وأوجزناه في المقدمة السادسة ، فنال نظامه الصوت والصيت في العالم المتمدن حتى أصبح المتفلسفون من المسلمين وغيرهم ينقحون هيئته ويدافعون عنها ، وكان في مهرتنا من يدفع الموانع عن تحرك الأرض أيضاً كالعلامة الطوسى نصير الدين والفاضل العاملى بهاء الدين .

وكان الأفرنج يومئذ غارقين في الضلالة عريقين في الجهالة ينظرون الى المسلمين اشد من نظرنا اليوم اليهم كما قال الله تعالى : ﴿ تلك الايام نداولها بين الناس ﴾ وكان استبداد البابا وبين قد منع الأفواه والأفهام منهم عن التحرك في سبيل العلوم العقلية واظهار ما لا تقبله الكنيسة ، وقد احرقت ألوفاً من المستنيرين بعلوم الاسلام وفلسفة ابن رشد القرطبي .

وحسبك أن الحكيم (برونو) نطق بسير الأرض قبل الألف الهجرى فهجروه عن أوطانه ثم سجنوه ست سنين ثم احرقوه واحرقوا كتبه واجترى الحكيم (غاليله) بعد الالف الهجرى فأثبت الحركتين للأرض فأهانوه واضطهدوه حتى قارب الهلكة ، ثم سجن طويلاً مع جلالته وحقوقه العلمية (١) .

من جراء هذه الحوادث واشباهها صار حكام الأفرنج يكتمون كشافياتهم الأنيقة المخالفة للخرافات العتيقة حرقاً من الكنيسة الرومية ، ولكن

(١) يقال انه اوقفوا غاليله مرة امام مجلس التحكيم واجبروه ليرجع عن قوله والاقتل فقال : اننى غاليله بعد عمر ٨٠ سنة اشهد بأن الشمس تدور حول الأرض ساكنة . . فلما خرج قال لأصحابه : ان الرأى الذى يثبت في القلب في هذا العمر لا يخرج منه بهذه الاضطهادات .

الثقافات الحديثة التي محت عنهم تلك التوحشات وحررت رقابهم وافهمهم وألستهم واقلامهم اراحت عالماً من العلماء في اظهار الآراء والعلييات المربية للبشر ونظامه ، فجالت بذلك الحكماء في ميادين العلوم وجادت بما استفادت حتى اضحت الغرائب العلمية ينطق بها الشيخ والصبي ويتلقاها من كثرة التوضيحات كل ذكي وغبي .

واول من نطق بتحريك الأرض من الافرنج هو (الكريدينال ديكور) ثم (الكريدينال اليناكوس) ثم (جون مولار) لكنهم لم يتجاهروا بالقول ولا أتوا بأدلة مقنعة على هذا الأمر المستغرب في ذلك الوقت ، حتى قام (كوبرنيك) في حدود الألف الهجرى واقام ادلة قوية وكتب الرسائل والكتب في هذه المسألة ، فصار بذلك محيياً ومؤسساً للهيئة الجديدة وسلك الحكماء مسلكه . فأصبح اليوم هذا النظام هو الشائع بين الأنام واضحي تحرك الأرض من جملة المسلمات الواضحة لو فور الشواهد العلمية عليه وإشارة البراهين اليه ، مثل تجارب (فوكات) بالرقاص القطبي ، وميل الأجسام الساقطة من مرتفع الى شرقي مسقطها الحقيقي ، وآلة (جير سكوب) وانحراف النور ، ومبادرة الاعتدالين ، وتأخر القطار الغربي عن الشرقي نحو ميلين في الساعة وغيرها .

وخلاصة القول : إن اختيار تحريك الأرض في العصور الماضية اذ كان بمكان من الغرابة والوهن لم يكن للأنبياء ودعاة الآخرة اعلان دعوته ، حيث تصدهم مخالفة الجمهور عن انفاذ وظائفهم المقدسة - كما مر في المقدمة الخامسة وغيرها - مع أن خطأ الناس في مثل ذلك غير مفسد لأمر معاشهم او معادهم ، فلو سكنت شرع عن اثبات مثل ذلك أو نفيه أو سلك فيه مسلك العرف عما شأنه ومداراته من باب السياسة لم يقع موقع لوم العقلاء

او ذمهم .

واما الاسلام فاذا كان ظهوره في ابناء جاهلية أو همجية لا يؤمنون بما وضحته الأدلة فضلا عن الحقائق النظرية المخالفة لمعتقداتهم سلك طريقة العقلاء معهم فأوما الى هذه الدقائق في بدو البعثة بطريق الايجاز والاجمال ، ثم على حسب تنورهم بالمعارف شرح لخاصتهم تلك الأقوال . واذكر الآن ما ظفرت عليه في الكتاب والسنة من الظواهر المشعرة او المصرحة بتحريك الأرض .

اما القرآن العظيم ففيه آيات بينات تفيد ذلك :

(احداها) - قوله تعالى : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها . اخرج منها مائها ومرعيها . والجبال ارساها ﴾ (١) . تظن بدلالة هذه الآية والثانية والثالثة سيدنا العلامة السيد محمد حسين الشهرستاني المرعشي الكركي المتوفى سنة ١٣١٥ في رسالة نشرها في حركة الأرض سنة ١٣١٣ ، ويلزمنا شرح ما اشار اليه فنقول : دحو الأرض امر متواتر في مقالات شرعنا بألفاظه وبمعانيه - كما لا يخفى - وكان المسلمون جميعاً حتى اليوم يفهمون من لفظ الدحو معنى البسط ، ويفسرون به كل ما ورد في الشرع ، لكننا بعد الرجوع الى كتب اللغة ومواضع استعمال العرب لهذا اللفظ وما اشتق منه نجد جملها أو كلها تشير الى معنى آخر للدحو - اعني به الدفع والدحرجة - ونرى معنى البسط لم يذكره بعض اللغويين للفظ الدحو وذكره الآخرون من جملة المعاني المستعملة نادراً كما ستعرف ، فينقدح من ملاحظة ذلك في الفهم مظنة ان المراد من الدحو الوارد في الكتاب والسنة انما هو معناه الشائع الظاهر لدى عرف العرب - اعني به الدفع والدحرجة - لكن المفسرين ونحوهم اسأوا النفسير حيث استحال في عقولهم تحريك الأرض عن مقرها فوجهوا اللفظ

الى معنى آخر يناسب مبلغ علمهم ، وهو معنى البسط .
ولعمري ان الاستبداد العلي من المفسرين ونحوهم غرس اصول
الخلاف في المسلمين وفعل ما فعل وسيفعل ، ولا يزال الداء الاضد ما اوجده

* * *

ويجب الآن ذكر الشواهد على ان الدحو لغة معناه الدفع والدرجة :
(فمنها) ما في القاموس : « دحيت الابل اى سقتها ، والمدحاة خشبة
يدحى بها الصبي فتمر على الأرض لا تأتى على شىء الا اجتحفته » . يعنى لا
تمر على شىء الا جليته معها ، والحركة فى هذه العربة الخشبية ايضا مركبة
من الوضعية والانتقالية كسير الأرض ، وعلى هذا يكون التعبير عن حركة
الأرض بالدحو فى غاية المناسبة ، اذا الأرض عند المتأخرين فى حركتها
الانتقالية لا تمر بكرة صغيرة فى الفضاء الا جذبتها الى نفسها .

(ومنها) ما فى مفردات الراغب قال : « والأرض بعد ذلك دحاها »
اى ازالها عن مقرها ، وهو من قولهم : دحا المطر الحصا عن وجه الأرض
فيدحو ترابها ، ومنه ادحى النعام « فدحو الحصا بالمطر وكذلك دحوا جزاء
التراب بحافر الفرس انما يكونان بالحركة المركبة من الوضعية والانتقالية على
مثال حركة الأرض المركبة من سبر وضعى حول نفسها وسير انتقالى
حول شمسها .

(ومنها) ما اشتهر فى نعت على امير المؤمنين (ع) انه داحى باب خيبر
اى راميتها (١) ، ورمى الشىء بالحركة الانتقالية لا ينفك غالباً عن دوران
(١) ورد فى ذلك آثار لا تحصى واشعار لا تستقصى ، ولا يناسب

دحو باب خيبر معنى البسط ، قال ابن ابى الحديد فى السبع العلويات :

ياداحى الباب التى عن هزها عجزت اكف اربعون وأربع —

على نفسه .

(ومنها) ما في صحاح الجوهري : «الأدحوة مبيض النعام في الرمل لأنها تدحوه عند حفرها برجلها ثم تبيض فيه ، ودحو النعامة للرمل ايضاً تحريك منها له بنحو الدحرجة كحركة الأرض في الفضاء وكذلك دحوها للبيض (ومنها) ما في كتاب اقرب الموارد : «دحى المطر الحصى على وجه الأرض دفعها ، ويقال لللاعب بالجوز : ابعده المدى واحده ، أى ارمه . ومر الفرس يدحو دحواً رعى بيديه رمياً ، فلغة الدحو تفيده معنى التحريك بنحو الدحرجة في الجميع في الحصى والجوز والتراب كمتدحرج الأرض في الفضاء .

(ومنها) ما في البحار وغيره عن امير المؤمنين (ع) انه قال في خبر طويل : «فلما خلق الله الأرض دحاها من تحت الكعبة ثم بسطها على الماء فأحاطت بكل شيء ، فان الدحو لو كان بمعنى البسط لا ستغنى عن قوله : «ثم بسطها ، فعطف البسط على الدحو دليل المغايرة ، خصوصاً اذا كان العطف بحرف (ثم) الدال على الترتيب مع تراخي زمان الثاني عن الأول . ويشير هذا الخبر إلى كروية الأرض ايضاً لقوله (ع) : «فأحاطت بكل شيء» فان احاطة الجسم كناية عن استدارته ، والمراد من الشيء هو الشيء الأرضي قطعاً وترتيب تكوين الأرض في هذا الخبر موافق لآراء المتأخرين ، اعنى خالق الأرض اولاً ثم تحريكها ودحرجها ثم كرويتها الناشئة عندهم من

— وفي ارشاد المفيد في صفة صخرة قلعتها على (ع) عن فم القليب قال : فحركها على (ع) ثم قلعتها بيده ودحى بها أذرعاً كثيرة . كما قال السيد اسماعيل ابن محمد الحميرى في قصيدته البائية المذهبية :

فكأنها كرة بكف حزور عيل الذراع دحى بها في ملعب

دورانها على نفسها ، فافهم .

(ومنها) ما في النهاية لابن الاثير المتوفى سنة ٦٠٦ قال : « وفي حديث ابن عمر : فدحى السيل فيه بالبطحا ، اى رمى وألقى ، ومنه حديث ابي رافع : قد كنت ألاعب الحسن والحسين عليهما السلام - اى فى حالة الطفولة - بالمداحى ، وهى احجار امثال القرصة - اى مستديرة - كانوا يحفرون حفيرة ويدحون فيها تلك الاحجار ، فان وقع الحجر فيها فقد غلب صاحبها ، والدحو رمى اللاعب بالحجر والجوز وغيره . وسئل ابن المسيب عن الدحو بالحجارة فقال : لا بأس به ، اى المراماة بها . فلفظة الدحو وفروعها مستعملة جميعاً فى تحريك يشبه الدحرجة كدحو السيل للرمـل ودحو اللاعب للجوز والاحجار المدورة وكذلك الموارد السابقة ، وهو دليل على أن هذا المعنى حقيقى لهذا اللفظ لكونه المتبادر منه إلى الافهام والظاهر فيه والأكثر استعمالاً بخلاف المعانى الأخرى ، فيكون تفسير اللفظ به اولى فيتم مطو بنام الآية المقدسة ، اعنى تدحرج كرة الأرض فى الفضاء بحركة مركبة من وضعيّة وانتقالية كالجوز الذى يرميه اللاعب وغيره بما ذكر .

ويعتضد فهم هذا المعنى انه تعالى عقب قوله : ﴿ دحاها ﴾ بقوله : ﴿ اخرج منها مائها ومرعاها ﴾ فان نبوع المياه ونبوغ الاشجار وتغيراتها متفرعة على حركة الأرض يومياً وسنوياً الموجبة لانقلاب طبائع السكون واختلاف الفصول والاحوال ، فيناسب وضع اخراج الماء والمرعى بعد وضع تحريك الأرض ليوافق الوضع الطبيع .

(الآية الثانية) - قوله تعالى : ﴿ الذى جعل لكم الأرض مهداً ﴾ (١) فان المهد فى العرف واللغة اسم للضجع المعمول للرضيع ونحوه من خشب او غيره

(١) سورة طه آية ٥٣ وسورة الزخرف آية ١٠ .

حتى يهتز الطفل بنعومة فينام فيه مستريحاً ، فيجوز تشبيه القرآن ارضنا بمهد الطفل وأن الله تعالى جعل الأرض مهداً لعباده ينامون فيها وينامون ، وكما ان المهد ناعم في حركته مع سرعته لا ميلان فيه ولا اضطراب كذلك الأرض تتحرك في الفضاء بنعومة وسهولة لا تميل ولا تميّد ، حتى تنافي استراحة أطفالها الرايين فيها بعناية الله تبارك وتعالى . وكما أن تحريك المهد مطلوب لتربية المولود وتنميته كذلك الأرض تتحرك يومياً وسنوياً وميلياً لتربية ما عليها من المواليد وتنميتهم ، لا سيما وأن هذه الآية في مقام الاستدلال على جواز البعث والمعاد فيكون رجوع الأرض في حركتها الدورية أو الخطارية المليية شاهد رجوع الانسان ومعاده بعد وجوده الأول وايابه بعد ذهابه . فشارع الاسلام قد نبه الانام بتحريك الأرض على احسن اوجه التشبيه قبل أن يتفطنوا به بعشرة قرون لكنهم من استبعادهم لذلك كانوا يفسرون المهد بالفراش .

إذا لم يكن للبرء عين صحيحة فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر
(الآية الثالثة) قوله تعالى : ﴿ وهو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه . . . ﴾ (١) فان الذلول لغة وعرفا يطلق على صنف من الابل يمتاز عن غيره بنعومة الحركة وسرعة السير وسهولة الركوب على مناكبه ، وحيثما كانت هذه الصفات كاملة في الأرض بناءً على تحريكها واطلق الشارع اسم الذلول المعروف بهذه الصفات على الأرض جازلنا استظهار تحريك الأرض من هذه الآية الشريفة لو لا مانع قطعي خارجي .

ولا يذهب عنك أن الآية تعطي بظاهرها معنى آخر ، وهو جعل

الأرض ذلولا لاستفادة ابنائها ، أى ذليلة ومنقادة للزرع فيها والمشى عليها
ليكنها مع ذلك مناسبة مع رأى الجديد أيضا ودالة عليه بنحو التشبيه والتجوز
القريب - على ما مضى من التقريب - بحيث لو فرضنا الشارع يدعى ارادة
هذا المعنى الجديد من الآية لما جاز الانكار عليه بقصور الآية عن اظهار هذا
المرام ، لمساعدة الآية مع المعنى الحادث .

(الآية الرابعة) - قوله تعالى : ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمرمر
السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء﴾ (١) لم اجد احداً أسبق من الفاضل
اعتضاد السلطنة على قلى ابن الخاقان فتحمل شاه قاجار من حيث التفطن بدلالة
هذه الآية المباركة على المطلوب ، وقد اشار الى ذلك قبل اليوم بأكثر من
خمسین سنة ، ولا يحصى من الشرح فنقول : أن الايات السابقة على هذه الآية
مسوقة لبيان احوال القيامة واحوالها . وبمناسبة ذلك كان القدماء يقيسون
هذه الآية ايضا عليها ، ولكن تحرك الأرض اذا صح وتم جاز لنا استظهاره
من هذه الآية وصرفها عن سياق ما سبق عليها (٢) .

ورجح فى النخبة الأزهرية هذا التفسير على تفسير المتقدمين بأن
البلاغة تقتضى عند الإخبار عن الفناء والتدمير واهوال المصير أن يقول :
«قهر الله الذى يفنى كل شىء» ونحوه ، ولا يناسب قوله تعالى : ﴿صنع

(١) سورة النمل آية ٨٨ .

(٢) الخبر بأحوال القرآن الكريم يعترف بأنه قد نزل تدريجاً ثم جمع
ودون ، فكانت تنزل آية فى احوال القيامة ثم تنزل آية اخرى فى شأن شخص
او حكم ثم تنزل آية فى شأن القيامة ايضا أو غيرها حسب مناسبة المقامات
واقضاء الحالات ، فلا يتم التمسك بدلالة السياق فى آيات القرآن .

الله الذي اتقن كل شيء ﴿ الا عند التعمير وبدو التكوين وتحسين الخلقة (١) والجل الواقعة في الاية ايضاً تشهر بأن الحكم فعلى والصفة ثابتة وليس مما سيحدث في المستقبل ، مثل ﴿ وهى تمر ﴾ و ﴿ اتقن كل شيء ﴾ .

✱ ✱ ✱

وقد استفدت من هذه الاية لطائف ، منها :

١ - جعل الجبال مرآة لتحرك الأرض دون نفس الأرض ، فان الأرض كرة متحركة على نفسها : وكل كرة متحركة على نفسها لا تظهر الحركة فيها الا اذا كان عليها تضاريس أو تلونات ونقوش ، فتظهر الحركة حالة اذ بواسطة ظهور حركات تلك التضاريس أو الألوان وانتقالها من مكان الى مكان فرعاية لهذه اللطيفة قد يكون الله تعالى جعل الجبال مرآة لتحرك الأرض ومظهر آله .

٢ - توصيف الجبال بالجمود دون السكون أو الركود ، اذا الجمود قد

(١) ولدى قرائن اخرى تدل على ذلك :

(منها) قوله تعالى : ﴿ تحسبها جامدة ﴾ فانها تعطى بظاهرها أن الانسان يوم القيامة يبصر الجبال جامدة والحالة انها في الواقع تمر مر السحاب ولا ريب أن ذلك لا يحدث فيه هولا حتى تكون من احوال القيامة . نعم انما تحدث فيه هولا اذا كانت تمر مر السحاب في نظره وحسبانه ، فلا يجوز ان تكون الاية لبيان احوال القيامة وانما يجب حملها على الحالة الحاضرة الدنيوية .

(ومنها) قوله تعالى في آخر الاية : ﴿ انه خير بما تفعلون ﴾ فان الاية لو كانت لبيان احوال القيامة لناسب ان يقول : « انه خير بما فعلتم » لا بالجملة الحالية المفيدة للتجدد .

يكون ابلغ في المقام وابعد من احتمال الحركة ، فتشعر الاية بامتناع سير الجبال في زعم العرف كالجامد في محل ، مع انها تمر في الحقيقة مر السحاب .
٣ - التعبير عن هذه الحركة بالمرور ، اذا المفهوم منه نعومة الحركة كما هو شأن حركة الأرض .

٤ - تشبيه الجبال بالسحب في مسيرها لمناسبة بينهما من جهة السرعة مع النعومة ، ومن جهة اختلاف الحركات في السحب شرقا وغربا وشمالا وجنوبا كالأرض في حركاتها التي يأتي تفصيلها في آخر هذه المسألة ، ومن جهة تشابه الحركة في كل سحب واستوائها اذ لا تسير مضطربة ولا بنعندو القفز .
(الآية الخامسة) - قوله تعالى : ﴿ ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها والأرض أثتيا طوعاً او كرهاً قالتا اتينا طائعين ﴾ (١) وهذه من الآيات التي

تفطنت باشعارها بتحريك الأرض وذكرها مع غيرها في غير هذا الكتاب . والبيان الموجز هو : ان الاتيان ظاهر لغة وعرفاً في الحركة الحسية الانتقالية ، والقدماء اذ لم يجوزوا تحريك الأرض طففقوا يؤلون هذه الظواهر الى غير حقائقها ، ولو صح تحريك الأرض لم نحتاج الى تأويلاتهم وكان موافقة ظاهر اللفظ أولى ، لاسيما بعد البناء على ان السماء الدنيا هي الاثو مسفر المحيط بأرضنا كما يشبهه قوله تعالى : ﴿ وهي دخان ﴾ وسأثبته في مسألة حقيقة السماوات وفي مسألة الرجوم ، فان السماء الدنيا مع أرضنا تتحركان معاً في جوف الفضاء بحركات مختلفة وضعية وانتقالية حول الشمس وحول أنجم (هر كول) كالكرة المتدحرجة .

فيكون معنى ظاهر الآية ان الله تعالى توجه الى السماء بنظرة عنائية ﴿ وهي دخان ﴾ أى بخار ماء ﴿ فقال لها وللأرض ﴾ بأمر واحد تكويني ﴿ اثتيا ﴾

أى انتقلا وتحركا من حيز كما معاً ﴿ طوعاً ﴾ لنظام هذه الشمس ﴿ أو كرها ﴾ عنها وطوعاً لنظام آخر واتباعاً لجاذبية عالم آخر ﴿ قالتا ﴾ بلسان الحال الذى هو أفصح من المقال ﴿ أتينا طائعين ﴾ لهذا النظام خاضعين لنواميس هذه الجاذبية التى سنها الله تعالى فى هذا العالم .

ولو تأمل الحكيم فى أسرار هذه الآية المقدسة لاطلع على أسرار الأرض فى مبدأ خلقها وأصل تكوين عالم الشمس .

وخلاصة الكلام ان القرآن العظيم مشحون بالآيات الناطقة بالآراء الجديدة لاسيما تحرك الأرض ، ولم نجد فيه آية واحدة تدل على سكون الأرض فى حيز مخصوص بها دلالة تامة .

ومادل على ان الله تعالى جعل الأرض سكنياً وقراراً لا يدل الا على انها مسكن لما عليها ومقر لما فيها .

* * *

وأما مادل على جعل الجبال أوتاداً فى الأرض فلا يدل على سكون الأرض فى مقر بلا سير ولا دوران ، فان الوتد على قسمين : خارجى وداخلى (أما الاول) فهو ما يضرب بغرض أن لا يزول الشئ عن مقره ، مثل وتد الدابة الذى يربطها بمعلفها لئلا تزول عن موضعها ، وهذا القسم من الوتد يجب ان يكون مركزه ومضربه فى شئ آخر ثابت مستقر غير ما قصدت ان لا يزول ، ولا يجوز ان يضرب هذا الوتد فى نفس الشئ قطعاً . الا ترى ان الدابة لوربط وتدها بنفسها لهربت من دون مانع .

(واما الثانى) ما يضرب بغرض ارتباط أجزاء بعضها ببعض كالأوتاد فى الأبواب لبقاء اتصال الأخشاب ومثل الدسر والمسامير فى السفينة لئلا تنفسخ الأجزاء وتتفرق عن وضعها . وهذا القسم من الوتد يجب أن يكون فى نفس

الشيء لا في الخارج عكس الأول كما هو واضح .

وبعد ما عرفت تقسيمى هذا فانظر الى الجبال التى خلقت أو تادأ للأرض هل ركزت فى نفس كرة الأرض لتكون من الثانى أو ركزت فى الخارج لتكون من الأول ؟ لا يرتاب عاقل فى كون الجبال أو تادأ داخلية فى الأرض خلقت فيها الترابط الأجزاء بعضها ببعض وتحفظ صورة اتصالها عن التفرق والانفصال ولم تخلق فيها لتمنعها عن السير والحركة . فلو خلقت للسكنى فيها فى مقر - كما يزعمه القدماء - لركزت فى جرم آخر ثابت غير الأرض .

وبالتأمل يتضح لك أن الجبال واصولها والمواد الصخرية انما خلقت فى الأرض لتمنع سلطان المياه والارياح عنها ، فانها لو كانت رمالا محضاً لنسفتها الزوابع وجرفت بها الأمواج على الدوام واستولى البحر على البر وانسابت رمال الأرض كلها الى البحر ، فأمسك الله تعالى الأرض بمواد الجبال من ان تمور فى البحور أو تميد وتنقاد لسلطان الأمواج ، ووتدها بالجلاميد لتصان من التفرق والانفراج والأود والإعوجاج اذا عبثت بها الزوابع فلا تذهب عجاجا ويختل نظام العيش والسكنى للنبات والحيوان البرى .

فما جاء فى شرعنا بكون الجبال أو تادأ للأرض لا يشعر بسكون الأرض بل يشعر بأنها متحركة خلافاً للقدماء ، وبيانه الموجز : ان الأرض مركز المراكز عند القدماء يستحيل ميلها الى شيء ، فلو كانت ساكنة فى الوسط - كما يزعمون - لاستغنت عن الاوتاد مائة كانت الأرض أوجامدة ، اذ لا يميل حينئذ جزء منها الى غير مقره فيكون ضرب هذه الأوتاد العظام عبثاً ، ولذلك ترى القدماء كالعلامتين الرازى والمجلسى فى اضطراب عظيم هاهنا ، وأما على تحرك الأرض فلا بد فيها من صخور وجبال ، اذ لو كانت تراباً محضاً أو طيناً أو نحوه خالية عن المواد الصلبة وعن الجبال الراسية الراسخة فى أعماق الأرض

المستمسكة بأصولها وأوصالها لحيف على الأرض من التفسخ في الفضاء بالحركات المختلفة على أسرع سير ، أذهى تسير بسيرها اليومى أكثر من أربعة فراسخ في الدقيقة الواحدة وتسير بسيرها السنوى بأسرع من ذلك في الثانية الواحدة . وعلى هذا اذا استمسك أبعاضها بأصول الصخور وعروق الجبال حفظت من حادث التفرق ولو بنفس تبدل الحيز لتلك الأجزاء .

وقد ظهرت فائدة الجبال التي صارت ، أو تاداً للأرض حال تحركها ، وهي حفظ أجزائها من الميلان والميدان (١) كما جاء في القرآن الكريم : ﴿ وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بهم ﴾ (٢) أى مخافة أن تضطرب اجزائها بهم وانتم عليها . وفي أول خطبة من نهج البلاغة : « ووتد بالصخور ميدان أرضه » وفي الخطبة الأخرى : « وعدل حركاتها » أى الأرض « بالراسيات من جلاميدها » وفي الدر المنثور قال النبي (ص) : « فدحى الله الأرض » أى حركها « من موضع البيت » الكعبة « فمادت ثم مادته فأوتدها الله بالجبال » . ولو تصفحت أقوال القدماء واضطربهم في شرح هذه الآيات والروايات لما برحت عن هذا التحقيق .

☆ ☆ ☆

(١) قال ابن الاثير في النهاية في مادة (ميد) : وفي الحديث : « لما خلق الله الأرض جعلت تميم فأرساها بالجبال » ماد يمد اذا مال وتحرك ، ومنه حديث ابن عباس : « فدحى الله الأرض من تحتها فمادت ، ومنه حديث علي عليه السلام « فسكنت من الميدان برسوب الجبال » الى ان قال ابن الاثير : ومنه حديث ام حزام : « المائد في البحر له أجر الشهيد » وهو الذى يدار برأسه من ريح البحر واضطراب السفينة بالأمواج .

(٢) سورة النحل آية ١٥ .

وأما الأخبار المأثورة عن النبي والأئمة من أهل بيته عليهم السلام فهي كثيرة أيضاً تقتصر منها على خمسة :

(الخبر الأول) - ماروى فى الاحتجاج والبحار مرسلًا عن هشام بن الحكم عن الامام الصادق عليه السلام انه قال فى أجوبته للزنديق : « ان الاشياء تدل على حدوثها من دوران الفلك بما فيه وهى سبعة أفلاك وتحرك الارض ومن عليها وانقلاب الازمنة واختلاف الوقت ... ، فقله عليه السلام : « وتحرك الارض ومن عليها » يعنى البشر وغيره ، وهو تصريح فى إثبات حركة مستمرة للأرض كحركة من عليها وكحركة ما فى الفلك من حيث الحسية والانتقال بمقتضى قياس السياق ، ولا يحمل لهذا البيان الا رأى المتأخرين فى تحرك الأرض .

وقوله عليه السلام : « وتحرك الأرض » يصلح للحمل على حركتها اليومية وعلى حركتها السنوية أيضاً ، ولكن التأمل فى ألفاظ الخبر يرجح الحمل على الحركة اليومية ، فان السنوية مفهومة بالاجمال من قوله عليه السلام : « من دوران الفلك بما فيه » فان الأرض أيضاً من جملة ما فى الفلك .

وشرح ذلك : ان الفلك عند المتأخرين موافق لظواهر شرعنا المبين كما مر ، أى ليس فى الحقيقة الا مدار مفروض لجرم علوى ، فوجوده ودورانه انما يكون باعتبار الجرم الدائر فيه ، ويكون قوله عليه السلام : « من دوران الفلك بما فيه » أى باعتبار ما فيه وبواسطة أجرام تدور فيه ، كقولنا : « جرى النهر » باعتبار جريان الماء فى النهر و « تحركت الباخرة » بواسطة تحرك البخار أو السكرباء فيها ، و « تحرك المنطاد » والمتحرك الحقيقى هو غاز فيه وامشاله وافرة ظاهرة .

ولما كانت السيارات مع الأرض السبعة فى اعتبار الشرع - كما سأذكره - فى مسألة حصر الأرضين فى سبعة - لذلك قال عليه السلام : « وهى سبعة أفلاك » ،

في تحرك كرة الأرض

٩٣

يعنى المدارات المفروضة للأرضين السبع السيارة حولنا ومنها أرضنا .
وهذا الخبر المقدس يخالف لهيئة القدماء حيث يقول : « وهى سبعة »
مع ان الأفلاك العظام كانت عند القدماء تسعة لاسبعة وصغارها اكثر بكثير
فلا تستقيم ظواهر هذا البناء العظيم مع البناء القديم الا على القول بتحريك
الأرض وانها من جملة السيارات المعتمدة في خطاب الشرع سبعة - كما سيأتى
في المسألة الخامسة وان الأفلاك مدارات لتلك السيارات وتدور باعتبارها .

* * *

(نكتة) قال (عليه السلام) : « وتحرك الأرض ومن عليها وانقلاب الأزمنة
واختلاف الوقت . . . » فذكر عقيب تحرك الأرض انقلاب الأزمنة
واختلاف الوقت لأنها من فروع تحرك الأرض يومياً وسنوياً ، فان انقلاب
طبيعة الزمان من الربيع الى الصيف ثم الى الخريف ثم الى الشتاء فرع الحركة
السوية للأرض ، وكذا اختلاف ظواهر الأوقات على قياس الفصول من
الصباح الى الظهر ثم الى العصر ثم الى السحر فرع الحركة اليومية للأرض ،
فتوافق الترتيب الذكرى مع الترتيب الكونى في مقالة هذا الامام العظيم عليه
الصلاة والسلام .

(الخبر الثانى) - ما جاء فى كتاب الكافى باب الحج والوفى والبحار
ج ١٢ ، ١٤ وغيرها مسنداً الى الامام السادس جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) انه
قال : « ان الله عز وجل دحى الأرض من تحت الكعبة الى منى ثم دحاها من
منى الى عرفات ثم دحاها من عرفات الى منى . . . » فأتى استظهر من هذا الخبر
القدسى ان الله تعالى وجه مقتضى الحركة - كما ساذكره فى غير هذا الكتاب
أيضاً - وأوجد سببها أولاً فى موضع الكعبة من الأرض فدحاها من تحت
الكعبة الى جهة شرقها - اعنى منى - ثم الى شرق منى - اعنى عرفات - وهكذا

من عرفات الى ان عادت بنحو الدوران الى موضع السكبة ومنى فتمت
الدورة اليومية .

وقد ثبت في الآية الاولى من هذه المسألة ان اظهر معانى دحى او اشهرها
هو الدفع والتحرك بنحو الدحراج . وفي مضمون هذا الخبر الشريف شاهد
على هذا المعنى أيضاً ، وهو ان الدحر فيه لو كان بمعنى البسط لكان تخصيص جهة
منى دون سائر الجهات عبثاً بلا وجه ، فان بسط الأرض على شكل الكرة
لا يختص بجهة . وأما اذا كانت بمعنى التحريك صحبت وجهاً وجيهاً وهو كون
منى في شرق جهة السكبة المعظمة وكون العرفات في شرق جهة منى ، فيكون
الوجه في تحريك الأرض الى خصوص جهة منى هو الاشعار بحركتها اليومية
مع بيان جهة الحركة ، فان هذه الحركة من الغرب الى الشرق في الأرض ،
فتطبق أحسن انطباق على دحو الأرض من موضع السكبة الى شرقها - أى
موضع منى - ثم دحوها منه الى عرفات ثم دحوها منها راجعة من تحت السكبة
الى جهة منى أيضاً لتكمل الحركة اليومية .

* * *

فان قلت : لو كان الامام عليه السلام في صدد بيان دوران الأرض على نفسها
لاقتضى ان يقول : « ثم دحاها من عرفات الى السكبة » ليم الدوران بالعود
الى ما ابتدء منه وهو السكبة ، لان يذكر منى في موضع السكبة حتى يزيد
على قدر الدورة المحورية .

قلت : ان التعبير بجهة منى أخيراً لا ينافي انطباقه على السكبة ، ومع ذلك
فان السبب لقوله عليه السلام : « ثم من عرفات الى منى » دون ان يقول الى السكبة
هو اظهار نكته مهمة خفية ، وهى على ما أظن اشارة الامام عليه السلام الى فضل الحركة
اليومية على الحركة المحورية ، اذ الأرض تتم الدورة اليومية في ٢٤ ساعة تماماً

وتتم الحركة حول نفسها المحورية فى ٢٣ ساعة و ٥٦ دقيقة و ٤٩ ثانية ، فبين الامام (ع) فى هذا الخبر حركة الارض اليومية المحصلة للنهار والليل ببيان يفهم منه الحركة المحورية ايضاً .

وشرحه مختصراً هو : أن الحركة اليومية مركبة من الحركة المحورية وجزء يسير من الحركة السنوية ، ولما كانت بقاع الارض تتحرك فى كل ثانية بالحركة المحورية ٤٥٠ متراً وبالحركة السنوية ثلاثين ألف وخمسمائة متر فى الثانية وفى الساعة بأكثر من ١٠٠٠٠٠ كيلو متراً (١) لزم اضافة مسافة من الارض على ما اختص منها بالحركة المحورية ، بحيث يوافق سير ذلك الفضل من المسافة ما يفضل من السير المحورى ، واطافة ما بين الكعبة وبين منى واف بالنظر التقريبي لتسوية ذلك ، واما بالنظر التحقيقى فيقتضى من سعة المقال والمجال ما يخالف مقتضى الحال .

(الخبر الثالث) - ما جاء فى العيون وعلل الشرائع ومواضع متعددة من بحار الأنوار وارشاد القلوب للدليلي ، وروى ايضاً عن كتاب الواحدة والمختصر ومناقب البرسى ونور الثقلين وتفسير البرهان للبحرانى وكتب اخرى بالاسناد إلى امير المؤمنين على (ع) ان شامياً سألته عن مكة المكرمة لم سميت مكة ؟ فقال (ع) : « لأن الله مك الارض من تحتها - أى دحاها » وسياق هذا الخبر الشريف كسياق اخبار دحو الارض من تحت الكعبة .

و (الملك) يأتى فى اللغة لمعان ، منها التحريك بنحو الدحرجة ، وفى القاموس : مك بسلحه أى رمى والمككة التدحرج فى المشى - انتهى .

(١) قال مور والخورى فى كتابه : الارض فى سيرها السنوى حول الشمس تقطع تسعمائة وثلاثين مليون كيلو متراً فى مدة ٣٦٥ يوماً وخمسة ساعات و ٤٨ دقيقة و ٢٦ ثانية .

ويناسب ذلك تدرج الأرض في الفضاء ، وليس في المعاني المذكورة في الملك ما يناسب سياق اخبار دحو الأرض غير هذا المعنى .
وهذا الخبر من شواهد كون الدحو لغة بمعنى التحريك على طريق الدحراج ، لأن الملك لم يأت في اللغة بمعنى البسط ، وقد فسر الامام (ع) في آخر هذا الخبر لفظ الملك بالدحو ، فيكون ظاهر معنى الدحو والملك التحريك لا البسط .

ولو تصفحت ما ورد في شرعنا في سياق دحو الأرض لوجدته ظاهراً في التحريك أو قابلاً للحمل عليه كقوله تعالى : ﴿ أن أول بيت وضع للناس للذي ببكة ﴾ (١) فإن البك والدحو والدح ونحوها مستعملات في التحريك الخاص . وبمناسبة ذلك اطلق على البيت هذه الألفاظ ، ففي القاموس ايضاً : الأبك من يسعى في امور اهله ، والبكاء القصير جداً اذا مشى تدرج وهذا يناسب تحريك الأرض من موضع البيت متدحرجة في الفضاء كالأترنجة المرمية .

وفي النهاية للحافظ ابن الأثير عن عطاء من تابعي النبي (ص) انه قال : « بلغني ان الأرض دحت من تحت الكعبة دحاً » قال ابن الأثير : وهو (اي دحت) مثل دحيت (اي في المعنى) ثم قال : والدح الدفع . وفي القاموس الدح الدفع في القفا ، والدح الدفع العنيف ، والدحجة القصير المتمشي ، والدحيدح من يخطيء في لعب المداحي فيقوم على رجل فيجبل سبع مرات . والمقصود ان المعنى المحفوظ مع المشتقات في لغة الدح والدحو والبك والملك يعطى الدفع والتحريك بحركة مناسبة لحركة الأرض ، فيلتم بذلك ما روى في ابواب دحو الأرض من تحت الكعبة .

(الخبر الرابع) - قال على (ع) بعد توصيفه خلق الأرض وجعل الجبال فيها وتادأ لها - كما في نهج البلاغة وغيره - : « فسكنت على حركتها من أن تتمد بأهلها أو تسيخ بحملها وتزول عن مواضعها » اشار الى هذا الخبر القدسي سيدنا العلامة الرباني محمد حسين الشهرستاني ، ويلزمنا شرحه بأن الضمير في سكنت راجع إلى الأرض ، وعلى ههنا بمعنى مع ، ومن متعلقة بسكنت ، والأصل فسكنت الأرض من الميدان مع حركتها ، فيعطى سكون الأرض عن الاضطراب مع تحركها في الفضاء ، كما يقال : « ثبت زيد على خوفه في محاربة عمرو » اى مع شدة خوفه . فالامام أثبت في كلامه سكون الأرض بالجبال عن الاضطراب والتمايل ، كما صرح به في خطبة اخرى فقال : « فسكنت من الميدان لرسوب الجبال في قطع اديمها » .

وهذه المعاني قد حققناها آنفاً ، فلا يريد سكونها عن اصل الحركة ، ولذلك قيد تحركها وقال : « فسكنت على حركتها » اى مع حركتها ، كما قال (ع) في خطبة اخرى : « وسكنت الأرض مدحوة في لجة تياره » اى وسكنت الأرض حال كونها مدحوة أى متحركة .

وهذا سبب من يوشح التهجير بفنون البلاغة ، ولو تأملت في اطراف هذا الكلام لاشتد اذ عانك بالذى سمعت ، فانه (ع) ذكر خلق الأرض اولاً ثم نصب الجبال فيها لتحفظها عن الاعوجاج وتسكن عن الميدان بأهلها مسبح كونها سيارة في الفضاء لاستمساك اجزاء الأرض بأصولها وصخورها ، وايضاً يسان ما عليها من الغوص فيها وابتلاعها اياه بسبب ثقله ومرونتها ، واليه ينظر قوله (ع) : « او تسيخ بحملها » ، وايضاً تحفظ أجزاء الأرض عن التفرق في الفضاء بسبب سرعة تبدل الحيز في سيرها السنوى فتنتشر إلى اراضى صغار كانتتار الفليق إلى نجيمات المشتري - كما سيأتى - او تولى هائمة

في الفضاء فاقدة لمدار يختص بها ، واليه ينظر قوله (ع) : « او تزول عن مواضعها » .

ولقد توهم البعض في ميد الأرض المتكرر في مقالات الشريعة فقال : انه اشارة إلى اضطراب في مبدأ تكوينها حال كونها مائعة مائرة .
والظاهر لى من هذا الكلام هو ميدها في كل آن لولا الصخور والجبال ألا ترى قوله (ع) : « من أن تميد بأهلها » فعند ما كان لها اهل وسكان سكنت بالجبال عن الميدان ، والأرض في مبدأ خلقها لم يكن لها اهل قطعاً وما كانت غير عناصر مائعة ، وهلا سمعت القرآن الكريم يتلو عليك : ﴿ وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم ﴾ ، والضمير في بكم يشير إلى من في عصر النبي (ص) وإلى من بعدهم ، فيكون هذا التحرك غير تحركها في بدء التكوين حين كانت مائعة مائرة .

(نكتة) يظهر لى من قوله (ع) : « او تزول عن مواضعها » تأكيد المطلوب ، اعنى تحرك الأرض في مدار مخصوص ، فان الأرض عند المتأخرين لها مواضع لا تخصي لكنها جميعاً في مدار معين بأزاء البروج الاثني عشر ، فيتم على هذا تفسير قوله (ع) : « على حركتها » بحركة الأرض السنوية وان الجبال وعروقها هي الحافظة لهيئة اجزاء الأرض المانعة من تفريقها واضطرابها وزوالها عن مواضعها المخصوصة في فلسفها المخصوص ، واما على القول بالسكون - كما عليه المتقدمون - فلا يتم هذا الكلام السكامل ، اذ الجسم لا يكون ذا مواضع الا بتحركة الانتقال والساكن ذو موضع واحد وعلى هذا لا يكون غرس الجبال في الأرض مانعاً من زوالها عن

مواضعها التي رتبها الله تعالى فيها - كما هو مرعى الكلام - بل يكون غرس الجبال مانعاً عند هؤلاء من اصل تحركها وكونها ذات مواضع لا من زوالها عن مواضعها الممهدة كما يعطيه ظاهر القول - فتدبر .

(الخبر الخامس) - قال على (ع) ايضاً في خطبة مروية في نهج البلاغة وغيره بعد توصيف الأرض : « وعدل حركاتها بالراسيات من جلا ميدها ، فانه يجوز ان يفسر بأن الجبال الراسية والصخور الجلاميد هي التي منعت اضطراب اجزاء الارض عند عروض الحركات المختلفة عليها وائتضت تعديل تلك الحركات المتخالفة المسببة عن اختلاف جهات الجذب والدفع .

(تتهمة)

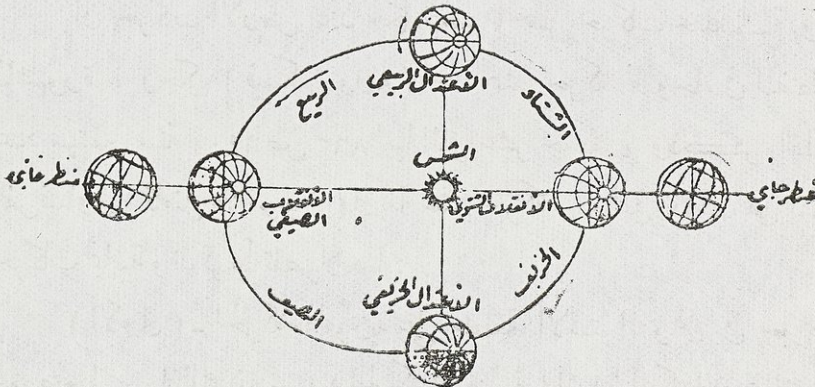
(في عدد حركات الأرض)

ان حركات الأرض عند حكماء عصرنا خمس حركات مختلفة وهي المشهورة ، وحكى (فيلكس ورنه) احد عشر حركة ، وجاء في المقتطف عدد سبتمبر سنة ١٩٠١ ص ٨٦٣ انها اثنتى عشر حركة ، وذكر الفلكي الفرنسي (كامبل فلامريون) اربعة عشر حركة ، ونحن نلتمس من كتبهم حركات ثمانية ونذكرها تفصيلاً هنا :

(الاولى) - الحركة المحورية على منطقة الاستواء وهي في حيزها وموضعها ، ولذلك تسمى بـ (الحركة الوضعية) او (الحركة الاستوائية) ويتم دورها في ٢٣ ساعة و ٥٨ دقيقة و ٤٩ ثانية ، ويحصل من هذه الحركة الليل والنهار ، وتتولد من تركيب هذه الحركة مع جزء من الحركة السنوية الحركة اليومية كما تقدم ، فيتم الدور في ٢٤ ساعة .

(الثانية) - الحركة السنوية حول مركز الشمس على منطقة البروج في دائرة بيضوية ، ويتم دورها في ٣٦٥ يوماً و ٦ ساعة و ٨ دقائق و ٣٨ ثانية وبها تحصل الأشهر الفرسية والرومية والنجومية ونحوها ، وتتولد الحركة الميلية من هذه بسبب انحراف محور الأرض عن سطح دائرة البروج ٢٣ درجة ونصف تقريباً . وهذه الحركة غير مستقلة وبها نرى للشمس في كل سنة كراً من الشمال الى نقطة الجنوب ثم رجوعها منها الى نقطة الشمال ، وسنذكرها في مسألة مركزية الشمس .

(الثالثة) - الحركة الاقبالية ، اي اقبال دائرة البروج الى دائرة الاستواء في كل ٦٧٠ عام درجة واحدة ، وهذه الحركة محصورة في زاوية ثلاث درجات حسب استكشاف المتأخرين ، كالحركة الارتعاشية بين كرة



(ش ٥) الأرض في الحركة السنوية حول مركز الشمس

وفرة مثل الحركة الميلية ولا تكمل دورة مستديرة ، ولا ترتقب زماناً تنطبق فيه احدى الدائرتين على الأخرى كما كان القدماء يتوقعون ذلك ، وبه فسر بعضهم قيامه الدنيا .

(الرابعة) - حركة نقطى الأوج والحضيض حول المحيط من دائرة البروج فى كل ٢٠٩٣١ سنة دورة كاملة بسبب تجاذب المشتري وزهرة مع الأرض ، وبذلك تتغير ازمته الفصول فى سنة ٦٤٨ كانت نقطة الحضيض على نقطة الانقلاب الصيفى فكانت ايام الصيف مساوية لأيام الربيع . وبهذه الحركة تقرب الأرض من الشمس فى نقطة الحضيض ثلاثمائة ألف فرسخ الى اوجها ، فتزداد قوة جاذبية الشمس فى الأرض قدر الخمس مما كان لها قبل اذ . ومن آثار اشتداد هذه القوة سرعة تحرك الأرض فى فلكها كل يوم واحد وستين دقيقة ، مع انها تتحرك فى اوجها كل يوم سبعة وخمسين دقيقة من فلكها .

ومن آثارها أيضاً ارتفاع السايلات المنبسطة على وجه الأرض كياه البحار المحيطة وتراكبها نحو اقرب نقاط الأرض الى الشمس حال اذ ، فنحن الآن نرى المياه متراكمة فى النواحي الجنوبية من عرض اربعين درجة ، بحيث توجد ثمة بقاع تلمع بصفاح متسعة كالأقطار الشمالية ، لكن الأمر منعكس بعد اليوم بخمسة آلاف سنة حيث تنتقل نقطة الحضيض الى شمالنا فتتجه المياه نحو الشمال طالبة اقرب النقاط الشمسى ، فتجسر الأقطار الجنوبية قناع الغمر عن اوجها وتبدى محاسنها وما اودع الله فيها لنوع البشر ، ويصبح فيها العمران والعلم والتمدن تدعوننا نحوها مبشرات ، ويمسى فى شمالنا الفرق والخراب والعطالة تخرجنا بالخروج منذرات ، فتعرف الأمم عند ذلك اثمان المراكب البحرية والهوائية ، ويومئذ ينجو الخفون .

(الخامسة) - حركة تقديم الاعتدالين الربيعي والخريفي وبها ترى الثوابت متحركة على موازاة دائرة البروج في كل ٢٦ ألف سنة شمسية مرة . وكان القدماء يظنون ان الثوابت بأسرها مركوزة في ثخن فلك يدور دورة في تلك المدة (١) .

(السادسة) الحركة الرقصية أو الارتعاش القمري وهي التي تعرض على محوري الارض فتميل بذلك الى دائرة البروج في كل ٢٩ سنة مرة . اكتشفها الفلكي (برادله) سنة ١٨٤٤ م ومنشأها تأثير الجاذبتين من الشمس والقمر في أرضنا مع تسطحها القطبي وتفرطحها الاستوائى . وينتقل محور الأرض بهذه الحركة في دورة عقدى القمر بمقدار ١٨ درجة وكسر الى الجنوب والشمال .

(السابعة) - الارتعاش الشمسى . قال في حدائق النجوم مامعناه : ان الارض يرتعش محورها (أى يرتعش من طرف قطبيها) بجاذبية الشمس وتتم في سنة شمسية وغايتها دقيقة من الفلك .

(الثامنة) - الحركة التبعية ، وهي سير الأرض كباقي السيارات بتبعية الشمس في الفضاء المهول حول مركز مجهول . وسأشرحها في مسألة مركزية الشمس .

(١) جاء في الجامع البهادرى ص ٧٩؛ ان القدماء ظنوا ثبوت البروج ثم تحقق تحركها ، وتحولت البروج من مواقعها الاصلية وبقي الاسم على غير مسماه الاصلى ، وحسب قياسنا اليوم قد تحولت البروج من مواقعها الاولية اليونانية الى ٢١ درجة و ١٢ ثانية .

أقول : قد أشار الى هذا السر على (عليه السلام) في الحديث المشهور عنه : « بنى الهرمان والنسر في السرطان » ولو تأملنا في المسألة لكانت احدى براهين حركة الأرض ، لان اسناد مثل هذه الحركة الى الأرض اصح منه الى ثوابت لا تحصى

ولعمري ان شرعنا الاقدس مشحون بمقالات ضافية تشعر بتحرك
الأرض ونشير الى بعضها في طي هذا السكتاب ونذر الباقي لمن ينحو مسلكنا
المقدس ويعرف منزلة هذه الشريعة العظمى ، ويبقى معشار حقها بعد عرفان
مبانيها ونيل حقايقها ومعانيها .

المسألة الرابعة

(في تعدد الارضين ونفي انفرادها)

قد تحقق عند الفلاسفة المتأخرين عن الالف الهجرى ان كرة الارض غير منحصرة بهذه الارض التى نحن عليها ، بل لربنا تعالى أراض وافرة تسبح فى فسحة الفضاء كأرضنا هذه فى رمالها وصخورها وجبالها وبحورها وسائر امورها ، فهل نطق الشريعة الاسلاميه - على مبلغها الصلاة والسلام - بهذا الرأى ، أو حكمت كالقدماء بانفرادها ، أو سكنت عن كلا المذهبين ؟ .

(الجواب)

ان القدماء - على ما وصلنا من أخبارهم - لم يذكروا تعدد الارضين حتى من اختار منهم تحرك الارض ، ولاكثر فلاسفتهم أدلة على استحالة وجود أرض فى الفضاء منفصلة عن هذه الارض . وعمدة ما أغراهم على ذلك فتوى الحواس بانتفاء وجود أرض أخرى ، وكانوا يعتقدون ان النجوم السيارة والثوابت أجرام من جنس جوهر الفلك ليس فيها شيء مما فى أرضنا ولا عليها ماعلى هذه العناصر والحوادث - كما هو مشروح فى كتبهم .

نعم نقل الشيخ الرئيس ابن سينا فى الشفا القول بكثرة الأرضين عن حكماء الفرس المتقدمين ، ونقل الشاعر الكامل أبو محمد الشهير بالنظامى المتوفى سنة ٥٧٠ عن قدمائهم ما ينطبق تمام الانطباق على الرأى الحديث وترتيبنا المستفاد من ظاهر الأحاديث ، اذ قال بالفارسية :

شئيدستم كه هركوكب جهانيست جدا گانه زمين واسمانيست
ولكن الغربيين فى حدود الالف الهجرى رفضوا آراء القدماء ، اذ
تفمنوا فى اختراع النظارات المكبرة (ميكروسكوب) والمقربة (تليسكوب)
بتمهيدات الفيلسوف غاليله المتوفى سنة ١٦٤٢ م ومن بعده وكذلك باقى
الأدوات الفاضلة والآلات الدقيقة الكاملة ببذل الامراء المربين والاغنياء
المرغبين أعز الأموال والمهيج ، وصرف الاذكياء أفضل الهمم والأعمار فى هذا
النهيج حتى وصلوا من بعد ذلك كله الى أوج الكمالات والعلوم ، واستخرجوا نفائس
الحقائق ، لاسيما فى فن النجوم فكشفوا الغطاء عن امور قصرت عنها أيدي
القدماء لضعف أسبابهم لالتهاون منهم أو تقصير . . حاشا وكلا .

كيف يكون ذلك ؟ وقد هزموا جيش الجهل بلا سلاح وغلبوا على مدائن
العلوم ، ففتحوا أبواب حقائقها بلا مفتاح وكشفوا دقائقها وأسرارها على
أحسن مايرام .

والغرض ان المتأخرين قد اعتقدوا بمقتضى فتاوى حواسمهم المسلحة بأكمل
النظارات ان النجوم السيارة بأسرها أراض مستقلة كأرضنا هذه ذات وهاد
ورواسى وخلق وعمران وماء وهواء وبحار وغير ذلك .

أقول : لو صح ما ذكره كان اطلاق اسم الأرض صحيحاً على كل سيارة
كذلك ، وقد قال أهل اللغة : كلما ترصه الأقدام أرض . ونرى عند ذلك كل
صفة نعتقد مدخلتها فى تسمية الأرض أرضاً ثابتة لتلك السيارة من تضمنها للجبال
والقفار والمياه والهواء والبخار والغيوم والأمطار والفصول والاقطار والميول
والمدار والليل والنهار والسكان والديار وغيرها مما فى أرضنا كما سيأتى ، مثلها
لو التصق بأرضنا كرة أرض أخرى مثلها فى كل صفة وفيها خلق يمشون عليها
فهل تستمهل فى اطلاق اسم الأرض عليها ؟ كلا ! . . وهكذا حال السيارات ان

صح ما حكته النظارات .

ولا تنتظر في تصديقك لذلك أدلة القدماء على وجوب انفراد الأرض فان المتأمل في مداركها يجدها اقترانية كسراب ببقية يحسبه الظمان ماءً فاذا أتاه لم يجده شيئاً .

واما الشريعة الاسلامية فقد صرحت بتعدد الأرضين وذكرت لنا ما فيها وما عليها بلا معونة آلة أو أدوات في قرون طويلة قبل اختراع النظارات ، حيث لم يكن على وجه الأرض من هذه المستحدثات شبح ولا اسم فضلاً عن المسمى ، لكن الأسف كله على ان المحدثين القدماء استوحشوا من ظواهر تلك الاخبار - كما قدمنا بيانه - فلم يصل اليها بما أهملوه غير القليل ، وحيث كان هذا القدر القليل غير مشفوع ببرهان لم يركن العلماء الى ظواهره وحسبوه من الظواهر اللازم تأويلها وصرف ظهورها الى معلوماتهم في ذلك العصر .
وها انا الآن أتلو عليك جملة من مقالات شرعنا حسبها تفتنت به وظفرت عليه . وأسأل الله تعالى العون والتوفيق .

المقالة الاولى

قال الله تعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلن ﴾ (١)
أى مثلن في العدد وان الأرضين سبع ، أجمع على هذا التفسير كل المفسرين والحفاظ قديماً وحديثاً حتى صاروا جميعاً يذكرون اخبار تعدد الأرضين وتكثرت هذه العوالم في تفسير هذه الآية المباركة .

ويظهر من كلمة ﴿ مثلن ﴾ عموم التشبيه في العدد وفي الترتيب ، فكما ان السموات السبع بعضها فوق بعض ينبغي ان تكون الأرضين السبع أيضاً

بعضها فوق بعض ، كما سئذكر الروايات الصريحة في ذلك في المسألة السابعة .
قال أبو السعود بن محمد العماري من فضلاء المائة التاسعة ان الجمهور على
انها سبع أرضين بعضها فوق بعض ، بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء
والأرض . . . الخ

اقول : ولا يخفى حسن انطباق هذا التفسير المنقول من الجمهور على
أراضي السيارات السبعة المبصرة المتباعدة واحدها عن الأخرى كثيراً ،
وسأذكر الأخبار المناسبة لهذا الترتيب في مسألة ترتيب السموات ، فراجع
أو آخر تلك المسألة تجد أخباراً متواترة السند صريحة فيما ذكرنا في ان ما بين
أرض وأرض مسافة كمسيرة خمسمائة عام . وانت لو فرضت دابة تسير فرسخاً
اسلامياً في كل ساعة - كما هو الشائع من صدر الاسلام إلى يومنا هذا - لكان
مجموع هذا السير يزيد على ستة عشر مليون ميلاً ، فيقرب هذا التحديد جداً
من تحديدات المتأخرين في المسافات الفاصلة بين الأرضين ، ولا يتجه ابداً
هذا التحديد على مبادئ القدماء .

المقالة الثانية

روى جماعة عن الامام الثامن على بن موسى الرضا (ع) انه اجاب من
سأله عن ترتيب السموات السبع والأرضين السبع فقال : « هذه الأرض
الدنيا والسماء الدنيا فوقها قبة ، والأرض الثانية فوق السماء الدنيا والسماء
الثانية فوقها قبة ، والأرض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها
قبة . . . » وسأذكر هذا الخبر بتمامه في مسألة ترتيب الأرضين والسموات ،
وأشرحه سنداً ومنتأ مع شواهد القوية واطبقه على النظام الجديد .
ولعمرك انه نبأ عظيم وحجة ساطعة لمن خالفنا في الدين والمذهب ،

فأرسل اليه النظر السليم ليهديك إلى الحق القويم .

المقالة الثالثة

ما تواتر في كتب الأدعية والأخبار عن النبي (ص) وأوصيائه المعصومين (ع) : « اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم » ويظهر من قولهم : « وما بينهن » أنها منفصلات غير متصلات ، فلا يصح توجيه ذلك إلى إرادة الأقاليم السبعة مع أن تقسيم الأرض إلى سبعة أقاليم اعتباري وليس بحقيقي ، وتلك السبعة أيضاً غير مختصة بالنصف الشمالي من الأرض ، بل يفرض مثلها في النصف الجنوبي أيضاً . فيتجاوز المجموع عدد العشرة .
وفي حدائق النجوم أن الحكيم (ركيو لوس) قسم الأرض سنة ١١٠٠ إلى عشرين اقليماً جنوبياً وعشرين اقليماً شمالياً .

المقالة الرابعة

في البحار وتفسير القمي وكتاب الخرائج للحافظ الراوندي قطب الدين سعيد من علمائنا في القرن السادس مسنداً عن النبي (ص) أنه قال في حديث توصيف مهراجة : « وكشطت لي عن السماوات السبع والأرضين السبع حتى رأيت سكانها وعمارها وموضع كل ملك منها » (١) والكشط في اللغة (١) ذكر في بصائر الدرجات ج ٢ سبعة أحاديث بأسانيد مختلفة كلها بهذا المضمون ، وجاء في بعضها لفظ (كشفت) بالفاء عوضاً عن (كشطت) بالطاء .

كشف الغطاء ولفه ، فيعطى ظاهره ان الرؤيه منه (ص) كانت برفع الحجب والاستار الحاجزة عن الابصار .

المقالة الخامسة

قال علي (ع) في خطبته المروية في كتاب نهج البلاغة وغيرها : « الحمد لله الذي لا يوارى عنه سماء سماء ولا ارض ارضاً ، فانها كما تدل بظواهرها على تعدد السماوات تدل ايضاً على تعدد الارضين .

قال ابن ابي الحديد في شرح هذه الفقرة من شرح نهج البلاغة : هذا الكلام يدل على اثبات ارضين بعضها فوق بعض كما ان السماوات كذلك ولم يأت في الكتاب العزيز ما يدل على هذا الا قوله تعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن ﴾ وهو قول كثير من المسلمين ، وقد تأول ذلك ارباب المذاهب الاخر القائلون بأنها ارض واحدة فقالوا انها سبعة اقانيم ...

وقال بعد هذا بقليل : وهذا الكلام على غير القاعدة الفلاسفية بل هو على قاعدة الشريعة الاسلامية التي تقتضي أن السماوات تحجب ما وراءها عن المدركين بالحاسة ، وانها ليست طباقاً متراصة بل بينها خلق الله تعالى لا يعلمهم غيره ، واتباع هذا القول واعتقاده أولى .

اقول : وهذه التصريحات من محقق آثارنا الاسلامية شواهد واضحة على صحة جملة ما اشرنا اليه فيما سبق أو ما سيلحق .

المقالة السادسة

في البحار وجامع الاخبار والائوار النعمانية عن النبي (ص) انه

سئل عن قاف وما خلفه ؟ قال (ص) : « سبعون أرضاً من ذهب وسبعون أرضاً من فضة وسبعون أرضاً من مسك وسبعون أرضاً سكانها الملائكة ، لا يكون فيها حر ولا برد وطول كل أرض مسيرة عشر ألف سنة » .
 اقول : عدد السبعين كالأربعين والألف يؤتى به في العرف كناية عن كثرة المعداد بطريق المبالغة وليس للتعين كبقاى ألفاظ العدد .
 ولنشرح العضلات من هذا الخير :

اما (قاف) فقد وردت فيه اخبار غريبة المضامين وتحير في جمعها الأساطين ، لكنها عندى منطبقة على مخروط ظل الأرض الشبيه بالجبل العظيم لأنه المحيط بالأرض كنطاق دائرة افقية . وقد استفاض عن الحجج ان جبل قاف محيط بالأرض .

ولأن لون السطح الظاهر من هذا الظل اخضر بسبب اختلاط النور والظلام على سطحه ، وقد استفاض ايضاً عن الحجج (ع) ان جبل قاف كالزمردا والزبرجد الأخضر وان خضرة السماء منه اى من جنسه ومن قبيله ، فان لون السماء ايضاً اخضر وخضرتها حاصلة ايضاً من اختلاط الضياء المنعكس عن الأرض مع الظلام الحالك في بطن الجو .

ولأنه امر غير مختص بأرضنا بل هو ثابت للأراضى السيارة السبعة كلها ، كما سيصرح خبر ابن عباس بذلك .

ولأن بعض الاخبار ناطق بأنه محيط بالخلائق ، وبعضها ناطق بأنه خلف أرضنا ، فعلى ما فسرناه لا يكون تناف بين المعنيين .

ولأن ظل الأرض يحيط بنا ليلاً ويكون خلف أرضنا نهاراً وهو محيط بالخلائق دائماً .

ولأن الطول والعرض من هذا الظل يقرب من ثلاثمائة فرسخ ، كما

ورد في الخبر : « ان طول قاف وعرضه مسيرة ألف سنة وان سماء الدنيا كنفها عليه » اى طرفاها . وقد شرحت اخبار جبل قاف في رسالة مستقلة وحقت انطباقها على ظل الأرض تحقيقاً كاملاً حسب الآراء السديدة والكشفيات الجديدة ، فلا داعى للاطناب ههنا .

* * *

واما قوله (ص) : « سبعون ارضاً » فالأولى في شرحه ان هذه الأراضى الوافرة اما ان يراد بها السيارات الخارجة عن نظام شمسنا ، كما سيأتى ان من وارشمسنا هذا شمساً عظيمة كثيرة وحولها سيارات كثيرة لا تحصى وهى لسكانها اراضى ذات وهاد ورواسى . . . واما ان يراد بها السيارات الداخلة فى نظام شمسنا ، فيكون قوله سبعون ارضاً : « سبعون ارضاً » اشارة إلى النجوميات الصغار التى استكشفت بعد سنة ١٢١٥ ، فانها ايضاً اراضى سياره حول شمسنا لكنها اصغر من ارضنا بكثير ، ويقرب عددها ايضاً مما فى الخبر اذا المستكشف منها حتى الآن بين الثلاثمائة والأربعمائة ومداراتها متوسطة بين المشتري والمريخ ، فتكون بعد مريخ هى اقرب الأراضى الى ارضنا من سمت خلفها ، اذ الأنسب باسم الوجه من جرم ارضنا هو النصف الموجه لجرم الشمس ، فيكون سمتها خلف المريخ والمشتري ، فيناسب قوله سبعون ارضاً « ان خلف قاف » اى خلف ظل الأرض كما تقدم كذا وكذا اراضى .

انظر الشكل الثانى (النظام الشمس الكوبرنيك) المطبوع ص ٥٠ يتضح لك جلياً ما قلناه .

* * *

واما قوله سبعون ارضاً : « من ذهب » او « من فضة » او نحو ذلك فلا سبيل لنا الى نقضه لجهلنا بحقائق النجوميات ، ولعل الغالب على اجزاء بعضها عنصر

الذهب او الفضة ، مع انه يحتمل ان يكون معنى قوله : « من ذهب » اى من قبيل الذهب ومن جنسه وهذا الاستعمال شائع فى العرف والشرع كقوله تعالى : ﴿ جعل لكم من انفسكم ازواجاً ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ وجعل منها زوجها ﴾ (٢) كما انه يقال : « الزنى من سائر بنى آدم » اى من قبيل باقى البشر ، ويراد بذلك تمام المشابهة فى اللون او الخاصة او الطبيعة او نحوها .

* * *

واما بيان الاعتدال بقوله عَلَىٰ سَوَاءٍ : « لا يكون فيها حر ولا برد » فهو أيضاً منطبق على حال النجيمات ، لأن سلطان حرارة الشمس عند قرصها ثم تأخذ فى النقص والضعف حتى تنعدم فى محدد النظام الشمسى - اعنى خلف فلك نبتون - والبرودة بالعكس ، اى سلطانها من خلف نبتون ثم تشرع فى النقص حتى تنعدم عند قرص الشمس .

فاذا كان ما بين المريخ والمشتري هو المحل الاوسط فى النظام الشمسى كان الحر والبرد فيه متعادلين تقريباً ، بحيث يصدق عليه انه لا حر ولا برد فيه ، اى لا قوة للحرارة ولا للبرودة هناك ، اذا الظاهر من الحر شدة السخونة ومن البرد شدة ضدها ، وقد علمت انه لا شدة لأحدهما بين المريخ والمشتري ، وهو موضع النجيمات .

* * *

واما قوله وَالْأَرْضُ مَوْجِدَةٌ : « طول كل ارض عشر ألف سنة » فاذا كان بضم العين والشين - كما روى - فاحتمالى ان الطول فيها كناية عن مسافة سطوحها ويكون عشر الألف مائة سنة ، فلا يتنافى المقادير المستنبطة للنجيمات ، ولا

(١) سورة النحل آية ٧٢ .

(٢) سورة الاعراف آية ١٨٩ .

سيما ان الميزان في المسير الوارد في الاخبار مجهول . وان كان بفتح العين والشين فنحتمل ان يراد من طولها طول مداراتها وباعتبار افلاكها حول الشمس ، وان طول المسافة من كل ارض اليها عشرة آلاف سنة ، فنستدل بذلك ايضاً على تقارب افلاكها جداً وان بعدت عنا - كما عليه المتأخرون - بحيث لو مدت الاسلاك بدل تلك الافلاك لخيف عليها من الاشتباك .

المقالة السابعة

في الدر المنثور عن صاحب النبي (ص) ابن عباس انه قال : « سيد السموات السماء التي فيها العرش ، وسيد الارضين الارض التي اتم عليها » وكلمة (في) ههنا بمعنى على كما في قوله تعالى ﴿ لأصلبكم في جذوع النخل ﴾ (١) اي على جذوعها ، ودلالاتها على تعدد الارضين واضحة .

المقالة الثامنة

في البحار وثواب الأعمال بالسند القوي الى الامام الباقر محمد بن علي (ع) انه قال : « ان الله عز وجل فوض الامر الى ملك من الملائكة فخلق سبع سموات وسبع ارضين واشياء ... »

المقالة التاسعة

روى في البحار والدر المنثور عن ابن عباس انه قال : « خلق الله تعالى من وراء هذه الارض بجزراً محيطاً بها ، ثم خلق من وراء ذلك جبلاً يقال

له (ق) السماء الدنيا مترفرة عليها ، ثم خلق من وراء ذلك الجبل ارضاً
مثل تلك الأرض سبع مرات ، ثم خلق من وراء ذلك بجزراً محيطاً بها ،
وهكذا حتى عد سبع ارضين وسبعة اجبر وسبعة اجبل .

اقول : وظاهر هذا الخبر يعطى وجود سبعة ارضين منفصلات وسبعة
اجبر وسبعة جبال قواف ، بين كل ارض وارض اخرى جبل قاف وبحر محيط
وهذا مما لا يستقيم الا على الآراء الجديدة ، ولا اعلم احد استنبط
العيون الصافية من هذه الرواية وامثالها غيرى - والله المنة وله الحمد والشكر .
فالمقصود من الارضين اجرام السيارات وقدم تصحيحه ، كما ان
المقصود من جبل قاف مخروط ظل الأرض الشبيه بالجبل العظيم وقد
سبق تحقيقه .

ويتأيد ذلك التحقيق ايضاً بما فى هذا الخبر من تعدد الجبال القوافى ،
وان من وراء كل ارض جبل قاف ، فان لكل من السيارات - كعطار
وغيره - مخروط ظل طويل وهيكل اخضر مهيل يحدث فيه استتار الشمس
خلف نصف منها دائماً ، كما هو شأن ارضنا بعينه .

* * *

بقى الكلام فى البحار السبعة الفاصلة بين الارضين ، وذلك يستدعى
تمهيد امر ، وهو :

ان الفضاء المحيط بمركز الشمس حتى ينتهى الى فلك نبتون يمثل عند
المتأخرين من مادة لطيفة سيالة مرنة تسمى (اتر) بالتاء والراء المهملة ، وهذا
الفضاء الممتلئ يتحصص بملاحظة مدارات السيارات ومعايرها الى سبع او
تسع حصص ، فالمتوسط بين فلك عطارد وفلك الزهرة حصة بيضية الشكل
وكذا المتوسط بين الزهرة وفلك الأرض ، وهكذا الى تسع حصص

إذا اعتبرنا جميع الأرضى السيارة ، أو سبع إذا اعتبرنا خصوص السيارات المبصرة ، وسيأتى تحقيق ذلك فى مسألة حصر الأرضين .

وإذا امتازت لديك الحصص السبع ولو بالاعتبار قلت : فأى مانع يمنع اطلاق لفظ البحر على هذه المجارى المتخصصة المتوسطة بين افلاك السيارات ، وخصوصاً إذا وجدت المناسبة والمثابرة التامة بين البحار وبين هذه المجارى من وجوه متعددة :

(منها) ان الجواهر الممتلىء منه البحر سيال مرن شفاف لطيف - واعنى به الماء - وكذلك الجواهر الممتلىء منه المجارى المتوسطة كما سبق ، بل نجد هذا الجواهر اشد من الماء وسيلاً ومرونة ولطافة بمراتب كثيرة .

(ومنها) كثرة التموج والحركة فى المائع المالىء للبحر ، وكذلك سيال اتر اذ هو فى غاية الاهتزاز والتموج والحركة الدائمة على المذهبين فى حقيقة النور ، اعنى مذهب الحكيم نيوتون واتباعه بأن النور مادة لطيفة مؤلفة من ذرات دقيقة جداً تنتشر من المنير فى الجهات على خطوط مستقيمة بسرعة عظيمة ، اى فى كل ثانية ١٩٢٠٠٠ ميل على رأى الحكيم دومر الدينيركى او ١٢٩٩٩٠٠ متر على حسب تجارب عصرنا . والمذهب الآخر للحكيم (هو يجنس) وجمهور من تأخر عنه انه حاسية يوجد لها نقر مادة اتر (الاثير) المائلة للفضاء على عصب البصر .

فالمتفق عليه فى المذهبين معاً ان الفضاء ممتل من مادة سيالة شفافة نورية مزاجية متحركة بسرعة كذا آلاف ميل فى الثانية . وهذا هو عين ما نقصده فانه يحصل منه المشابهة الظاهرة بين البحار وبين المجارى المتوسطة .

(ومنها) ان السكرات السيارة لا بد لكل منها من ظل طويل مهيل يحدث خلفه بسبب مزاجية الشمس مع نصف منها ، فيكون كل من السيارات

الكبار والصغار شبيهاً بسكة طويلة رأسها جرم الكرة البيضوية والبدن ظلها المخروطي المستطيل المشبك ظواهر سطحه باختلاف الضياء والظلام كما مضى في شكل (٤) .

ولنا في هذا المقام شرح في مسألة الفلك ايضاً ، فلا يخال الانسان اذا صادف هذه الاشباح في الفضاء الا انها صور حيتان عظيمة تسبح سباحاً سريعاً ، وربما كان ذلك معنى ما ورد في الشريعة من خلق الأرض على الحوت ، اى على شكل الحوت من هذه الجهة ، حيث ان جرم الأرض يتبعه ظل مخروطي على شكل الحوت ، فاذا ظهر التشابه بين سيارات الفضاء وبين حيتان البحار قويت المشابهة بين الحصص الفضائية وبين البحار ايضاً . ولعل اعتبار هذه النكسة دعى إلى التعبير عن سير النجوم بالسباحة في شرعنا المقدس كما قال تعالى : ﴿ وكل في فلك يسبحون ﴾ (١) وقال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : « ومن تدير النجوم التي تسبح في الفلك » . (ومنها) زيادة الطول العظيم في هذه المجارى المتوسطة على عرضها وعمقها بسبب استدارة مداراتها الاهليلجية ، كما نجد نظير ذلك في البحار الأرضية .

* * *

اذا صح وساغ اطلاق اسم البحار على المجارى المتوسطة بهذه الوجوه وامثالها فاستمع لما نتلوه عليك من الشواهد الشرعية التي تشير الى ان المراد من البحار السباوية المذكورة في الشرع الاقدس هو تلك المجارى المتوسطة بين المدارات :

(الشاهد الاول) - في الكافي ومن لا يحضره الفقيه وتفسير القمي

بالاسناد القوي الى الامام الرابع علي بن الحسين - عليهما السلام - انه قال :
« ان من آيات الله التي قدرها للناس مما يحتاجون اليه البحر الذي خلقه الله بين
السماء والارض وان الله قدر فيه مجارى الشمس والقمر والنجوم والكواكب ... »
(الشاهد الثاني) - ماورد في روايات متعددة « ان في السماوات مجاراً
من نور يتلأأ أنوارها ، وقد ذكرنا امتلاء الفضاء المتوسط بين المدارات من
المادة النورية الشمسية ، فأى نور أقوى منها في النظر ؟ ولا ريب في ان انطباق
هذا المضمون على ما ذكرناه أنسب من غيره .

(الشاهد الثالث) - روى الحكيم الآلهى الشهير المولى صدر الدين
الشيرازى المتوفى سنة ١٠٥٠ في كتاب المبدأ والمعاد عن كعب انه قال : « خلق
الله تعالى سبعة أبحر بحر أسمه قيس من ورائه بحر اسمه الأصم » الى ان عدد
سبعة أبحر وسماها ثم قال : « ومن ورائه بحر اسمه الباكي وهو آخر البحار
ومحيط بالكل ، وكل واحد من هذه البحار محيط بالذى تقدمه » .

وفى هذا الخبر وان لم نجد تصريحاً بأن هذه البحار فى الأرض او فى
السماء الا ان العلم بانتفائها فى الأرض - بعد تسليم النقل - مرجح كونها فى
السماوات ، فينطبق على ما أيدناه من جهة احاطة كل بحر بسابقه حتى ينتهى الى
البحر المحيط بالكل ، كما هو ترتيب مجارى السيارات .

(الشاهد الرابع) - تحديد اعماق هذه البحار بمسيرة خمسمائة سنة كما
فى رواية التوحيد للصدوق والبحار للمجلسى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال : « ان فى
السماوات السبعة بحاراً عمق احدها مسيرة خمسمائة عام ، وسيتلى غيرها أيضاً .
وقد وردت هذه المسافة بعينها فى تحديد ما بين الارضين السبع وكذلك فى تحديد
ما بين السماوات السبع كما سيأتى .

فينتج الجمع بين هذه الاخبار ان البحار هى المجارى المتوسطة بين السيارات

والرجوع الى رسالة (جبل قاف) نافع كثير لهذا المقام .

* * *

ثم من بعد ماسقته اليك لا يصعب عليك تطبيق هذه المقالة المعنونة على النظام الجديد ، فقله : « ان الله تعالى خلق من وراء أرضنا بحراً محيطاً بها ، يعنى الجرى المتوسط بين أرضنا وأرض زهرة أو أرض مريخ » ثم خلق من وراء ذلك ، يعنى من بعده « جبلا » يعنى هيكلاً مخروطياً أشبه الأشياء بالجبل العظيم وهو ظل الأرض .

قوله : « يقال له ق » يعنى قد اشتهر وصفه بين اولى الاسرار بأنه قاف لنور سطح الأرض ، من قفا يقفوا ، ومعناه اتباع الآثار وظل الأرض أيضاً تابع فى مسيره لسير نور الشمس الساطع على وجه الأرض المتحرك الدائب دائماً قوله : « السماء الدنيا » وهى عند المتقدمين فلك القمر وعندنا ماسنذكره فى مسألة ترتيب السماوات « مترفرة عليه » أى منبسطة عليه كانبساط الطير المترفر على الهواء .

ومعلوم انبساط السماء الدنيا فى كلا القولين على مخروط ظل الأرض الملقب بجبل قاف ، وقد ورد فى حديث آخر : « ان قاف جبل من زمرد محيط بالدنيا عليه كنفها السماء » أى طرفا السماء .

ولا ريب فى أن قوساً نوعياً من فلك القمر طرفاه على مخروط ظل الأرض دائماً ، وهو القوس الذى ينخسف فيه قرص القمر عند استقراره فيه .

* * *

(تنبيه) جميع قضايا هذه الرواية خاضعة لترتيننا فى فهم الهيئة الشرعية ومنطبعة عليه كما يظهر لمن تدبر وانصف القضية واحدة وهى قوله : « ثم خلق من وراء ذلك الجبل ، يعنى مخروط ظل أرضنا » أرضاً مثل تلك الأرض

سبع مرات ، فان ظاهر الكلام يوحى الى كرة زهرة لو جعلنا أرضنا مبدءاً لترتيب السيارات ، كما عليه مساغ أغلب الروايات أو الى كرة المريخ . وكيف كان فالظاهر من الرواية ان احدى الكرتين اعظم واكبر من كرة أرضنا سبع مرات والمبرهن في الهيئة الجديدة خلافه كما مضى في أواخر المقدمة السادسة ، فلو تمت التحديدات لزم توجيه ظاهر الخبر الى معنى جائز مناسب له بعد تسليم السند ، مثل ان نقول : ان سبع مرات بيان وقيد للخلق لاللمثل ، والأصل انه سبع مرات خلق بعد ظل أرضنا أرضاً ، فيكون ذلك اشارة اجمالية الى خلق سبع أراضي مثل أرضنا بعد مخروط ظل أرضنا . أو نقول : ان وجه الشبه بين أرضنا والتي خلفنا بجمل اذ لم يتبين في الكلام ، فلا تثبت المنافات اذ ليس في الخبر ان الله تعالى خلق بعد أرضنا أرضاً مثلها سبع مرات في الحجم أوفى الوزن أوفى النور أوفى الحر أوفى البرد أوفى سرعة الحركة أوفى كثرة المخلوقات أوفى سائر المتعلقات ، فيبقى كل ذلك سائغ الاحتمال

المقالة العاشرة

في البحار والدر المنشور عن ابن عباس انه قال : دخل علينا رسول الله ﷺ ونحن في المسجد خلق خلق فقال لنا : فيم اتم ؟ فقلنا : نتفكر في الشمس الى ان قال : فقال ﷺ : « ان من وراء قاف سبع بحار كل بحر خمسمائة عام ومن وراء ذلك سبع أرضين يضيء نورها لأهلها ، ومن وراء ذلك سبعين ألف امة » .

أقول : مضامين هذه الرواية منطبقة على تحقيقاتنا السابقة في جبل قاف والبحار السبعة والأرضين السبع ، كما هي منطبقة على الآراء الجديدة من تعدد الأرضين حول شمسنا ، وان في كل أرض أهل ومخلوقات حية ، ومن وراء

أراضى شمسنا عوالم آخر ونظامات شمسية مشتملة على خلق وامم من جنس أبناء آدم ، كما قال عليه السلام : « سبعين ألف أمة » بل وأكثر من ذلك بكثير .
وقوله (ص) فى شأن الأرضين السبع : « يضىء نورها لأهلها ، يعطى بظاهره ان اهلها يستضيئون من انوار الأرضين ، وهو خلاف التحقيقات الجديدة (١) ولكن ألفاظ الرواية تقبل التوجيه بأن المراد اضاءة كل ارض لأهل كل ارض وهو التحقيق ، فأرضنا مثلاً تضىء لأهل زهرة والبقية ، وارض زهرة تضىء لأهل ارضنا والبقية ، وارضى البقية تضىء لأهل ارضنا ولأهل زهرة . او يكون اسم النور كناية عن الشمس وذلك (١) لم يختص هذا التحقيق بالهيئة الجديدة وانما كان موجوداً عند القدماء من علماء الهيئة أيضاً . ويمكن ان يوجه الخبر بتوجيه آخر ينطبق تمام الانطباق على هذا الحديث الشريف ، وهو ان النور على رأى الجمهور يضىء عندما ينعكس على جسم كشيء ، فمثلاً نحس بضوء نور الشمس عندما ينعكس على الأرض وغيرها من سائر الكواكب ، وعلى هذا لما كانت الكرة الأرضية تضيء بواسطة اشراق نور الشمس عليها امكنتنا القول بأن اهل الأرض يستضيئون من نور الأرض نفسها ، وهكذا القول فى سائر الكرات .
هذا اذا لم نقل بأن المراد اضاءة كل كرة من نفسها فى نظر ساكنى تلك الكرة بلا كسب نور من الشمس ، فحينئذ لا بد وان نوجه الخبر كما وجهه المصنف فقط ، لأن الأرض فى نظر ساكنى الأرض ليست بمضيئة ، بل المضيء فى نظر اهل كل كرة الكرات الأخرى غير تلك الكرة التى يسكنون عليها ، ولكن ظاهر قوله (ع) : « يضىء نورها » ينطبق على الاضاءة التى اخترناها نحن ، وهو ان الاضاءة الكسبية لكل كرة مختصة بأهل تلك الكرة فقط - (ف) .

امر شائع ، والمعنى ان شمسها يعنى شمس تلك الاراضى وهى شمسنا نضىء لاهلها
وفى بعض نسخ البحار « يضىء نورها لاهلها » كما جاء ايضا فى حديث
القباب « ان مخلوقاتنا يستضيئون بنورنا ، فينتجه ظاهر الخبر بلا كناية ولا عناية
بل يفيد معنى مستحدا ، فان قوله (ص) : « يضىء نورنا لاهلها » يدل بظاهره
على ان ارضنا هذه مضيئة لاهل زهرة واخواتها كما ان زهرة تضىء لاهلها
فتكون ارضنا ايضا نجمة مضيئة فى الفضاء كسائر السيارات .

المقالة الحادية عشر

فى بحار الانوار وكامل الزيارة للحافظ جعفر بن قولويه المتوفى سنة
٣٦٨ هـ مسنداً عن الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فى جملة كلام
طويل له يقول فيه : « وما من ليلة تأتى علينا الا وأخبار كل ارض عندنا
وما يحدث فيها ، وما من ارض من ستة ارضين الى سبعة الا ونحن نؤتى
بخبيرهم ، (١) »

اقول : انظر الى الارتباط الروحاني والاتصال الرباني بحقائق الاشياء
واسرار العوالم كيف يكشف للكامل ما خفى على غيره ، حتى يعلم ما فى الارضين
السبع قبل اختراع النظارات وباقي الآلات بقرون عديدة ويطلع على حوادثها

(١) وروى هذا الحديث ايضا فى معالم الزنى فى الباب ٢٧ من الجملة
الثالثة ، وزاد عليه : ان عبد الله بن بكير الأرجاني الراوى قال : فقلت له
عليه السلام : جعلت فداك اين منتهى هذا الجبل ؟ قال : الى الارض السادسة فيها جهنم .
اقول : ان اراد بها طبقات ارضنا فيشير الى حرارة ارضنا ، وإن
اراد بها ارض المريخ أو المشتري فالجبل اشارة الى جبل قاف - اعنى ظل
ارضنا - فانه ينتهى الى نواحي كرة المريخ ، وهى الخامسة من الارضى الشمسية

واخبارها اطلاعا كاملا يعجز عن عشير معشارها اكل الأدوات الجديدة التي عملت باتقان .

المقالة الثانية عشر

في تفسير الفاضل النيسابورى وبحار الآثور والدر المنثور نقلا عن سبعة كتب او اكثر عن النبي ﷺ : « ان الأرضين السبع ما بين كل ارض منها والأرض الأخرى مسيرة خمسمائة عام » وسيأتى هذا الخبر واسانيده في ترتيب السماوات ، وانطباق هذه الأرضى على السيارات واضح لا غبار عليه

المقالة الثالثة عشر

ما في خبر ابن سلام (١) المروى في البحار وغيره كما سيأتى اسناده انه سأل النبي ﷺ عما تحت الجبل ؟ فقال ﷺ : ارض . قال : وما اسمها ؟ قال : الجارية . قال : وما تحتها ؟ قال : بحر . قال : وما اسمه ؟ قال : سهسك . قال : صدقت يا محمد فما تحت ذلك البحر ؟ قال : ارض . قال : وما اسمها ؟ قال : ناعمة . قال : وما تحتها ؟ قال : بحر . قال : وما اسمه ؟ قال : الزاخر . قال : وما تحته قال : ارض . قال : وما اسمها ؟ قال : الفسيحة . قال : فصف لى هذه الأرض قال : يابن سلام هى ارض بيضاء كالشمس وريحها كالمسك وضوؤها كالقمر ونباتها كالزعفران ...

* * *

وقد استفدت بالهام الله تعالى من ألفاظ هذا الخبر امورا خفية افشتها

(١) ان مسائل عبد الله بن سلام مشهورة عند المحدثين من صدر الاسلام و اشار اليها البخارى في صحيحه ، ولكن الغمز يلحق ببعض سؤالاته

لنا كشافيات المتأخرين ، وإليك تلك الأمور :

(منها) تعدد الأرضين ، كما هو ظاهر من الخبر ، وليس في الاختصار على الثلاثة دلالة على الانحصار فيها ، فإن السائل لم يسأل بعد الثالثة عما تحتها فلوا استزاد لزاده النبي الأُمِّي ﷺ .

(ومنها) تحرك أرضنا ، فإن السائل سأل عما تحت الجبل ، أي مطلق الجبل ، فقال (ص) : « أرض اسمها الجارية » وكثيراً ما يراد من الاسم السمة والصفة اللازمة كما قال علي (ع) : « أن اسم السماء الدنيا ربيعة » أي سميتها الظاهرة وصفتها اللازمة (١) فأشار النبي (ص) في هذا الخبر إلى أن صفة أرضنا وسميتها الجارية ، أي أنها تجري في الفضاء وتسير إلى يوم المصير (٢) (ومنها) انطباق أوصاف هذه الأراضي الثلاث على أرضنا والمريخ مع المشتري حسب ترتيب مداراتهم إذ جعلها تحتنا ، فإن أنسب أحوالنا إلى الاعتبار حال مواجعتنا مع الشمس ، مضافاً إلى صدور الكلام في النهار ، فيقع مدار المريخ والمشتري تحتنا وتحت أرضنا ، فقولهُ ﷺ : « أن تحت الجبل أرض » أي تحت طبيعة الجبل وجنسه أو الجبل المعبود بينه وبين السائل ، وقوله ﷺ : « اسمها الجارية » أي صفتها اللازمة وسميتها هي الجريان في الفضاء وسأذكر في مسألة عدد السيارات خبراً فيه تسمية أرضنا بالجريان .

(١) هذا التفسير مبني على أن نقرأ (ربيعة) بالفاء وأما على قراءة بعضهم (ربيعة) بالظاف فعناه القماش الذي عليه النقوش ، وهذا اسم السماء بالعبرانية كما ورد في التوراة (ف) .

(٢) قال نور الله : ويؤيده أن الجبل والأرض كلما اجتمعا في اللفظ افترقا في المعنى وصار أحدهما بمعنى الصخر والآخر بمعنى التراب ، وإطلاقه هنا باعتبار غلبة الأجزاء الترايية أو كونها تحت الطبقة الصخرية .

وانما خص النبي ﷺ ارضا بالجريان مع انه صفة لباقي الاراضى
ايضا ، لاظهار ثبوت هذه الصفة المجهول ثبوتها في ارضا المعلوم ثبوتها
في البقية .

وقوله ﷺ : « وتحتها بحر ، اى مجرى وسيع مستطيل عميق ممتلئ
من جوهر سيال مواج كما حققناه في المقالة التاسعة .

وقوله ﷺ : « وتحت ذلك البحر ارض ، اظنها المريخ ، وقد سبق
تصحيح اطلاق اسم الارض على السيارات .

وقوله (ص) : « اسمها الناعمة ، اى سميتها وصفتها النعومة ، وفي
القاموس وغيره اطلاق الناعمة على الروضة والارض الكثير عشبها وخضرها
وكذلك كرة المريخ بناء على الاستكشافات الاخيرة ، فقد قالوا بغلبة الماء
على ثلث كرة المريخ فقط لا على ثلثي الكرة كما في ارضا ، فوجه المريخ
اكثر ظهوراً ونظارة بالخضرة والاعشاب الناجمة فيه من وجه ارضا مع
اعتدال الحر والبرد هنالك كما ذكرنا . ولون النبات في كرة المريخ مائل إلى
الحمرة كما يميل في ارضا إلى الخضرة ، ولأجل ذلك ترى نجمة حمراء في
الأنظار والنظارات . وعلى هذا فنعرمة ارضا بكثرة الأعشاب والخضرة
امر اكثر اختصاصاً بها من غيرها ، فيكون أليق اوصافها واسمائها بالذكر
اسم (الناعمة) .

وقوله (ص) : « وتحتها بحر ، كأنما أجرى كلامه في البحار السماوية
على نحو ما حققناه في المقالة التاسعة ، بل لو تصفحت الأخبار الناطقة
بالبحار السماوية وجدت اكثرها بل جميعها منطبقة على التحقيق المذكور .

وقوله (ص) : « وتحت ذلك البحر ارض ، اظنها كرة المشتري ، كما
يظهر من تطبيق الأوصاف عليها لقوله (ص) : « اسمها الفسيحة » لأن

فسحة هذه الكرة وسعة سطحها اكثر من سعة جميع الاراضى السيارة ، اذ هي اكبر حجماً من كرة ارضنا بألف واربعائة مرة تقريباً كما مر ، فيكون ألق سماتها وصفاتها بالذكر اسم الفسيحة .

وقوله (ص) : « هي ارض بيضاء كالشمس » اظن الوجه في تشبيهها بالشمس هو دوام الضوء والنور على قرصها ، فان ارضنا واكثر الاراضى السيارة وجميع الاقمار الدوارة قد يزول من وجه قرصها النور بسبب حيلولة جسم ظلماني بينها وبين ما تستضيء منه الا الشمس ، فان وجه قرصها دائم النور ولا تزول عنه الضوء ، لأن قرص الشمس هو منشأ الانوار ، وكذلك كرة المشتري فانها ايضا لا يزول النور من صفاح وجوها ابدأ لكونها محفوفة بأقمار تسعة تدور حولها بسرعة دائمة . مضافاً إلى قصر لياليها واستضاءة نصف منها بالشمس ، وأن زحل ترى في المشتري كالقمر في ارضنا وغير ذلك .

وقوله (ص) : « وضوؤها كالقمر » اظن الوجه في تشبيهها بالقمر بعد تشبيهها بالشمس هو جهة اكتسابها النور من الشمس ، اى كما أن ضوء القمر مستفاد من الشمس بالاتفاق كذلك ضوء ارض المشتري مستفاد من الشمس ايضا وفاقا للهيئة الجديدة . وقد أتى بهذه الجملة بعد قوله : « بيضاء كالشمس » لئلا يتوهم انها كالشمس من جهة كونها نورانية بذاتها مضيئة بنفسها فأشار (ص) إلى انها كالقمر وباقي السيارات التي نورها مكتسب من الشمس .

وقوله (ص) : « ونباتها كالزعفران » فان اسقاط وجه التشبيه فيه اورث اجمالاً في المقام فلا نعرف المراد منه عينا وأن نبات ارض المشتري كالزعفران طبعاً او شكلاً أو لونا أو رائحة ، فكما أن لون النبات في المريخ يميل إلى الحمرة نوعاً ما وفي ارضنا إلى الخضرة كذلك في ارض المشتري يجوز

ان يميل إلى صفرة زعفرانية كما حكى عن فلاسفة العصر ، فيجوز أن يكون قوله : (ص) : « وبناتها كالزعفران » إشارة إلى ذلك ، اى بحسب اللون (١) وذكر بعض فلاسفتهم ان النبات والشجر كثير فى المشتري لاعتدال حره ، وان اشجارها اكبر من اشجارنا نوعاً على نسبة عظمة المشتري بالقياس الى أرضنا . فلو صح هذا الكلام جاز ان نحمل عليه الحديث الصحيح الذى رواه القمى فى تفسيره عن النبي ﷺ أنه رأى فى محل سدرة المنتهى ان الورقة منها تظل امة من الامم .

* * *

ويناسب المقال ذكر ما قاله الفلاسفة فى اللون والنباتات المتكونة فى اراضى السيارات :

قال فى تقويم المؤيد الأغر لسنة ١٣١٩ هـ : فى (زحل) لون النبات رصاصى ، وفى (المشتري) البياض المشوب بصفرة وسمرة ، وفى (المريخ) الحجرة وفى (زهرة) البياض الناصع ، وفى (عطارد) المركب من لونين . . . ولا يخفى ان هذا موافق لما ذكرته فى شرح هذا الخبر . وفى هذا الخبر القدسى كشف لأسرار عظيمة نشرت بعضها فى هذا الكتاب ، وسوف انشر البقية فى غيره انشاء الله تعالى .

المقالة الرابعة عشر

فى البحار عن المثنى الحنط قال : سألت الامام السادس جعفر بن محمد

(١) ويؤيد هذا ماورد فى الحديث عن امير المؤمنين عليه السلام : « ان اسم السماء الخامسة (هيفوف) وهى على لون الذهب » وأنت تعلم ان ترتيبنا المختار فى السيارات يقتضى ان تكون كرة المشتري سماء خامسة .

الصادق عليه السلام عن السماوات ؟ فقال عليه السلام : « سبع سماوات ليس منها سماء الا وفيها خلق ، وبينها وبين الاخرى خلق حتى ينتهي الى السابعة » قال : قلت : والارض ؟ فقال عليه السلام : « سبع منهن خمس فيهن خلق من خلق الرب واثنان هواء ليس فيها شيء » .

يقول المصنف هبة الدين : لقد وجدت هذه الرواية بالفاظها في أصل المثنى الحنطاط (صاحب الامام الصادق) في مكتبة شيخنا المحدث النورى نور الله تربته وسند ذكر انشاء الله تعالى ترتيب السماوات وحقيقتها واشتمالها على الخلق . وقوله عليه السلام : « اثنان ليس فيهما شيء » يجوز حملها على أرض عطار وارانوس ، فان الظن بخلوهما عن الحيوانات أقوى فيما بين القوم ، ولكن الاخبار في وجود الخلق الحيوى لاسيما من النوع البشرى كثيرة جداً وسوف يأتى ذكرها ، فاما ان يحمل هذا الاختلاف على اختلاف الاوقات وان الاثنين كانت خلية عن الخلق الحيوى فى عصر ثم وجد فيها لاحقاً أو كان موجوداً فيهما سابقاً ، أو يحمل على اختلاف حقائق المخلوقات ، أو ان النفي ناظر الى جنس منها والاثبات ناظر الى جنس آخر - فتدبر .

المقالة الخامسة عشر

في بصائر الدرجات ج ٨ باب ١٥ بعدة طرق مختلفة واختصاص المفيد واكمال الدين للصدوق ومنتخب الاختصاص بأربعة طرق والبحار بالاسانيد عن الامام الخامس محمد بن على الباقر عليه السلام فى وصف الامام المنتظر القائم من آل محمد عليه السلام انه قال فيما قال : « أما انه سيركب السحاب ويرقى فى الاسباب أسباب السماوات السبع والارضين السبع خمس عوامر واثنان خرباوان » . أقول : دلالة هذه الرواية على تعدد الارضين واشتمالها على النوع البشرى

واضحاً ، لحكمه ﷺ بعمران خمس منها ، والعمران لا يكون الا من أعمال الانسان .

واحتمل ان يكون قوله ﷺ : « واثنتان خرباوان » اشارة الى خلو أرض عطارد وأرانوس كما مر ، أو خلو أرض فلكان ونبتون ، فان افراط الحر في فلكان من فرط قربه للشمس وكذا افراط البرد في نبتون من فرط بعده عن الشمس مستوجب لعدم صلاحيتهما ونفي قابليتهما لسكنى الانسان والحيوان كما سيأتى بيانه .

وأما قوله ﷺ : « ويرقى في الأسباب » فاحتمل ان يكون اشارة الى تكميل الاسباب السماوية الناقصة في عصرنا ، من مثل المناطيد والطائرات وبقية المراكب الهوائية التي ترقى بالانسان وتصعد به بمهونة البخار أو الأجنحة أو غيرها الى السماء ، فلربما تتكامل هذه الاسباب والمراكب الى عصر المهدى القائم الموعود بحيث تنزح بالركاب من كرتنا الى باقى الكرات السامية .

ألا تذكر عجز الانسان عن صعودهم الى الهواء بمقدار باع بل ذراع حتى كانوا يمثلون للأمر المستحيل بالطيران فى الهواء ، ثم اقتدروا من ترقى العلوم وتربية الأفكار الى ان صعدوا فى المراكب الهوائية اعلى الهواء ورفعوا بها المدافع والأثقال سائرة بهم فوق السحب والجبال بمآت الأميال .

وخاصة العصر الحاضر المليء بالكشفيات والصنائع الجديدة التي تحير العقول من عظمتها ومتانة صنعها ودقة تنظيمها ، هذه الصواريخ تبشرنا بقرب وصولنا الى كرة القمر ، وهذه الصنائع الجديدة الهوائية تضع أمامنا الوسائل للصعود الى الكواكب التي لم نصدق ان يأتى يوماً نحلم بالصعود اليها . أليست هذه الأقمار الصناعية مما يقرب اليها ما نقرأه فى هذا الحديث الشريف من الرقى فى السماء وقطع المسافات البعيدة فى هذا الفضاء الواسع الممتلئ بالعجائب والآيات

فلا تستبعد حصول ما نظنه مستحيلاً فلربما يأتي يوم تنهياً لك آلة تعرج بك من كرتنا الهوائية فتجول في بیداء الفضاء بعد تكمیل سائر المقدمات والمبادئ وازالة جملة الموانع العائقة في طريقك فتستعد حينذاك للمهاجرة الى السكرات السامية والمعاشرة مع أهاليها وساكنيها ، كما يحدثنا به القرآن الكريم : ﴿ ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون ﴾ (١) .

ولهذا يمكن ان ترتقي العلوم عند سكنة هاتيك السكرات فينزلون اليها بأسبابهم وتعلم منهم الصعود اليهم والسفر الى كراتهم . فكل هذه الأشياء جائز مضمون وتحظى بها النفوس القابلة .

ولو اشتريت الآن عمرى بيوم من تلك الأيام السعيدة لبعثتك العمر كله راجحاً مستبشراً ، ولكن حدث عن الاعمار والهمم واستعداد قومنا وبلادنا ، فانك لاتجد فيهم أو فيها حق الآن مبادئ من آثار التمدن الذى كاد العالمون ان يبلغوا منتهاه ، وحسبك انا نسمع بالتلسكوب والنظارات التى تريك جبال القمر ولم نرها فى بلادنا قط .

وخلاصة ما قدمته ان ترقى الأسباب السماوية بحيث تحمل المسافرين الى الاراضى السيارة فى الأزمنة الآتية أمر ظاهر مضمون ، فيجوز ان نحمل عليه قوله ﷺ فى وصف القائم المنتظر - عجل الله تعالى فرجه - : « أما انه سيركب السحاب ويرتقى فى الأسباب أسباب السماوات السبع » .

أما ركوب السحب بمعنى السير فوق ظهورها والعلو عليها ميسور بحمد الله تعالى فى هذا العصر أيضاً بواسطة الطيارات والمراكب الهوائية .

وقد يكون ارتقاء المهدي ﷺ فى الأسباب اشارة الى دخول العالم فى طور جديد من العمران والمدنية هى ارقى من عصر خطاب الامام الباقر ﷺ

بما لا يقاس ولا يحصر ولا يخطر على قلب بشر من التفنن في وسائل الحياة وتكامل الصنائع والحاجات ، كما أشار الى ذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام في احدى خطب نهج البلاغة التي هي في صفة القائم من آل محمد (ص) حيث يقول : « فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع وأراكم ما كنتم تأملون » يعني من ظهور القائم من آل محمد (ص) باتفاق الشارحين .

فبفراغ الصبر نأمل قرب ظهور المصلح المنتظر المهدي الموعود عند تكامل الصنائع وارتقاء أسباب السماوات على مامر ، وارتقاء أسباب الارضين من صنوف نوافل البرق والبخار والذرة وغيرها مما لا نعلم بها الآن ، كما كانت الصنائع الحالية غير معلومة لمن قبلنا بل كانت غير معقولة في صدر الاسلام وعند المسلمين الاولين .

كان الاولون من أسلافنا يتلون في كتاب ربهم : ﴿ والخييل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون . وعلى الله قصد السبيل ﴾ (١) ثم لم يكن في علمهم وحسابهم ما نحسه اليوم من الدوارج والبوارج ، فعسى أن يحس أبنائنا ما لانحسه اليوم ولا نتفكر أبداً . والمستقبل كشاف والليل حبل فما يدريك ما تلد .

واستوفيت المقال في هذا المجال في تصنيفي (الشريعة والطبيعة) و(مظاهر الطبيعة من ظواهر الشريعة) .

(المسألة الخامسة)

(ان السيارات تسعة فكيف تكون الارضين سبعة ؟)

ان المقالات المتواترة في الشريعة الاسلامية - على صاحبها التحية والسلام - قد وجدناها تعد الارضين سبعة ، وذلك ترتيب غريب لا يستقيم على النظام الجديد ولا القديم ، اذ السيارات في الهيئة الجديدة تسعة وفي الهيئة القديمة وان كانت سبعة لكنها ليست عندهم بنحو يصدق على شيء منها الارض ولا يعدون أرضنا منها مع كونها الأرض الحقيقية المسلمة ، مضافا الى ادخالهم جرم الشمس في عداد السيارات مع انها ليست بأرض اتفاقاً ، فما وجه حصر الأرضين والسموات في السبعة والمكوت عن فلكان ونبتون ؟

(الجواب)

لما كانت هذه المسألة المعضلة منحلة الى سؤالين أوردنا الجواب عنها في مقامين : أحدهما ان الشرع الاسلامي هل حصر الأرضين في السبع أو لا ؟ وثانيهما انه هل سكت عن أرض فلكان ونبتون أو لا ؟

المقام الاول

ان الغالب في كلمات شرعنا الا قدس وان كان تعدد الأرضين وان السماوات سبعة لكن العدد قد لا يفهم منه نفى الزائد ، وموارده كثيرة في لغة

العرب . مضافا الى تصريحات الأئمة المعصومين عليهم السلام لبعض الاخضاء من أصحابهم بأن الأرضين أكثر من السبع كما سيأتى فى أخبارهم عن فلكان ونبتون وتقدم فى مسألة تعدد الأرضين فى المقالة السادسة انها تقرب من ثلاثمائة ، وفى بعض الاخبار انها أربعون ، وستسمع أمثال هذه الاخبار فى مسألة تعدد العوالم وانما كان الشائع فى ألفاظهم هو ان الارضين سبعة باسقاط فلكان ونبتون لأن السبعة من السيارات كانت مرئية بالأبصار المعتدلة حتى عند المتقدمين ، ولكنهم لم يتفطنوا بسير بعض منها . وتلك السبعة هى : أرضنا ، وزهرة ، وعطارد ، والمريخ ، والمشتري ، وزحل . وأرانوس .

انهم يقولون : ان ارانوس مبصر ولكننه صغير كنجم من القدر الخامس من الانجم المبصرة مثل نجمة سبى بل انور منها ، فالناظرون الى السماء كانوا يرون نجمة ارانوس قديماً وحديثاً ولكنهم لم يشعروا بكونها سيارة كسائر السيارات ، إما لبطء مسيرها أو لخفاء نورها أو لغير ذلك .

وأما (فلكان) و (نبتون) فمن غاية قرب الأول من الشمس وكثرة بعد الثانى عنها لم يكن أحد وقتاً ما يتمكن من رؤيتها بالبصر المجرد أبداً ، وانما يدركان فى عصرنا الحاضر بالأبصار المسلحة بأكمل النظارات القوية كما لا يخفى .

فاذا كانت السيارات المرئية اعنى التى يبصرها الناس سبعة وثبت ان فلكان ونبتون لا يراها أحد بالبصر المجرد فأقول : المظنون لدى هو ان شرعنا الاظهر جعل مدار كلامه فى السيارات مع عامة الناس على ما هو المرئى والصالح للرؤية لاعلى الممتنع لبصاره فى تلك العصور ، فتلك الارضين السبع السيارة لما كانت صالحة للرؤية اعتبرها الشارع فى شائع كلماته ، وأما فلكان ونبتون ونحوهما فاذا كانت غير صالحة لأن يراها أحد لم يتوجه الكلام الشائع اليها فى شريعتنا ، بل ألقى ذكرهما الى الخواص بضرب من الاشارة كما سيتلى .

أما ذكر السماوات السبعة فلأنها ملحوظة بالنظر الى الأرضين ، على ما سيأتى ان شرعنا القدسى قد عين لكل أرض سماءاً يختص بها .

هذا ، مع انه احتفل بالمقام أمراً آخر وهو ان السماوات - على ماسيجي - تحقيقه الشرعى - هى الكرات البخارية المحيطة بالكرة الهوائية من كل أرض والكرة البخارية لاتحدث الا بشرطين :

(الاول) - ارتفاع الحرارة والأجزاء النارية من الجسم الارضى .

(الثانى) - كثرة الرطوبات والأجزاء المائية .

ووجود هذين الشرطين فى السيارات السبعة المبصرة قريب الاحتمال جداً ، ولذلك ادعى القوم رؤية الكرة البخارية فى السبعة المبصرة فقط ، وسنذكر تصريحاتهم فى المسألة الثانية عشر ، وأما السيارتان المستورتان فلكان ونبتون فيبعد وجود الشرطين السابقين فيهما ، فان فلكان من غاية قربهما من حرارة الشمس لاتبقى رطوبة فيها عادة حتى يظهر فيها البخار ، كما ان نبتون من كثرة بعده عن الشمس لاتكون فيه حرارة عادة حتى ينمض البخار فيه ، اذ قدر القوم حرارة شمسنا فى كرة نبتون بأقل مما فى أرضنا بأكثر من تسعمائة مرة .

ولا يذهب عنك ان الظن يستترب هذه المعانى فلا تحسبها مبادئ يقينية (والحق أدرى بالذى خلق) .

المقام الثانى

هل ان شرعنا الأقدس أخبر عن السيارتين المستورتين فلكان ونبتون اولم يخبر حيث كانت المصلحة فى سكوته ؟

ومعلوم ان الاخبار عن مثل هذه الاشياء انما هو بالاخبار عن اوصافها المنطبقة عليها لا بأساميها الأروباوية المستحدثة .

نقول في هذا المقام : انا نجد الشريعة الاسلامية تخبر عن ارضين مستورتين وعن اوصاف خاصة بهما منطبقة على ارض نبتون وفلكان :

اما (نبتون) المكتشف وجوده سنة ١٢٦٤ هـ - ١٨٤٦ م فينظر اليه - حسبما اظن - الخبر المروى في البحار ومعاني الاخبار وغيرهما بالاسناد القوي عن الامام السادس جعفر بن محمد الصادق (ع) انه حينما سأله عن معنى الأفق المبين ؟ قال (ع) : « قاع بين يدي العرش فيها انها رتطرد » .

اقول : القاع في اللغة بمعنى الأرض ، والطرْد بمعنى الجريان ، ومخالفة هذا الحديث مع مباني النظام القديم واضحة كجواز انطباقه على كرة نبتون ، فان العرش في اللغة السقف وفي لسان الشرع - على ما سنحققه في مسألة تعدد العوالم - هو منتهى عوالم الأجرام والأجسام من كل جهة ، كما ان اسم الكرسي في شرعنا القدسي محمول على المحدد لأفلاك سياراتنا والمفروض نهاية لعالم شمسنا ، فيجوز أن تكون الأرض الشاخصة بين يدي العرش من دون سائر الأراضي السيارة هي (نبتون) ، فانها بحسب الظاهر كبواب لاداراتنا الشمسية وآخر سيار في نظامنا يتمثل بين يدي عالم الثوابت وربما يكون في التعبير عنها بالأفق نوع اشارة إلى حيطه مدارها بسائر اجرامنا ومداراتنا ، مثل احاطة الأفق بأجرام الأرض .

* * *

واما (فلكان) المكتشف وجوده سنة ١٢٦٤ هـ - ١٨٤٦ م فينظر اليه حسبما اظن الخبر المروى في البحار والمناقب للحافظ الشيخ رجب البرسي المؤلف سنة ٨٠٠ هـ ومصباح الفاضل الكفعمي بالاسناد عن الامام السابع

موسى بن جعفر الكاظم (ع) عن آبائه المعصومين عن النبي (ص) انه قال له جبرئيل : « والذى بعثك بالحق نبياً ان خلف المغرب ارضاً بيضاء فيها خلق من خلق الله » إلى أن قال : « ومسير الشمس في بلادهم اربعون يوماً . . » (١) ومثل هذا الخبر ما رواه العلامة المجلسي في بحار الأنوار عن بعض المفسرين : « ان لله سبحانه وتعالى من وراء جبل قاف ارضاً بيضاء كالفضة المجلوة طولها مسيرة اربعين يوماً للشمس »

وفي كتاب العوالم عن الامام موسى بن جعفر عن آبائه عن النبي (ص) انه قال له جبرئيل : « والذى بعثك بالحق نبياً ان خلف المغرب ارضاً بيضاء فيها خلق من خلق الله يعبدونه ولا يعصونه » .

وانطباق هذه المضامين على نجمة فلكان من جهة انها من شدة قربها من الشمس وقوة الاشعاع عليها اشد بياضاً من الفضة المجلوة .

وحسبك أن نجمة عطارد ينتهي بعدها عن الشمس إلى تسعة وعشرين درجة ، وقوة نور الشمس وحرها في عطارد ثمانية امثال نورها في ارضنا ،

(١) وفي هذا الخبر اشارة إلى سكون الشمس وتحرك الارضين حولها لأن حركة الشمس في النظام القديم حول الاراضى منتظم لا يختلف حسب اختلافها ، فيكون بناءً عليه مسير الشمس على سطح الجميع ٢٤ ساعة أو ٣٦٠ يوماً ولا يتجه اختلاف مسير الشمس على سطوح الارضين بحيث يكون في البعض ٣٠ يوماً وفي البعض ٤٠ يوماً وفي البعض اكثر أو اقل ، الا على النظام الجديد - اعني سكون الشمس وحركة الارضين . ذكر ذلك بعض المعاصرين ، فتأمل فيه .

نعم ان الخبر بسبب اثباته ارضاً غير ارضنا ينفي بفساد النظام البطليموسى ، وفيه الكفاية .

ونجمة فلكان ينتهى غاية بعدها عن الشمس إلى سبع درجات ، فما ظنك بقوة نور الشمس فيها والحالة هذه !! ولأجل ذلك سماها الافرنج (فلكان) ، وهو عندهم اسم للجبل النارى ومعربه (بركان) .

والحاصل أن نجمة فلكان من غاية قربها من الشمس اشد بياضاً من كل جسم ابيض .

والجهة الأخرى المكملّة لهذا التطبيق أن الطول في كل ارض سيار انما هو خطها الاستوائى - اعنى به دائرة الاستواء كما في ارضنا - والشمس تواجه اجزاء دائرة الطول من كرة فلكان في عشرين يوماً من ايام ارضنا في السير السنوى لا المحورى ، فان فلكان سيار حول نفسه في ثمانية عشر ساعة تقريباً وسيار حول الشمس سنوياً في عشرين يوماً ، وعلى هذا يكون النهار فيه تسع ساعات والليل ايضاً تسع ساعات ، واطلاق اليوم على النهار سائع بل شائع في العرف ، فيصدق أن طول كرة فلكان مقدار مسيرة الشمس اربعين يوماً نهائياً بالسير السنوى لنجمة فلكان ، وأن ارضها بياض من شدة شعاع الشمس كيباض الفضة المجلوة ، وانها من وراء جبل قاف أى من بعد مخروط ظل الارض - كما تقدم - إن كان صدور الكلام في الليل ، وانها خلف المغرب من جهة ارضنا حالكون الارض حذاء الطرف الشرقى من قرص الشمس - فتدبر .

* * *

ونظير هذه الأخبار ما رواه الحافظ السيوطى في الدر المنثور عن بعض أئمة الكوفة - والظاهر انه الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) - انه قال : قام ناس من اصحاب رسول الله (ص) يعنى احتراماً له ، فقصد النبي (ص) نحوهم فسكتوا ، فقال (ص) : ما كنتم تقولون ؟ قالوا : نظرنا إلى الشمس فتفكرنا فيها من أين تجيء ومن أين تذهب وتفكرنا في خلق الله تعالى ؟

فقال : (ص) : « كذلك فافعلوا ، تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله تعالى ، فان الله تعالى من وراء المغرب ارضاً بيضاء بياضها ونورها مسيرة الشمس اربعين يوماً فيها خلق من خلق انه تعالى » .

وروى الغزالي في باب التفكير من كتاب احياء العلوم : أن النبي (ص) خرج على اصحابه وهم يتفكرون فقال : « تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه فان الله تعالى وراء المغرب ارضاً بيضاء بياضها ونورها مسيرة اربعين يوماً فيها خلق لا يدرون خلق آدم ام لم يخلق » .

ورواه عنه تاج الدين ابن تقي الدين السبكي في الجزء الرابع من طبقات الشافعية .

تتمة مهمة

في توقع كشف جديد

قد تكرر في بعض اخبار الأئمة الاطهار اشارات وبشارات بوجود ارض مستورة عن الابصار اكبر من ارضنا بكثير ، وهي :

١ - روى الحافظ نضر الدين الطريحي في كتاب مجمع البحرين عن نضر

الدين الرازي في جواهر القرآن بسنده عن النبي ﷺ انه قال : « الله تعالى ارض بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوماً ، هي مثل الدنيا ثلاثون مرة » .

٢ - روى الشيخ الزاهد أبو الليث السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٣ هـ في

كتاب له وعندي نسخة منه عتيقة جداً يلوح من رسوم خطها واورقها انها مكتوبة قبل المائة الثامنة الهجرية وفيها ان رسول الله (ص) قال : « ان الله

تعالى خلق أرضاً بيضاء مثل الدنيا ثلاثون مرة ، ومسيرة الشمس فيها ثلاثون يوماً محشوة خلقاً .

٣ - روى في كتاب البحار وبصائر الدرجات عن الامام السادس جعفر ابن محمد الصادق عليه السلام انه قال : « ان من وراء أرضكم هذه أرضاً بيضاء ضروها منا ، فيها خلق يعبدون الله تعالى ولا يشركون به شيئاً » .

أقول : هذه الاخبار في صدد الاعلام بوجود أرض سيارة مجهولة غير معلومة ، لكنها قابلة لأن تحمل على ارادة أرض فلكان كما استبان بشرط معالجة قوله : « هي مثل الدنيا ثلاثون مرة » . فان ظاهره كونها اكبر من أرضنا ثلاثين مرة ، والمعروف في تحديد نجمة فلكان انها أصغر من أرضنا بكثير ، الا ان يقال باشتباه الامر عليهم في تحديدهم ، كما اعتذر بعضهم بأنا حيثما لم نر لها قرأ ونحوه لم نعرف قدر جثتها ولا بعد مسافتها عنا .

وأيضاً يحتاج عندئذ قوله : « ومسيرة الشمس فيها ثلاثون يوماً » الى الى تصرف وتوجيه آخر .

وهذه الاخبار قابلة أيضاً لأن تحمل على ارادة أرض سيارة أخرى من داخل نظام شمسنا غير فلكان وغير نبتون ولو لم يشتهر اكتشافه ، اذ لا يقول أحد بامتناع وجود سيارة أخرى غير هذه التسعة ، وسنذكر في مسألة اعداد السيارات جملة روايات يظهر منها ان النجوم السيارة احدى عشر . بل يظهر منها أيضاً ان هذه السيارة الخفية حتى الآن موضعها وراء أفلاك النجوميات بل وراء نبتون ، فينبغي ان نرتجى كشفها اذا تكملت الآلات والنظارات بأكمل مما

هى عليها الآن (١) .

ولعمري ان هذا السيار لو ظهر وانكشف فالأحرى ان يسموه (النجم المحمدى) ، فانه (ص) بينه وأوضح صفاته وموضعه منذ الف عام وقرون وأيام ، ولكن أين ذا وأنى ذلك فان هذه الترفيقات لا يحظى بمثلها المسلمون من شدة تقاعدهم عن صرف الهمهم وبرودة قلوبهم فى تحصيل الكمالات ، والافرنج وان كانوا الآن موفقين غير مقصرين الا اننا نراهم يرمقون المسلمين بأنظار غير شفيقة يظهرون لنا غير ما يضمرونه علينا ، ونرى دعائهم فى كل عصر ومصر يبذلون الجهد البالغ فى نحو آثار هذه الشريعة السمحاء وتفريق جامعة هذا الدين المبين ، ونحن فى غفلة عنهم معرضين .

كيف نرجو منهم ان يضعوا وسامة نبينا (ص) على ذلك المستكشف المستحدث ؟ ان هذا شيء لم يعملوه الا ان يتبدل الحال وترتقى همم الرجال .
دع نيران قلوبنا على لهباتها بين الضلوع ، وخل عن الأماق تموع كالشموع من ضعة المسلمين فتذرف بالدموع ، فان هذا هو العصر الذى أخبر عنه فى شرعنا : « ان قلب المؤمن ينثا فيه كما ينثا الملح فى الماء » . والأمر بيد الله تعالى .

(١) اكتشف بعد تأليف هذا الكتاب سيارة (بلوتو) وصار بهذا الاكتشاف عدد السيارات عشرة ، ويمكن ان تكون هذه هى السيارة التى يتحدث عنها المؤلف فى هذا المقام (ف) .

« المسألة السادسة »

(في حقيقة السماوات السبع والأرضين وترتيبهما)

يعتقد أكثر المسلمين في السماوات السبع والأرضين السبع المذكورات في شريعتهم أنها هي فلاك السيارات التي أثبتتها قدماء الحكماء والتزموا بأنها أجسام بسيطة شفافة كروية متلاصقة ، وغير ذلك من الصفات السابقة .

ونحن نجد الحكماء المتأخرين قد كشفوا بعد الألف من هجرة النبي (ص) غشاوة الجهل عن وجوه الجواهر العلوية وشرحوا لنا أحوال الكرات من الثوابت والسيارات فلم يجدوا من تلك الأفلاك عينا ولا أثرا ، بل وجدوا ما ينافي وجودها - كما سيتلى في غير مكان .

فاذا انتفى وجود هذه الأجرام العظيمة وبطلت مباني الهيئة القديمة فأين تكون السماوات والأرضون التي تواتر ذكرها في الدين الاسلامي - على مبلغه السلام والتحية ؟

(الجواب)

لا يكاد يخفى على من استقرا كتب المسلمين أنهم وإن اتفقوا في عدد السماوات ولكنهم مختلفون في حقيقتها وتطبيقها على أفلاك الفلاسفة ، حتى أن بني نوبخت (وهم من قدماء الامامية المشهورون بعلوم النجوم والفلسفة) يرون السماوات السبع فوق الأفلاك ، وتبعهم في ذلك حسب المنقول الشيخ أبو الفتح محمد الكراچكي المتوفى سنة ٤٤٩ هـ .

نعم ، منذ شاعت الهيئة البطلمية في القرون المتوسطة الهجرية
اشتهر بين المسلمين أن السماوات السبع هي الأفلاك العظيمة للسيارات السبع ،
حتى اعتقد المتفلسفون منهم أن الكرسي هو فلك الثوابت وأن العرش هو فلك
الأفلاك على ترتيب الهيئة القديمة ، كما صرح بذلك شيخنا الشيخ البهائي في
صدر تشریح الأفلاك وغيره في غيره .

أما حقيقة السماوات فلا زالت مجهولة عند علماء الاسلام وغيرهم ، لأن
المنقول بالظن واليقين من مقالات هذا الشرع المبين في ابواب السماوات
والأرضين غير مناسب لما اثبتته الفلاسفة للجواهر السماوية لا ذاتاً ولا صفة
بل التنافي بينهما ظاهر وبين جداً .

ان الشرع الاسلامي ناطق بأن السماء تقبل الطي والانخراق والشمس
والقمر يقبلان التكوير والانشقاق ، وان السماء قد خلقت من بخار أودخان
ولها سلاك وابواب وسكان ودواب ، وفيها صخور وجبال وذرات اقل من
المثقال ، وهي حادثة غير ازلية وزائلة غير ابدية ، وأن الجنة موجودة
الآن فيما بينها بجميع لذاتها الحية ، وغير ذلك مما يناقض مباني الهيئة البطلمية
ولأجل هذا التنافي التزم المحققون من علمائنا بالتفرق في أكثر ظواهر
الشرع ، حتى ذهب بعضهم إلى اتحاد عنوان السماوات وعنوان الأفلاك ،
كل هذا لكي يوفقوا بزعمهم بين الشريعة المقدسة وبين تلك الفلاسفة المندثرة ،
حيث كانوا مستأنسين بقواعد غافلين عن وهن اساسها ، منذهلين عن ان
النبي (ص) وامناه (ع) كانوا يحذرون الناس عن الميل الى آراء الفلاسفة ،
فلو كانت آراؤهم هي البواطن لظواهر اقرال الشريعة فما هذا التحذير ؟

وحيثما كان تحقيق حقيقة السماوات في الشريعة وبيان ترتيبها من اهم مسائل
هذا الكتاب وانفعها ومن اصعب البحوث الاسلامية العصرية لزمى الاجتهاد

والتدقيق في الفحص والشرح ، فاستعنت بالله وافرزت هذه المسألة من ترتيب السماوات حتى تتضح حقيقة السماء شرعاً وأن اسم السماء في شرع الاسلام مستعمل في اى معنى حقيقى ثابت في الكون لا نعرفه .
فنقول : لا شك أن العرف واللغة يطلقان السماء على الشئ العلوى ، فانه من السمو بمعنى العلو .

قال الفاضل القزوينى في عجائب المخلوقات : كل ما فوق الأرض فهو سماء .
وفي طريق اللغة : يقولون ما علاك فهو سماءك .

وقال الثعالبي في كتابه لباب الأدب في اول ابوابه : كل ما علاك فأظلك فهو سماء ، وكل شئ دب على وجه الأرض فهو دابة . .
وقال الطبرسى في مجمع البيان : كل ما علاك وأظلك فهو سماء ، وكل ما استقر عليه قدمك فهو أرض ، وذلك واضح لا ريب فيه .

وعلى هذا يكون اطلاق السماء على المطر والسحاب والفلك والجو وأجرام الكواكب وغيرها على نحو الحقيقة جميعاً ، فانها افراد ومصاديق للشئ العلوى الذى هو معنى السماء وهو الكلى لها وصدق الكلى على افراده حقيقة ومعلوم أن الشارع وخلفاءه تابعوا العرف في هذه الألفاظ والأسماء ولم يتفردوا فيها باصطلاح مخصوص ، فكلما أطلقوا لفظ السماء ارادوا به ما يوجد في جهة العلو مطلقاً .

ومن تصفح المقالات الدينية يعرف أن لفظ السماء لم يطلق في الشريعة الا على احد معان ثلاث مندرجة في معنى ما يوجد في العلو ، وهى (١) :

(١) ان هذه المعانى للسماء في اللغة العربية واضحة معلومة ، مضافاً الى اطلاق لفظة (آسمان) على السماء في الفارسية وهى مركبة من (آس) بمعنى آسما-

١ - نفس الجو العالي والفضاء الخالي كقوله تعالى : ﴿ جهل في السماء بروجا ﴾ (١) .

٢ - نفس الكرات السامية والأراضي السيارة ، مثل ما ورد : « ان في السماء آدم كما دمكم ونوح كبنو حكم » وغيره مما سيمتلي .

٣ - جسم عظيم كروى محيط بأرضنا وبالأرضين السبع ، وأكثر ما يستعمل لفظ السماء في الشرع ناظر الى هذا المعنى ، ولا سيما اذا اقترن به ذكر الأرضين السبع (٢) .

وعمة الاضطراب وقصور الأصحاب انما هو في فهم حقيقة هذا الجسم المحيط بالأرض ، وانه عنصرى أو فلكى أو غيرهما ، بل وفي انه جسم مادي أو جوهر قدسى ، بل وفي انه جوهر أو عرض ، كالقائل بأن السماء في عرف الشرع نفس جهة العلو والجو لا غير .

وتحقيق الحق على النحو الأحق يستدعى تمهيد مقدمة مسبقة ، وهى

- و (مان) بمعنى المثل ، وهذا المعنى يطابق تماماً مع الهيئة الكوبرنيكية ، لأن آسيا عند كوبرنيك تدور على نفسها والكرات السماوية الأخرى أيضاً تدور على نفسها .

ومن جهة أخرى فان أرضنا وبقية الكرات السماوية لها كرات بخارية حولها تدور مع أراضيها واجرام هذه الكرات مدورة مثل آسيا ، فاذن هذه الكرات تشبه آسيا تماماً ، فيحق أن نطلق عليها لفظة آسمان (ف) .

(١) سورة الفرقان آية ٦١ .

(٢) قال نور الله : ويؤيده أن السماء متى اجتمعت مع الأرض في اللفظ افرقت في المعنى ، واذا افرقت في اللفظ جاز اجتماعهما في المعنى ، وكثير في اللغة من هذا القبيل .

ان كرة الأرض بالاتفاق والعيان يحيط بها الهواء من كل مكان ، وانفق ايضاً الحكماء قديماً وحديثاً على أن الحرارة المتوجهة الى ارضنا من الشمس بمصاحبة الأشعة تنعكس عن سطوح الأرض بانعكاس الأشعة الى كل جهة ، وكلما تعلو تلك الحرارة المنعكسة وتبعد عن الأرض تضعف وتقل ناريته حتى تتلاشى فتتهدم ، واختلفوا في منتهى مسير تلك الحرارة ومحل تلاشيها : فقدره القدماء سبعة عشر فرسخاً وميلاً ، وقدره المتأخرون بأقل من ذلك مختلفين فيه .

وفي اوائل انهدام تلك الحرارة تتجمد البخارات والادخنة المرتفعة من الأرض وتثبت الرطوبات الصاعدة من البحار والبحار ونحوها ، فتلبث هنالك منطبقة .

ولهم على هذه الدعاوى براهين قوية .

ومن هنا قسموا الهواء المحيط بالأرض الى طبقات ، مثل طبقة النسيم وهي المتصلة بالأرض المتحرك هواؤها الى الجهات ، وهذه آخر الطبقات واصلاحها للبعيثة ، وينتهي محدبها - على ما في عجائب المخلوقات - الى ستة عشر ألف ذراع فوق الأرض وقيل اكثر . ومثل طبقة الزمهرير الساكن هواؤها الممتلئ من الرطوبات المنجمدة والغازات المتسكثفة ، وفي اوائل هذه الطبقة الباردة تجرى الغيوم وتثور البروق ، وهي غير صالحة للبعيثة ، والواصل اليها يرعد ويرعف ويضعف وينزف الدم من اذنه وعينه ومنافذ جسمه والحكماء المتأخرون عن الألف الهجرى وافقوا القدماء الى هنا وخالفوهم في امور :

(منها) انكارهم لطبقة النار التي زعم القدماء احاطتها بكرة الهواء .

(ومنها) اثبات الوزن للكرة الهوائية والبخارية كما سيأتى .

(ومنها) ان الأرض مع كرتها الهوائية والبخارية تجول في الفضاء الخالي عن الأرضيات المتلىء من سيال جوهر (أثير) كما مر في البحار السماوية .
واختلف المتأخرون في منتهى طبقات الهواء المشايعة لأرضنا في الحركة فقال (فلامريون) الفرنسي مامعناه : ان الجسم المحيط بالأرض تبلغ خفامته مائة ألف متر تقريباً وسمى ذلك بد (الاتمسكر) والأصل (اتومس اسفر) كلمات يونانية بمعنى البخار المدور .

والمشهور بين حكماء عصرنا ان علو اتمسكر ليس بأقل من خمسة عشر فرسخاً وان اختلفوا فيما فوقه .

والعمدة في ميزان حسابهم معرفة مقدار انكسار النور في الفجر والشفق عند نفوذه في الكرة الهوائية ووصوله إلينا ، ولذلك قال الفاضل الشذوري في كتاب العروس البديعة : ان علو الجلد - أى الكرة المحيطة بأرضنا كالغلاف والقشر - وارتفاعها من الجلد الذى ينكر فيه النور فهو نحو خمسة وأربعين ميلاً ويعرف بواسطة الشفق ، ولعله يمتد الى علو مائة او مائتين ميل فوق سطح الأرض .

وهذا الاحتمال يصحح تجويز بعض الحكماء كون علو الجلد ثلاثين فرسخاً وفي كتاب الآيات البينات : ان مظاهر الشهب والاشفاق القطبية فيه على أمد سبعين ميلاً الى ثلاثمائة ميل ، وذهب بعضهم الى ان علوه نحو خمسمائة ميل .

وحكى عن نيوتن انه قال بارتفاعه خمسين فرسخاً .

وقد ذكر مؤلف حقائق النجوم أدلة قوية على ان الكرة البخارية الأرضية فوق مائة ميل ، غاية الأمر اختلاف طبقاتها في الكشافة واللطافة حتى يتصل بالملاء الأثيرى الذى لم نسمع بالطف منه .

وأما الفجر والشفق فلما كان حصولهما من كثافة الهواء لا جرم كان ظهورهما من ابتداء خمسة وأربعين ميلا ، فلا يكون هذا التحديد دليلا على نهاية الكرة البخارية ، بل انما يدل على ان كثافة أبخرة هذه الكرة تنتهي الى خمسة وأربعين ميلا ، فلا ينافي هذا وجود بخار لطيف وهواء شفاف فوق ذلك ، ولا سيما بعد ظهور العلامات الصادقة الناطقة بوجود الهواء والبخار فوق مائة ميل حتى يبلغ الأثير .

وقال فاندريك في الجزء الثالث من النقش في الحجر : انا عائشون في قعر اقيانوس سيال معدل عمقه بالآقل مائة مثل عمق أوقيانوس الماء الغامر للكرة الأرضية .

والحاصل مما سبق ان أرضنا هذه يحيط بها كرة بخارية غازية محشوة بالأجزاء الكهر بائية ، ويعبر عنها بالزمهرير أو الجلد أو اتمسفر أو كرة الثلج أو غير ذلك ، وعلوها ليس بأقل من خمسة عشر فرسخاً ، وان قالوا بأكثر من ذلك وهذه الكرة البخارية مع الكرة الهوائية التي في جوفها تتحركان بمصاحبة الكرة الأرضية بجميع حركاتها الوضعية والانتقالية .

اذا عرفت هذه المقدمة قلت : يخطر ببال معنى مستغرب في بادىء النظر ولكنه مستحسن عند التفكير في شواهد ، وموجز ذلك : ان السماء اذا ساغ وشاع اطلاق لفظه على كل موجود علوى - كما تقدم - فلم لا يجوز ان تكون سماء أرضنا عبارة عن الكرة البخارية المحيطة بهواء أرضنا ، وكذلك سموات بقية الاراضى السيارة انما هي كراتها البخارية المحيطة بها ، فهل ترى مانعاً من ذلك عقلاً أو شرعاً أو لغة أو عرفاً ؟ كلا ! بل تجد على هذا المدعى الشواهد والامارات الكثيرة من الآيات والروايات كما سنتلوها عليك . وسوف نذكر أيضاً ان الارضين السبع السيارة لكل منها كرة هوائية يحيطها كرة بخارية .

أما المقالات الشرعية التي تشهد بأن السماء شرعاً هي السكرة البخارية لكل أرض بوشك ان تكون طوائف عشرة .
الطائفة الأولى

ما نطق من الأخبار بأن السماء مخلوقة من البخار ، وحيثما كانت بيئة المبائية مع مباني الحكمة القديمة اضطربت كلمات المحققين من علمائنا في تفسيرها فأولوها الى معان لا يخفى ما فيها على من تأمل في خوافيها ، وتلك الأخبار الناطقة بما احتملته كثيرة منها :

١ - في بحار الأنوار والانوار النعمانية والعيون والعلل والخصال وتفسير البرهان ونور الثقلين وتفسير الصافي وغيرها مسند الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ان الشامي سأله عن أول ما خلقه الله تعالى ؟ فقال : خلق النور قال : فهم خلقت السماوات ؟ قال : من بخار الماء . . .

٢ - في تفسير القمي والبحار والانوار النعمانية وغيرها في ضمن خبر طويل قال : « فثار من الماء بخار كالدخان فخلق منه السماوات » .

٣ - في البحار والدر المنثور عن ابن عباس صاحب النبي (ص) : « ان الله أجرى الماء على النار فبخر البحر فصعد في الهواء فجعل السماوات منه »

٤ - في شرح الكيدير قطب الدين علي نهج البلاغة قال : ورد في الخبر « ان الله تعالى لما أراد خلق السماء والأرض خلق جوهرأ أخضر ثم ذوبه فصار ماءاً مضطرباً ، ثم اخرج منه بخاراً كالدخان فخلق منه السماء كما قال تعالى ﴿ ثم استوى الى السماء وهي دخان ﴾ . . . »

٥ - في البحار والدر المنثور عن ابن عباس قال : « وكان عرشه على الماء فارتفع بخار الماء ففتقت منه السماوات » .

٦ - في تفسير الفرات والبحار عن أمير المؤمنين علي (ع) انه قال في

خبر طويل : « ان الله بداله ان يخلق الخلق فضرِبَ بأمواج البحور فتار منها مثل الدخان كأعظم ما يكون من خلق الله ، فبنا بها سماءاً رتقا ، الى أن قال ﷺ « ثم استوى الى السماء وهي دخان من ذلك الماء الذي انشأ من تلك البحور » . والظاهر لى ولجمهور من هذا الدخان انه البخار المشابه للدخان ، اذ لا يرتفع من الماء الا البخار الغليظ الشبيه بالدخان كما سيأتى .

ونظير هذه الاخبار ما ورد فى شرح كون السماء بحراً مسجوراً أو ماءً مكشوفاً أى ممنوعاً من السيلان . قال ابن ابى الحديد فى شرح النهج فى قول على ﷺ : « والجو المكشوف » ما نصه : ويمر فى كلامه ﷺ نحو هذا وأن السماء هواء أو ماء جامد ، ولا يخفأك أن البخار مناسب لأن يعبر عنه بالماء الجامد والهواء الجامد معا .

اقول : سيأتى ذكر اخبار بذلك تترى ، ولتقتطف خطبة على ﷺ فى ذلك اذ يقول بعد ذكر الأرض : « ثم انشأ سبحانه فوق الأجواء وسكائن الهواء فأجرى فيها ماءً متلاطماً تياره ، حملة على متن الريح العاصفة » .

الطائفة الثانية

ما نطق بخلق السماوات من الدخان ، وهو كثير ايضا نذكر منها :
١ قال تعالى : « ثم استوى الى السماء وهي دخان » (١) خصوصاً على القول باستيناف جملة « وهي دخان » كما لا يخفى . وسأذكر أن المراد من الدخان هو البخار المصطلح عند المتأخرين .

٢ - فى السكايفى والوافى والبحار وغيرها من كتب الاخبار بسند صحيح عن محمد بن مسلم عن الامام الخامس محمد الباقر ﷺ فى خبر خلق السماء انه

قال : « كان كل شيء ماء وكان عرشه على الماء فأمر الله تعالى الماء فاضطرم ناراً ثم أمر النار فتمدت فارتفع من خمودها دخان فخلق الله السماوات من ذلك الدخان وخلق الأرض من الرماد » (١)

٣- في تفسير القمي وغيره في خبر خلق السماء فقال تعالى للدخان : « اجمد » فجمد .

٤- في الكافي والوافي والبحار مسنداً عن الامام الباقر محمد بن علي عليه السلام في خبر خلق السماوات والأرض قال : « حتى ثار من الماء دخان على قدر ما شاء الله أن يشور فخلق من ذلك الدخان سماء صافية » الى أن قال : « ثم طواها فوضعها فوق الأرض . . »

٥- في تفسير الثعلبي وغيره : « أن الله سبحانه لما أراد أن يخلق السماوات السبع والأرضين السبع خلق جوهره مثل السماوات السبع والأرضين السبع ثم نظر إليها نظره هيبه فصارت ماءً ، ثم نظر إلى الماء فغلي وارتفع وعلاه زبد ودخان ، فخلق من الزبد الأرض ومن الدخان السماء ، وذلك قوله تعالى : ﴿ ثم استوى الى السماء وهي دخان ﴾ . »

اقول : احتمل أن يكون المراد من مثل السماوات والأرضين أي في اصل مادة الخلقة في الحجم أو نحوها من الصفات .

٦- روى جماعة : « ان الله تعالى لما خلق الأرض ثار منها دخان فذلك قوله تعالى : ﴿ ثم استوى الى السماء وهي دخان ﴾ . »

٧- في تفسير القمي والكافي كتاب الحج والأنوار النعمانية وبحار الأنوار وتفسير العياشي وغيرها بالاسناد عن الامام جعفر بن محمد الباقر عليه السلام

(١) إشارة الى برودة السديم بعد شدة حرارته كما يعتقد (لابلاس)

الفرنسي .

انه قال في حديث : « فخرج من ذلك الموج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار فخلق منه السماء » .

٨ - في البحار من جملة حديث : « فأخرج من الماء دخاناً وطنينا وزبداً فأمر الدخان فعلا وسمى ونما فخلق منه السماوات وخلق من الطين الأرضين » .

٩ - في البحار والدر المنثور عن حبة العرنى قال : سمعت علياً عليه السلام ذات يوم يحلف : « والذي خلق السماء من دخان وماء » .

١٠ - في البحار وعيون الأخبار وعلل الشرائع والخصال في مسائل الشامي عن امير المؤمنين (ع) انه قال في جملة ما قال : « واسم الدنيا ربيعاً وهي من دخان وماء » .

١١ - في تفسير القمي وغيره عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال في خبر طويل : « فأرسل الله الرياح على الماء فارتفع منه دخان وعلى فوق الزبد فخلق من دخانه السماوات السبع وخلق من زبده الأرضين السبع فبسط الأرض على الماء » .

١٢ - في البحار عن ابن عباس وابن مسعود صاحب النبي صلى الله عليه وآله : « ان الله عز وجل كان عرشه على الماء ، الى ان قال : « اخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسماه عليه فسماه سماءً » . ورواه المسعودي في كتاب مروج الذهب ايضاً . اقول الظاهر لي من مجموع هذه الاخبار ان المراد من هذا الدخان هو البخار ، غايته ان البخار والدخان اذ كانا من منشأ واحد او متشابهين في العرف وبدو النظر اطلق اسم الدخان على البخار .

ويؤيدني في قولي هذا ما قاله المسعودي في مروج الذهب والفاضل ابن ميثم في شرحه على نهج البلاغة : ان المفسرين اتفقوا على ان الدخان الذي تكونت السماء منه كان عن تنفس الماء وتبخيره بسبب توجهه .

وقال ابن ميثم : والدخان في الحقيقة بخار والمشابهة الحسية في الصورة موجودة بين الدخان والبخار .

ويؤيدني أيضا قول أبي البقاء في كلياته : ان كل دخان يسطع من ماء حار فهو بخار ، وكذلك من الندى .

وايضا ما في بعض اخبار بحار الأنوار والدر المنثور في قوله تعالى : ﴿ ثم استوى الى السماء وهي دخان ﴾ : فكان ذلك الدخان من تنفس الماء . وايضا تصريح بعض الأخبار بخروج بخار من الماء كاللدخان فخلقت السماء منه - كالخبر الثاني والرابع والسادس من الطائفة الأولى - فيدل على انه من غلظته كان شبيه الدخان لا الدخان الحقيقي .

وايضا نفس خروج الدخان من الماء - كما تكرر ذكره - يدل على كونه في الحقيقة بخاراً اذ لا يخرج من الماء غير البخار .

الى غير ذلك من الشواهد الواضحة ، فتتضح ارادة البخار من اسم الدخان وقد نطقت جملة من هذه الأخبار بأن السماوات السبع المحيطة بالأرضين السبع بأسرها مخلوقة من البخار ، وسأنقل كلمات الحكماء الذين شاهدوا في اراضي كرات السيارات كرات بخارية عظيمة ، فيكون المعنى الذي قوينا احتماله في حقيقة السماوات معنى معقولا مسلما موافقا لجميع ظواهر الشريعة الاسلامية .

الطائفة الثالثة

الأخبار الناطقة بأن السماء مخلوقة من البحر او من الماء المتجمد أو من الموج المكفوف اى الممنوع من السيلاان لجوده ، والكل ناظر الى معنى واحد ، وهي :

١ - في كتاب العلل والعيون والحصال والبحار وغيرها مسنداً عن أمير المؤمنين علي (ع) حين سأله عن سماء الدنيا مم خلقت ؟ قال (ع) : « من موج مكفوف » وفي بعض الأخبار : « من بحر مكفوف » والمراد واحد كما لا يخفى .

٢ - في نهج البلاغة وغيره عن الامام علي بن ابي طالب (ع) انه قال في خطبة ذكر فيها تكوين السماء من موج البحار : « رفعه في الهواء منفق وجو منهفق فسوى منه سبع سماوات جعل سفلاهن موجا مكفوفا وعليهن سقفا محفوظا وسمكها مرفوعا . . . » أى جعل الطرف الأسفل من كل سماء موجا ممنوعا من الهبوط والسيلان ، والطرف الأعلى مثل السقف محفوظا او حافظا عن وصول الأدخنة والكشافات الارضية والشياطين وغيرها .

٣ - في الدعاء المأثور - كما في الدر المشهور وبحار الأنوار وغيرها - : « وامرت الماء فحمد في الهواء فجعلت منه سبعا وسميته السماوات » .

٤ - في مسائل عبد الله بن سلام المروية في كتاب البحار وغيره انه سأل النبي ﷺ عن سماء الدنيا مم خلقت ؟ قال ﷺ : « من موج مكفوف » قال : وما الموج المكفوف ؟ قال : يابن سلام ماء قائم لا اضطراب له وكان في الأصل دخانا . قال : صدقت يا محمد .

٥ - في الدر المشهور والسماء والعالم من كتاب بحار الأنوار عن النبي ﷺ انه سمي سجابة مرت عليه (الغيابة) ثم قال : « وان فوق ذلك موج مكفوف وسقف محفوظ ، وان فوق ذلك سماء اخرى ، وان بينهما مسيرة خمسمائة عام » .

٦ - وفيهما ايضا عن ابن عباس انه قال : قال رجل : يا رسول الله ما هذا السماء ؟ قال ﷺ : « هذا موج مكفوف عنكم » .

قال ﷺ : « هذا موج مكفوف عنكم » .

٧ - وفيهما أيضاً عن الربيع بن انس قال : « السماء الدنيا موج مكفوف »
وهكذا غيرها من الأخبار المصرحة بالمعنى المختار المفسرة بالموج
المكفوف أو البحر المكفوف ، أى المنوع من السيلان كما فسرناه .
ولعمرك ان الظواهر الاسلامية لا تجدها تلائم وتتفق الامع الترتيب
الذى قريناه نحن .

الطائفة الرابعة

مادل على ان السماء معدن الماء مثل قوله تعالى : ﴿ ففتحن أبواب السماء
بماء منهمر ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة
تنزيلاً ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ وانزلنا من السماء ماء ﴾ (٣) وغيرها من الآيات
الكثيرة الناطقة بأن المياه والأمطار معدنها السماء - اعنى كرة البخار - فهى
وان كانت تجمع الرطوبات الصاعدة الا ان ذلك لا ينافى اجتماع الرطوبات وقتاً
ما فى موضع ثم تتقاطر الى السحاب ، كما قد يتقاطر الندى على وجه الأرض
فيناسب عندئذ ماورد فى بعض كلمات شرعنا الاقدس : « ان المطر ينزل من
السماء الى السحاب والسحاب يغربله » .

فهذه الآيات مرافقة لما اخترناه ومطابقة لباقي ظواهر الشريعة ، ومناسبة
لما استقر عليه رأى الحكماء المحققين من المتأخرين .

(١) سورة القمر آية ١١ .

(٢) سورة الفرقان آية ٢٥ .

(٣) سورة المؤمنون آية ١٨ .

وأما القدماء فاذ كانوا يفسرون السماوات السبع بأفلاك السيارات وكانت الأفلاك عندهم منزهة عن العناصر لا جرم كانوا يؤلون لفظ السماء المذكور في مثل هذه الآيات والروايات بالجهة العالية .

ومما يصرح بأن السماء معدن الماء مارواه المجلسي في كتاب بحار الأنوار والصدوق في كتاب علل الشرائع وغيرهما في غيرهما انه سأل يهودى أمير المؤمنين علياً عليه السلام : لم سميت السماء سماء ؟ فقال : « لأنها وسم الماء - يعنى معدن الماء » وكل من روى هذا الخبر جعل جملة « يعنى معدن الماء » جزءاً من الرواية ومنه أيضاً ما روى في تفسير قوله تعالى : ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ (١) :

« ان الله تعالى فتق الأرض بالخضر والسماء بالمطر . »

والظواهر الشرعية بأسرها مصرحة بأن المطر من السماء ، ولا كلام لأحد في ذلك ولا يمكن ترتيب القدماء كان يقتضى تأويل لفظه السماء المذكورة في تلك الظواهر الى جهة العلو ، وأما ترتيبنا فلا يقتضى الا حمل اللفظ على معناه الشرعى والعرفى الموافق لنفس الأمر .

الطائفة الخامسة

الأخبار الكثيرة فضلاً عن الآيات الدالة بأجمعها على تقدم خلق الأرضين على السماوات ، واذ كانت تلك الأخبار من الكثرة بمثابة يصعب علينا سردها فلنكتفي ببعض الآيات ، ومن طلب الزيادة والتكميل فشأنه استقراء مواضعها :

قال الله تعالى : ﴿ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى الى

السماء فسواهن ﴿١﴾ وقال تعالى : ﴿ قل انكم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين وتجمعون له أنداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها اقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا اتيناطاعين ﴾ (٢) فان لفظة (ثم) تفيد الترتيب مع التراخي .

وقد تقدم النص عن أمير المؤمنين عليه السلام على ذلك في جملة خطبة له أوردناها في الطائفة الاولى ، وقد قال ابن أبي الحديد في أوائل شرح النسخ مفسراً لقول على عليه السلام ما نصه : ظاهر كلامه يقتضى ان خلق السماوات بعد خلق الارض . . الى ان قال : وهذا قول قد ذهب اليه جماعة من أهل الملة واستدلوا عليه بالآيتين . .

ولما كانت الظواهر الاسلامية بأسرها ناطقة بتأخر خلق السماء عن الأرض أخذ المحققون من القدماء يقولون أنواع الأقاويل في مقام علاجها بالتأويل من جهة مخالفتها لمباني الحكمة القديمة ، فان من ضروريات مسائلها تقدم وجود الفلكيات على وجود الأرضيات بجميع أقسام التقدم المعروفة عندهم ذاتاً وشاناً ودهراً وزماناً وطبعاً ومكاناً .

وأما على تفسير السماء بكرة البخار - كما استفدناه من الآيات والأخبار - فلا بد من تأخر خلق السماء عن الأرض ، فان الكرة البخارية حول الارض لا تحصل الا من تبخير جرم الارض وتبخير المياه القاطنة عليها والرطوبات المنبثة فيها ، سواء كان هذا التبخير بسبب الحرارة الداخلية الارضية التي منزلتها من الارض منزلة السكب من الحيوان أو بسبب الحرارة الخارجية الحادثة فيها من حركاتها المختلفة على نفسها وحول غيرها ، ولا سيما الحرارة

المرسلة اليها من الشمس وغيرها ، فيكون خلق الكرة البخارية السماوية متأخراً بجميع اقسام التأخر عن خلق الكرة الأرضية ، كما هو المستفاد من الظواهر الاسلامية .

الطائفة السادسة

الأخبار الدالة على ان هذه الخضرة المبهصرة من الجو هي لون السماء ، هذا والمحققون من حكام المتقدمين والمتأخرين متوافقون في ثبوت هذه الخضرة الميناوية للكرة البخارية الأرضية ، وباعتبارها يسمون الجو المحيط بهالمناء (القبة الزرقاء) .

وقد اوردت اخباراً كثيرة في رسالة (جبل قاف) تنطق بثبوت هذه الخضرة اللازوردية لجرم السماء .

فاذا تحقق ان ما يدعونه القدماء سماءاً لا يجوز اتصافه بلون قط وثبت ان هذا اللون انما يحصل في الكرة البخارية تبين انها هي المقصودة من اسم السماء .

قال المحقق نصير الدين الطوسي في التذكرة : وقالوا (يعني الحكماء) الزرقة التي يظن الناس انها لون السماء فانها تظهر في كرة البخار ، لأنه لما كان الالطف منه اشد صموداً من الاكثف كانت الأجزاء القريبة من سطح كرة البخار اقل قبولا للضوء من الأجزاء القريبة من الأرض لكثرة البعد والظلمة ولهذا تكون كالمظلمة بالنسبة الى هذه الأجزاء ، فيرى الناظر في كرة البخار لوناً متوسطاً بين الضياء والظلام .

وقال الفيلسوف الشهير (فلا ماريون) الفرنسي ما معناه : ان الخضرة المتوهمة في الجو هي لون كرة (اتمسفر) المحيطة بأرضنا كطبقة معلومة الثخن والهواء المتراكم اذا اشتد صفاءه ظهر مع الخضرة والزرقة ، كما ان الماء

المتراكم كماء البحر اذا اشتد صفاؤه ظهر بلون الخضرة مع انه ليس بنى لون عندما يقل .

اقول : ويناسب المقام غير الاخبار التى مضت الخبر المروى فى تفسير القمى عند بيان خلق السماء قال : « وكانت السماء خضراء على لون الماء العذب » وفى بعض النسخ « لون الماء الأخضر » .

وكذا الخبر المروى فى الأنوار النعمانية : « ان الله سبحانه خلق بحراً بين السماء والأرض وامسكه بقدرته (١) وهذه الخضرة التى نراها هى خضرة ماء ذلك البحر » .

وكذا الخبر المروى فى الدر المنثور والجزء الرابع عشر من بحار الأنوار عن سلمان الفارسي : « ان السماء الدنيا من زمردة خضراء واسمها رفيها » .

وكذا الخبر المروى عن الشعبي انه قال : كتب ابن عباس الى ابى الجدر حين سألته عن السماء من اى شىء هى ؟ فكتب اليه : « ان السماء من موج مكفوف » .

والمقصود متضح بحمد الله تعالى عند من له ادنى بصيرة .

الطائفة السابعة

الأخبار الدالة على ان السماء تحت مدار الكواكب ، وهى :

١ - رواية جابر الأنصاري المذكورة فى تفسير القمى وغيره فى قوله تعالى : ﴿ انى رأيت احد عشر كوكباً ﴾ (٢) قال من بعد ذكر النجوم :

(١) اشارة الى القوة الجاذبية العامة كما حققناها .

(٢) سورة يوسف آية ٤ .

« وكل هذه النجوم محيطة بالسماء » .

فان النجوم على كل حال لا تكاد تحيط بشيء الا باعتبار مدارتها ، فالمراد ان هذه النجوم في مسيرها محيطة بالسماء ودائرة حولها . ولا يستقيم هذا المعنى الا على تفسير السماء بالكرة البخارية الأرضية .

وبهذا التمهيد السديد نجمع بين ماوردان السماء تحت الفلك وبين ما ورد بخلافه من ان الفلك تحت السماء ، فان أمثال هذه النقليات كانت محسوبة في عداد المتناقضات لكننا نصحيح الجميع بتفسيرنا السماء بكرة البخار من كل ارض سيارة ، وبتفسيرنا الفلك بمدار السيار ومجراه كما شرحته في مسألة تحقيق الفلك ، وعلى هذا تكون السماء من كل ارض تحت فلك وفوق فلك - فافهم .

٢ - ما وجدته في بعض اخبار البحار عن الدر المنثور : « ان القمر والرجوم فرق السماء الدنيا » ولا يستقيم ذلك ايضاً الا على تفسير السماء الدنيا بالكرة البخارية الأرضية . فان الحكمة القديمة تحكم بكون القمر في السماء الدنيا - اى الفلك الأول - لا فوقه ، وترى استحالة كون الرجوم الا تحت افلاك النجوم ، وسوف اتلو عليك شواهد كون السماء الدنيا هى الكرة البخارية الأرضية في مسألة المذنبات .

وزبدة القول ان شتات الاخبار والمضامين المنقولة في الشريعة الاسلامية لا يجمعها ولا يتكفل تأليفها وتصحيحها نظام وترتيب الا لترتيب الذى ذكرته وشرحته في هذا الكتاب .

الطائفة الثامنة

جمل شرعية ترشدنا الى ان الهواء ينتهى محببه ومنتهاه الى السماء وهو

مشيدها ، وهى :

١ - فى دعاء يعقوب النبى ﷺ المروى فى تفسير سورة يوسف ﷻ من كتاب تفسير القمى : « يامن شيد السماء بالهواء وكبس الأرض على الماء ، والكل يعلمون ان الكرة البخارية قائمة ومشيدة بالهواء ، بخلاف السماء المفسر عند القدماء ، فانه غير منوط ولا مربوط بشىء من الهواء .

٢ - قول على ﷻ فى بعض خطبه المشهورة فى صفة السماء : « وامسكها من ان تمور فى خراق الهواء بأيده ، وامرها ان تقف مستسلمة لأمره ، وهذا يدل ايضاً على وقوف السماء وسكونها من الحركة ، وهذا يتناسب كونها الكرة البخارية الوافقة بنفسها الجارية بمتابعة الأرض ، ولا يستقيم مع تفسير السماء بأفلاك القدماء التى لا تنفك عندهم من الحركة الذاتية . و (المور) اضطراب الجسم السائل ، كما ان (الميد) اضطراب الجسم الجامد .

٣ - وقال على ﷻ فى اول خطب النهج : « فى فلك دائر وسقف سائر ورقيم مائر » فان المراد من السقف هنا هو سماء الدنيا فاذا كان سائراً فقد ناقض ما دل على وقوفه وثباته ، ولا يزول هذا التناقض الا بما قلناه فى حقيقة السماوات وترتيبهن ، فان الكرة البخارية المحيطة بأرضنا واقفة ثابتة بالنظر الى اتصالها بأرضنا ليس لها فى ذاتها تحرك قط حينما هى سائرة بمشايعة الأرض ومتابعتها فى الفضاء حول مركز الشمس .

٤ - قال الامام الحسين (ع) فى دعاء عرفة المروى فى البحار وبلد الامين للكفعمى والصحيفة الحسينية وغيرها : « يامن كبس الأرض على الماء وسد الهواء بالساء ، وفى بعض النسخ « شيد » مكان « سد » بتصحيف فيه ، وعلى كلا الفرعين يتأيد ما نقصده كما لا يخفى . واما سد الهواء بالساء فظاھره احاطة السماء بكرة الهواء من دون فصل ، وذلك غير متجه على ترتيب القدماء ،

فانهم يرون كرة الماء فاصلة بين كرة الهواء والفلك الأول .
 هـ - في كتاب البحار عن امير المؤمنين على (ع) انه قال في ضمن خبر
 طويل : « وسد الهواء بين الأرض والسماء » وهو صريح فيما اشرنا نحوه .
 ولا يذهب عليك ان الاحتمال الآخر كامن في هذه الجمل ، ولكن
 المختار منها اوفق بظواهر السياق واجمع لشتات باقي المضامين المنقولة وانسب
 مع التحقيقات المقبولة .

الطائفة التاسعة

ما دل من الآيات والروايات على ان السماوات اطباق وطبقات بناءً
 على ما استفاده جمع من علمائنا القدماء وادعوا ظهور تلك الظواهر في انفصال
 السماوات وفراغ فرجها :

(منهم) العلامة المجلسي (ره) فانه يقول في رسالته الاعتقادية :
 « ويجب ان تعتقد ان السماوات غير متطابقة ، بل من كل سماء الى سماء
 خمسمائة عام ، وما بينهما مملوء من الملائكة » .

(ومنهم) المحدث الجليل السيد نعمة الله الجزائري في شرحه على الصحيفة
 السجادية عند قول الامام السجاد (ع) : « اطباق سمواتك » قال السيد :
 يدل هذا وغيره من الأخبار على ان ما بين السماوات فرج واسعة ، فقول
 الرياضيين بالمماسية بين محدب كل واحد مع مقعر الآخر باطل ، وتأويل
 الأخبار لتتطبق على ذلك القول اشد بطلاناً .

اقول : ويعجني شدة تمسك هذا السيد الحافظ بظواهر كلمات الشريعة
 وشدة كراهته من العدول عن ظاهر شرعه الى مطالب الفلاسفة من قبل ان
 يقطع بصحتها ، ومنشأ هذه الخصلة الفاضلة قوة اليقين باستحكام هذا الدين

ان السيارات تسعة فكيف تكون الارضين سبعة ؟ ١٦١

ثبتنا الله تعالى عليه حتى نرجع اليه وينبغي لجميع المتدينين أيضاً ان لا يستسهلوا العدول عن ظواهر الشريعة المقدسة ومعلوماتها القيمة الى ما يخالفها من مطالب الفلسفة وغيرها جديدها وتليدها ، الا اذا اتضحت الحقيقة ونهضت عليها البراهين القوية ، فمذ ذلك يحسن او تكاب التأويل في الظواهر المنقولة الممارضة مع الحقائق المعقولة ، وذلك بحكم من العقول وترخيص من الله تعالى والرسول

الطائفة العاشرة

ما ذكر في الأدعية والكلمات الماثورة عن أوصياء نبينا محمد ﷺ ان السموات والارضين ذوات أوزان وميلان خفة وثقلا ، مثل الدعاء المروى عن الإمام السجاد عليه السلام حيث قال : « سبحانك تعلم وزن السموات ، سبحانك تعلم وزن الارضين ، سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر ، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور ، سبحانك تعلم وزن النفي والهواء ، سبحانك تعلم وزن الريح كم هي من مثقال ذرة . . . »

روى هذا التسبيح عنه عليه السلام جماعة كالفقيه محمد الجحر العاملي المتوفى سنة ١١٠٩ في الصحيفة النانية السجادية في الدعاء الخامس والخمسين قال : روى الزهري عن سعيد بن المسيب .

والسيد نعمة الله الجزائري المتوفى سنة ١١١٢ في شرحه على متعلقات الصحيفة السجادية قال : ان الشيخ الفقيه محمد بن مكي العاملي الشهيد سنة ٧٨٦ روى هذه الأدعية الملاحقة وذكر هذا التسبيح منها .

أقول : وجدت هذا الدعاء بعينه في سنة ١٣٣٥ هـ في مجموعة كتب انساب وأدعية في مكتبة سيدنا الحسن بن الهادي المحدث الكاظمي ، وكانت المجموعة بخط السيد محمد بن عزيز الله الحسيني بتاريخ يوم الاحد السادس من

شهر ذى الحجة الحرام سنة ٩٨٤ هـ .

ولا يخفى مخالفة ظاهرها مع مباني الفلسفة القديمة ، اذ الوزن عند أصحابها وعند العرف ليس الاميلان الجسم نحو مركزه ، فان كان مركزه علوياً كالنار والهواء سمي ميلانه خفة . وان كان مركزه سفلياً كالتراب والماء سمي ميلانه ثقلاً . ومن ذلك انفقوا على نفي الوزن مطلقاً عن الفلكيات مطلقاً ، سواء كان حاملاً كأصل جوهر الفلك أو كان محمولاً كالأجرام المركوزة في الفلك مثل الشمس والقمر والنجوم ، لان حقيقة الوزن عندهم ميل مستقيم وليس في الفلكيات مطلقاً مبدأ ميل مستقيم قطعاً .

قال الرئيس الشيخ ابن سينا في الفن الثاني من طبيعيات كتاب الشفا : ان الفلك مطلقاً جسم كروى شفاف فيه مبدأ الميل المستدير فقط . . الى ان قال : والمحمول (يعنى الاجرام) لا ثقل له ولا خفة ولا ميل بوجه من الوجوه ولا ممانعة للتحريك .

هذا كله في الفلكيات وأما العنصریات فتصوروا فيها حالتين :
(الاولى) ميل كل جزء من أجزاء كرة الأرض أو كرة الماء أو كرة الهواء أو كرة النار الى مركز كرة نفس ذلك الجزء ، مثل ميل الحجارة الى الأرض وميل النفخة الى الهواء وميل الشعلة الى كرة النار العليا . وفي هذه الحالة يعقل الميل والوزن عندهم ، ولا يذكرون الوزن الا ويقصدون هذه الكيفية .

(الثانية) ميل أصل كرة الأرض بمجموع أجزائها أو كرة الهواء بجميع دقائقها صفقة واحدة ، وهذه الكيفية أيضاً مستحيلة لديهم ، وينكرون تحقق الوزن بهذا المعنى للأرض والهواء وغيرهما كإنكارهم في الفلكيات . وبرهان إنكارهم ان أصل كرة الأرض مركز لاجزائها وكذلك أصل كرة الهواء مركز

لا جزائها ، والوزن ميل الشيء الى مركزه ونفس الكرة لامركز لها حتى تميل اليه ، وميلها الى نفسها أيضاً محال ظاهر ، فلو كان لجرم الأرض وزن وميل فاما ان يكون ميلا الى نفسها وهو محال ، واما ان يكون ميلا الى كرة أخرى والمفروض كمال التباين بينهما ، فيستحيل ميل احدهما الى الاخرى .

والنتيجة ان كرة الارض بنفسها كباقي الكرات لاخفيفة ولا ثقيلة حيث لا وزن لها ولا ميل كالفلكيات ، ومع اقرارنا بهذه المباني مثل قدمائنا المحققين لا محيص لنا من التصرف في ظواهر الشريعة الدالة على ان السماوات والارضين ذوات أوزان كظواهر التسييح الذي رويناه عن الامام الرابع عليه السلام وخصوصاً اذا فسرنا السماوات بالافلاك كما فعله المتقدمون من علمائنا .

أما الحكماء المتأخرون عن الألف الهجرى فالوزن لديهم ليس يحدث الا بالجذب ، وجميع الأجسام الكونية عندهم خاضعة لنواميس الجاذبية من الدرارى الى الدرارى ، فالثقل عندهم انجذاب الجسم الى ما هو تحته والخفة انجذابه الى ما فوقه ، فكما تختلف الفوفية والنحتية باختلاف الاعتبارات كذلك الخفة والثقل يختلفان باختلافها ، ويعتقدون انجذاب كل جسم الى الأعظم منه في الحجم أوفى الجوهر أوفى الكثافة مالم يمنعه جسم أقوى منه ، فالأرضيات بأسرها مجنوبة الى كرة الأرض وهى المانعة من انجذاب الغيوم الى كرة القمر والقمر ونحوه أيضاً منجذب للأرض ، والأرض مجنوبة للشمس وهكذا .

فلو صحت هذه الآراء صح التمسك بظاهر الدعاء من دون تصرف فيه أو تأويل ، وثبت الوزن للأرض والسماء والشمس والقمر والهواء ، كما استخرجها المتأخرون بآلاتهم الدقيقة وأفكارهم القرينة لديهم من الحقيقة .

ونقتصر هنا على ما ذكره في ثقل سماء الدنيا ، قالوا : ان ثقل الكرة البخارية ٠٨٩ ١٨٧٣ ٢٠١ ٤٩٤ ١١ ٥٢٢ ٢١١ رطل بريطاني كفاي حدائق النجوم

وقيل : ان جملة بخار الماء المنتشر في هواء الأرض يبلغ ثقله ستمائة ألف واثنين وتسعين ألف مليار قنطار ، اعنى ٦٩٢٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ .

وقد عينوا ثقل مقدار من الهواء يحاذى رأس الانسان من لدنه الى ٤٥ ميلا ، ففي الآيات البينات : ان معدل ما يحمله الانسان من الهواء نحو ٦٢٢٤ رطلا وفي (النجوم المشرقات) ان ثقل العمود الهوائى الذى يتحمله بدن الانسان يبلغ ثلاثة وثلاثين ألف رطل وستمائة رطل .

ولا يذهب عليك ان بين التحديدين فرق كثير بحيث نتيقن في اشتباه أحد الكتابين في العدد - فتدبر (١) .

وانما لم يؤثر هذا الثقل في أعضاء الانسان مع انها تتأثر من عشرين معشاره لتساوى ضغط الهواء من كل جهة وزن الجسد فيه هواء يضغطه الى الخارج فيمانع المحيط ، أو لأجل اتصال أجزاء الهواء وتماسكها . كما ان ثقل المياه للمستوطنة على ظهر الحوتة في قعر البحر لا تؤثر فيه أصلا مع معظم الثقل في تلك المياه .
و خلاصة الكلام ان ثبوت الوزن والثقل للسكرة البخارية - كما سمعت -

مع اثبات الثقل والوزن للسموات والسمويات يؤيد ترتيبنا المذكور ، اعنى كون الأرضين السبع هي أراضى السيارات والسموات السبع هي السكرات البخارية المحيطة بتلك الأراضى وليست السموات عبارة عن أفلاك الفلاسفة السالفين لاجسب الشرع ولا بحسب الفن ، وسيتضح ترتيبنا في المسألة الآتية بحيث لا تبقى فيك ريب ولا شك ، وتعرف ان الشرق بنور الوحي كيف سبق الغربيين في كشف أسرار الوجود . ونعم ما كتب الاستاذ الكبير والأديب العربى الشهير ميخائيل نعيمة من نيويورك بعد انتشار هذا الكتاب لأول مرة : « ان ما أدركه الشرق

(١) وقال كامبل فلا مريون في كتابه : ان سطح جسم الانسان يحمل من الهواء ما وزنه ١٦٠٠٠ كيلو غرام معادلا بثله من الضغط الداخلى .

منذ اجيال بايمانه واختبارات الروحية يحاول الغرب اليوم ان يتوصل اليه بتلسكوبه ومكر سكوبه ، ومن العبر ان الغربي كلما درس وتعمق عاد الى الشرق ونفض عن بعض تعاليمه غبار الدهر وصقلها ثم عرضها على اخوانه كأنها حقائق جديدة ، فهو ينقب في هذه الايام عن فلسفات الصين والهند والعرب والعجم ليجد فيها مفاتيح لما افقّل في وجهه من اسرار الوجود .

اقرأ هذه الجمل الذهبية التي كتبها ذلك العربي العبقري العظيم وتفكر في حالتك السيئة وتراثك المنهوب الذي يتبجح به قوم آخرون وتفخر به ملل لم يكن لها مفخرة حين كنت رافع الرأس تنطفح من جوانبك العلم والمعرفة والثقافة .

ان حالتنا اليوم حالة مؤسفة جداً يجب ان نبكى عليها وعلى ما اندثر من مفاخرنا وعدم معرفتنا لانتهاز الفرص المؤاتية في سالف العصور لاكتساب المعارف والعلوم وتهئية الجو الصالح لتثقيف انفسنا حتى لا نحتاج الى الاستجداء من الغربيين وغيرهم .

« المسألة السابعة »

(في ترتيب السماوات السبع والأرضين السبع)

ان ما ذكر سابقاً كان في بيان حقيقة السماوات ، وظهرت هذه الحقيقة واضحة جلية لا غبار عليها ولا غموض ، ولكن يلوح لنا من كل ذلك ان كل سماء محيطة بأرضها احاطة تامة ، ولازم هذا ان تكون السماء الثانية على الأرض الثانية وهما مجتمعاً على السماء الاولى ، والسماء الثالثة مع أرضها على السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة . . . فهل يتفق هذا مع المأثورات عن النبي واهل بيته - عليهم الصلاة والسلام ؟

(الجواب)

ترتيبنا المختار تنطبق عليه مقالات الشريعة الاسلامية ويوافق الهيئة الكوبرنيكية .

اما الهيئة الغابرة فحيثما لم يجوز علماءنا المحققون غيرها اصبحوا يتصرفون في ظواهر اخبارنا لكي تأتلف وتنطبق على تلك الهيئة بتفسيراتهم البعيدة ، مع ما ورد في شريعتنا من الطعن والتشنيع على الفلاسفة الأقدمين وعلى آرائهم البالية ، وصراحة مقالات شرعنا في خلاف ما هم عليه في ترتيب السماوات والأرضين .

قال الامام السادس جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) في رد من زعم ان الفلاسفة يقولون الفلك اذا تغير فسد : « ذلك قول قول الزنادقة » .

وقال علي عليه السلام في بعض خطبه المشهورة : « وكيف علقت في الهواء
سماواتك » .

وقال ايضاً في خطبة له اخرى : « ونظم بلا تعليق رهوات فرجها » .
وفي تفسير القمي عند تفسيره قوله تعالى : « (من اقطار السماوات) » (١)
قال : « فاذا كان يوم القيامة احاطت سماء الدنيا بالأرض وحاطت السماء
الثانية بسماء الدنيا وحاطت السماء الثالثة بالسماء الثانية وحاطت كل سماء بالتي تليها
ثم ينادى : يامعشر الجن والانس . . . » .

وظاهر هذا الحديث يهdy الى ان ترتيب السماوات كما يراه القدماء
بحيث يكون كل سافل منها في جوف عاليه لا يكون الا يوم القيامة .

وانما يتحقق النظام البطليميوسى فى السماوات على فرض تفسيرها
بالأفلاك بعد تبدل نشأة الدنيا بالآخرة لا غير .

والنقليات المنافرة لترتيب القدماء وافرة فى بيعة الاسلامية ،
والجدير بى ان اضرب عن ذكرها صفحاً واش ، شرح ترتيبى بعد تمهيد
مقدمة ، وهى :

ان المتأخرين قد ارتأوا بأدلة وبراهين ان اراضى سبعة من السيارات
الشمسية محاطة ومتلبسة بالكرة البخارية كأرضنا وزهرة وعطارد والمريخ
والمشتري وزحل وارانوس ، ولم يصرحوا فى نبتون وفلكان بكرة بخارية ،
كما ذكرنا فى مسألة حصر الارضين فى سبعة ، وسيأتى تصريحهم بالكرات
البخارية لكل واحدة واحدة . ولست بناس ما تلوناه عليك من جواز تسمية
الكرات السامية باسم الأرضين وانها سبعة ، كما لم تنس الشواهد العظيمة التى
ذكرناها على ان السماء فى شرعنا هى الكرة البخارية الأرضية واسم السماء يقع

على كل جرم علوى .

* * *

فاذا تمهدت لديك هذه المقدمات قلت : ظنى الاستفادة من آثارنا
الاسلامية هو ان الأرضين السبع والسموات السبع مرتبة بنظام الله الأكل
هكذا :

(الأرض الأولى) هى التى نحن عليها وندفن فيها ، وانما ابتدأنا بها
لكوننا فيها ولجملات كثيرة اخرى والسماء الدنيا هى كرتنا البخارية المحيطة بأرضنا
(الأرض الثانية) هى كرة زهرة بما عليها من الهواء والجبال والبحار ،
وانما صارت الثانية لأن اولى الحالات فى اعتبار السيارات هو حال ظهورها
لنا ومصيرها فى تجاهنا ، فتكون الزهرة عندئذ اقرب السيارات الى الأرض
ثم من بعدها عطار دثم من بعدة المريخ وهكذا الى بقية السيارات السبعة . والسماء
الثانية هى الكرة البخارية المحيطة بأرض زهرة وهوائها .

(الأرض الثالثة) كرة عطار ، والسماء الثالثة كرتة البخارية المحيطة به
(الأرض الرابعة) كرة المريخ وما عليها وما فيها . والسماء الرابعة
الكرة البخارية المحيطة به .

(الأرض الخامسة) كرة المشتري . والسماء الخامسة كرة البخار الحافية
بأرضها وهوائها .

(الأرض السادسة) كرة زحل وما فيها . والسماء السادسة كرتة البخارية
(الأرض السابعة) كرة ارانوس . والسماء السابعة الكرة البخارية
المحيطة بها .

انظر لتبيين ما قلنا الشكل (٢) وقد مضى فى صفحة ٥٠ .

ومن بعد ذلك الفضاء الفاقد للفضاء المحيط بعالم شمسنا .

وانما اخرجت نباتون وفلكان عن عداد الأرضين لما مر في مسألة حصر الأرضين في سبعة .

وهذا الترتيب القريب قد صرح به الامام الثامن علي بن موسى الرضا (ع) في خبر مروي عنه بأسانيد قرية في اكثر كتب الامامية ولقد وجدته في تفسير القمي وتفسير العياشي وهما من ابناء القرن الثالث والرابع الهجري وفي تفسير سورة الطلاق والذاريات من كتاب مجمع البيان للشيخ الطبرسي المتوفى سنة ٥٤٨ هـ وتفسير البرهان للسيد هاشم البحراني المتوفى سنة ١١٠٧ هـ ونور الثقلين المؤلف قبل سنة ١٠٦٥ هـ وتفسير الصافي لمحمد محسن الفيض المتوفى سنة ١٠٩١ هـ وبحار الأنوار والأنوار النعمانية وقد صححنا اكثر هذه الكتب في المقدمة الأولى من صدر هذا الكتاب والخبر الرضوي هو هذا بلفظه : ان الحسين بن خالد سأل الرضا علي بن موسى عليه السلام عن ترتيب السماوات والأرضين وقال له : كيف ذلك جعلت فداك ؟ قال : فبسط الرضا عليه السلام كفه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها فقال : هذه الأرض الدنيا والسماء الدنيا عليها فوقها قبة ، والأرض الثانية فوق سماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة ، والأرض الثالثة فوق سماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة ، والأرض الرابعة فوق سماء الثالثة والسماء الرابعة فوقها قبة ، والأرض الخامسة فوق سماء الرابعة والسماء الخامسة فوقها قبة ، والأرض السادسة فوق سماء الخامسة والسماء السادسة فوقها قبة ، والأرض السابعة فوق سماء السادسة والسماء السابعة فوقها قبة ، وعرش الرحمن فوق سماء السابعة ، وهو قوله تعالى : ﴿ سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ﴾ . . الى ان قال - اي الحسين بن خالد : فما تحتنا الا ارض واحدة ؟ فقال عليه السلام : ما تحتنا الا ارض واحدة وان الست لهن فوقنا .

اقول : لا يرتاب عارف بالعلم واللغة ان هذا الخبر منطبق على ترتيبه

المذكور كانطباق اللفظ على المعنى والاسم على المسمى ، فهو المهد الذى اليه يستريح والمضمون الذى بمعانيه ينطبق ويصح الكلام الفصيح ، وهو نص قاطع وبرهان ساطع على صحة الهيئة الحاضرة وبطلان الهيئة الغابرة ، لتصريحه بوجود الارضين الستة فوق ارضنا بل وفوق السماء وفاتماً للمعاصرين وخلافاً للقدماء .

وهل كان لعاقل فى غابر الزمان جرأة التفوه بأمثال هذه الكلم ؟ ومن اجل ذلك تاهت العقول من علمائنا المتقدمين فى فهم هذا الخبر المقدس الساطع منه انوار الامامة والوحي ، واذ لم يتمكنوا من تكذيبه وطرحه لسبب قوته وشهرته تشوشوا فى شرحه :

قال العلامة المجلس بعد نقل الخبر : « ولما كان هذا الخبر ظاهراً مخالفاً للحس والعيان فيمكن تأويله » فأوله بمعنى فاسد بعيد غير مناسب .

وقال السيد نعمة الله الجزائرى فى الانوار النعمانية : ولا يخفى ما فى هذا الحديث من الاشكال وعدم امكان تأويله حتى ينطبق على الاخبار وظواهر الآيات أو على اقوال الحكماء والرياضيين ، وهذا لا يوجب رده بل يجب التسليم والانقياد له وارجاعه الى متشابهات الاخبار .

اقول : لقد اصاب هذا السيد الجليل فى مخالفته مع الحكماء فى هذا الحديث ، ولكنه اشتبه اذ حكم بمخالفته لظواهر الآيات والروايات ، فانه لم يخض فيها خوض تحقيق ولم يغص غوص اجتهاد وتدقيق ولم يستنشق طيب طيب الفلسفة الحديثة حتى يفوز بما فزت به . والحمد لله ذلك فضل الله يؤتاه من يشاء .

ولى على ترتيبى المذكور شاهد قوى غير ذلك الحديث الرضوى وغير اظهار على عليه السلام تعليق السماوات فى الهواء ، وغير قوله عليه السلام : « الحمد لله

الذى لا توارى عنه سماء سماء ولا أرض أرضاً ، ذلك هو المضمون المتواتر في الآثار الإسلامية ، اعني كون السماوات السبع متباعدات كل منها عن السماء الأخرى بمسافة سير خمسمائة سنة ، وكذلك الأرضون السبع متباعد كل منها عن الأرض الأخرى بمسافة سير خمسمائة سنة ، ولو تأملت علمت ان ذلك بظاهرة لا يكون الا على ترتيبنا الماضي ، فان المقصود من مسيرة خمسمائة عام غير معلوم تحقيقاً ، ضرورة اختلاف السير حسب اختلاف الأحوال والأوقات والاشخاص والأدوات وغير ذلك من الجهات ، ولكننا نعلم اجمالاً ان المقصود من هذا التحديد في تباعد الأرضين هو المراد في تحديد تباعد السماوات ، والنتيجة تساوى المسافات فن كل أرض الى أرض أخرى كمثل المسافة من كل سماء الى سماء أخرى ، كما ستسمع التصريح بهذا المعنى في طي اخبار المسألة .

* * *

وبعد تمهيد ذلك نقول : ان اراضى السيارات السبع اذا انتظمت على ابعادها المعلومة تقريباً وكانت السماوات السبع كراتها البخارية كان ما بين أرض والأخرى مسافة مثل ما بين سمائها وسماء أخرى تقريباً ، كما نطق به الاخبار الكثيرة .

ولو حققنا النظر في مسيرة خمسمائة عام لازداد هذا الشاهد قوة وظهوراً فانا ان فرضنا دابة متعارفة تسير كل ساعة فرسخاً كما هو معلوم ومعمول ابداً حتى ان عرفنا يسمى الفرسخ بهذه المناسبة ، (١) فيكون مجموع سيرها في كل سنة تسعة آلاف فرسخ تقريباً ، ثم يكون المجموع من سيرها في خمسمائة

(١) لأن لفظة الساعة مأخوذة من (السعي) بمعنى السير وقطع المسافة (ف) .

عام أكثر من ستة عشر مليون ميلاً (١) .

وهذا التحديد - كما تعلم - قريب جداً من تحديدات المتأخرين في مسافة الفواصل بين أراضي السيارات ، ولا يناسب مبنى آخر ولا هيئة أخرى .
ولنذكر نبذة من الأدلة الناطقة بهذا المعنى :

١ - في البحار والدر المنشور نقلاً عن سبعة كتب أو أكثر في خبر طريل من جملته : « ان ما بين كل سمانين مسيرة خمسمائة عام » .

٢ - قال الفاضل النيسابورى في تفسيره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾ : « انها سبع ارضين ما بين كل واحدة منها الى الأخرى مسيرة خمسمائة عام كما جاء في ذكر السماء وفي كل ارض منها خلق ، الى ان قال « وهم يشاهدون السماء من جانب ارضهم ويشهدون الضياء منها » .
وفي هذه الالفاظ الأخيرة دلالة أخرى على صحة ترتيبنا لتلوح لمن حقق النظر .

وقد ذكر شراح نهج البلاغة كالراوندى وغيره ابعاد السماوات والأرضين هكذا في أوائل كتبهم .

(١) ظهر لى فى رجب سنة ١٣٣٦ أن المقياس فى مسيرة خمسمائة عام المتواتر فى الأحاديث الشريفة ليس هو بسير الابل ونحوه ، بل المقياس المذكور فى الأحاديث نفسها ، وهو سير الطير كما ترى فى حديث التوحيد للصدوق بسنده عن الامام الصادق (عليه السلام) : « ان الله تعالى ملكاً بعد ما بين شحمة اذنه الى عنقه مسيرة خمسمائة عام خفقان الطير ، وهكذا فى احاديث أخرى ، وهذا التقدير لا يناسب ابواب السماوات بل يناسب ابواب العرش والكرسى ، كما ان هذه الأخبار ايضاً واردة هناك ، فان سير الطير فى كل يوم ينوف على مائة فرسخ - فلاحظ .

٣ - في البحار ج ١٤ باب عدد السماوات والدر المنثور عن ١٩ كتاب عن عباس عم النبي قال : كنا عند النبي ﷺ فقال : « هل تدرون كم بين السماء والأرض ، والخبر طويل نعرض عن ذكره وخلاصته ان ما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام .

٤ - وفي الدر المنثور عن عدة كتب بأسانيدهم عن ابي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وغلط كل سماء خمسمائة عام وما بين السماء الى التي تليها مسيرة خمسمائة عام ، وكذلك الى السماء السابعة والأرضون مثل ذلك .

٥ - عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ فسواهن سبع سموات ﴾ قال : « بعضهن فوق بعض بين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام » .

٦ - في البحار عن ابن عباس صاحب النبي ﷺ : « ان ما بين كل ارض الى ارض خمسمائة عام ومن السماء الى السماء خمسمائة عام » .

٧ - في كتاب دائرة المعارف في لغة السماء عن ابي هريرة قال : خرج رسول الله (ص) على اصحابه وهم يتفكرون ، فقال : فيم انتم ؟ فقالوا : نتفكر في الخالق . فقال (ص) لهم : « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانه لا تحيط به الفكرة ، تفكروا في ان الله تعالى خلق السماوات سبعاً والأرضين سبعاً وتحت كل ارض خمسمائة عام وبين السماء والأرض خمسمائة عام وتحت كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سمائين خمسمائة عام ، وفي السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يجاوز الماء كعبه » .

اقول : وان تجد ترتيبنا في الظاهر ينطبق عليه جميع هذه الظواهر الا ما ذكرته ورتبته .

وقوله (ص) : « وفي السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله » اشارة

الى ما ذكرته في شرح البحار السبعة من مسألة تعدد الأرضين ان الفضاء الممتلئ من الجوهر المواج الأثيرى اشبه شئ ببحر مواج تسبح فيه الحيتان الصغار والكبار . فاذا اعتبرته بحسب مجارى السيارات فيه صار سبعة اجر ، واذا اعتبرت جميعه شيئاً واحداً كان بجرأ واحداً عمقه مقدار مسافات السماوات والأرضين .

ويجوز ان يكون الملك القائم في هذا البحر هو الجرهر القدسى الحافظ بقوة جذبه نظام عالمنا الشمسى

٨- في تاريخ علم الفلك للطليانى عن مسند احمد بن حنبل بسنده المرتقى الى عباس عم النبي عن النبي (ص) انه قال : « ان بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكشف كل سماء خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء والأرض » .

اقول : الظاهر حمل السماوات في هذا الخبر على الأجرام السامية السيارة ٩- عن قتادة في تفسير قوله تعالى : ﴿ سبع سماوات ﴾ قال : « بعضهن فوق بعض ، بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام »

١٠- في تفسير ابى السعود بن محمد من فضلاء المائة التاسعة الهجرية عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾ : ان الجمهور (يعنى اكثر المفسرين والمحدثين) على انها سبع ارضين بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والأرض ، وفي كل ارض سكان من خلق الله تعالى . . .

قلت : وهذه الألفاظ صريحة فيما ذهبت اليه ولا تكاد تنطبق الا عليه ولا ينقض استعجابى من غفلة المحققين عن هذه الآثار الواضحة مع انها تنادى وتصيح بمفاد صحيح هو عين ترتيبى المتقدم ذكره .

١١ - في تفسير القمي في سورة مريم والبحار بسند صحيح عن الإمام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في خبر ادريس النبي عليه السلام : « انه قال لملك الموت : ان غلط السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام ، ومن السماء الرابعة الى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ، ومن السماء الثالثة الى الثانية مسيرة خمسمائة عام ، وكل سماء وما بينها كذلك . »

اقول : لا يخفى ظهور الخبر فيما مر ، ولكن الاشكال انما هو في قوله (ع) : « غلط السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام » الا ان يراد بالسماء الرابعة كرة البخار من ارض المشتري ، فانها عند الابتداء من فوق ارضنا رابعة السماوات ، وهي غليظة جداً . او يراد من السماء نفس كرة المشتري . وقد ذكرنا مراراً ان السماء كثيراً ما تطلق على نفس اجرام الكرات السامية ، وغلط جرم المشتري ليس ببعيد من هذا التحديد ، فان قطر الأرض ثمانية آلاف ميل وقطر المشتري اكثر من ستة وثمانين ألف ميل ، او يراد المجموع المكون المركب من جرم المشتري وكرته البخارية - والله اعلم بالصواب واوالياؤه الملهمون (١) .

* * *

وخلاصة النتائج في هذه المسألة ان الآراء المعتمدة عليها في الهيئة الجديدة متفقة على وجود الأراضى العديدة السيارات في الفضاء الفارغ ، وعلى ان لكل منها كرة بخارية محيطة به ، ونحن لا نجد مانعاً شرعياً أو عقلياً

(١) كل هذه التوجيهات وجيهة ومقبولة لو كان الغلط المذكور في الحديث مختصاً بالسماء الرابعة فقط ، ولكن ماذا نصنع مع الجملة الأخيرة في الحديث الشريف : « وكل سماء وما بينها كذلك » فان هذه الجملة تنادى بعدم اختصاص هذا الغلط بالرابعة بل انه موجود في كل سماء من السماوات السبع - (ف) .

يمنعنا عن تطبيق الأرضين والسموات على ذلك ، بل نجد الأدلة الصريحة - فضلاً عن الامارات في آيات شرعنا مضافاً الى الروايات - ناطقة بأن الأرضين في عالم شمسنا سبعة ، وهى اجرام منفصلة متباعدة بمسافة عظيمة كسيرة خمسمائة عام ، وان السموات السبع متكونة من بخار الماء ، وكل سماء منها محيطة بأرض من الأرضين السبع - كما تقرر في الهيئة العصرية .

فأى مانع يصدنا عن اختيار هذا التطبيق وحمل الظواهر عليه ، مع ما في ذلك من الثمرات الجسيمة مثل شرح الاخبار المستصعبة وحل ما اعتاص وتشابه من ظواهر الكتاب والسنة ، ومثل اثبات ان النبي الأمي ﷺ لم يكن ترجيحاً لآراء الفلاسفة الأقدمين ، بل كان مخالفاً لهم في علومهم وعقائدهم ناهياً عن تصديقهم .

والأعظم الاتم في مثل ذلك اظهار صدق الشريعة الاسلامية - كشر الله حمايتها في البرية - وتقدمها على المتأخرين في الاخبار عن هذه الحقائق والأسرار والأمر التي قصرت عن نيلها الأبصار والبصائر وعجزت عن دركها العقول والمشاعر .

فوالله على ما اندرس من آثار الاسلام ! وآها آه على ما فاتنا من أقوال الحجج الكرام ! فكم قد اهمل الحفاظ والرواة آثاراً واحاديث في هذه الابواب ، فلم ينقلوها من شدة غرابتها عن عقولهم ، وتنفر ابناء ذلك الزمان من امثال هذه المضامين ، فلم يظهرها الرواة خوفاً من تهكم الجاهل بالناقل او القائل ، ومع ذلك كله طفق علينا من رواشح هاتيك الاخبار والآثار رشيحات سقت حدائق العلوم سيحاً .

« المسألة الثامنة »

(في كون الشمس مركزاً لحركات الأجرام)

قد تقرر في الهيئة الكوبرنيكية بعد القرون الكثيرة الهجرية ان شمسنا هذه ثابتة في مركز الحركات كاحدى ثوابت السكون يستقيم بها نظام مجذوباتها فهي أوسط هذا النظام كالمركز لأدوارها .

فإذا يصنع المسلمون بما يوجد في شرعهم الاقدس من الظواهر الدالة على تحرك الشمس وجريانها ؟

(الجواب)

خالف الفيلسوف المؤسس (كوبرنيك) ومن بعده جميع المتقدمين ، فارتأى ثبات الشمس وتوسطها لدوران الكرات السيارة حولها شبه المركز ، فهي كالبيت الحرام لطواف حجاج الاجرام على أفلاك بيضوية ، ويقع قرص الشمس في احد المحترقين ، كما يبدو في الشكل الثاني وقد مضى في صفحة ٥٠ . ثم لا يذهب عنك ان هؤلاء المتأخرين انما ينفون التحرك عن جرم الشمس بالنظر الى وضعه مع اتباعه ومجذوباته ، ولا ينفون التحرك عنها رأساً كيف وهم ينادون في كل ناد ان للشمس تحركاً على نفسها وضعياً وفي بيداء الفضاء انتقالياً ، ولا يناقض ذلك كونها أيضاً مركز الحركات ، نظير الأرض فانها مركز لأدوار القمر ، وهي مع ذلك سيارة على نفسها وحول الشمس مع القمر فكما ان الذى يكون على سطح القمر لا يشعر بسير الأرض السنوى الا اذا

انتقل الى كرة غيرها كذلك من كان على سطح الشمس الجارية أو على سطح
أحدى كراتها المنجذبة ، فانه لا يشعر بسير الشمس الانتقالى ، اذ المجموع من
الجاذب والمجذوب سيار بسير واحد .

نعم اذا انتقل الناظر الى كرة خارجة عن نظام شمسنا ادرك التحرك
الانتقالى للشمس بسهولة .

حركتا الشمس

ولنصرف عنان البيان نحو المقصد الاصلى فنقول : ان المتأخرين عن
الالف الهجرى أثبتوا حركتين لجرم الشمس مع قولهم بمركزيتها لادوار اتباعها
(احداهما) حركة وضعية فى حيزها على محور نفسها فى خمسة وعشرين
يوماً ونصف بالتقريب ، اكتشفوها فى القرن السابع عشر من الميلاد . وقد
اتفقوا الآن على هذه الحركة واستنبطوها من تحرك السكف والبقع والشامات
والعلامات المنكشفة على سطح الشمس كلها على نسق واحد من الغرب الى الشرق
فى المدة المبينة .

(الثانية) حركة انتقالية فى البعد البعيد والفضاء المديد تسير بنفسها
وبجميع مجنوباتها الرابية فى حيز شفققتها ، فهى تعدو كالمراة الهائمة فى بيداء
الجو ويعدو خلفها أطفالها بلا مأوى ولا مشوى .

ولسكن القوم مختلفون فى استطالة هذه الحركة واستدارتها وفى مركز
دورها وفى جهة الحركة وصوبها ساحبة من ورائها الفيف سياراتها حول العالم :
قال فى حدائق النجوم : ان عالم شمسنا يتصاعد الى نجم فى الفخذ الايمن

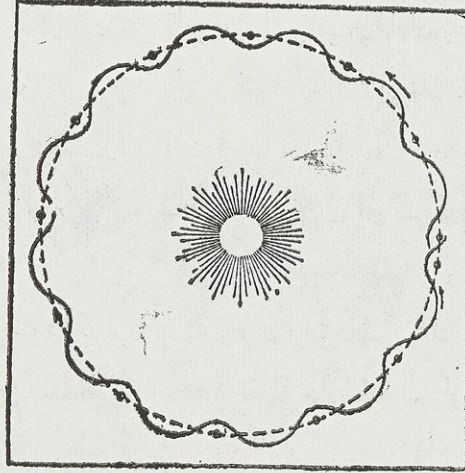
من الجاثي على ركبتيه في سطح معدل النهار .

وفي مشهد الكائنات عن قاموس القواميس المطبوع بباريس عند ذكر الشمس : انها لا تخلو من حركة في الافق ، لانها تميل نحو مجموع انجم هر كيل جارة وراؤها مجموع السيارات المحيطة بها ، ولها أيضاً حركة على نفسها تتمها في خمسة وعشرين يوماً وخمس ساعات من الغرب الى الشرق حول محور عمودي في فلك البروج .

وقال فاندريك في كتاب الهيئة : فقد اتفق اشهر علماء الهيئة الآن على ان الشمس ونظامها من العوالم السائرة نحو نقطة من القبة السماوية موقعها على الخط الموصل بين (أ) و (ب) الجاثي على $1/4$ البعد بينهما عن (أ) أي مماس هذا الفلك العظيم ينتهي الى (أ) الجاثي شمالاً و (ج) الحمامة جنوباً ، والحركة السنوية الى تلك الجهة ١٦٢١ من نصف قطر فلك الارض ، أي ٤٠٠ ٠٠٠ ١٤٨ ميل ، وهي دائرة حول نقطة في الثريا مركزاً أي (ب) الثور حسب رأي ميدلر ، وسرعة هذه الحركة نحو أربعة أميال كل ثانية .

وقال في الآيات البينات : والشمس باجماع الفلاسكين الآن تسير بكل اتباعها الى نقطة في الجاثي بسرعة معدلها نحو ٤٢٢٠٠٠ ميل في اليوم ، وظن بعضهم انها تدور بكل عالمها حول أضواء نجم في الثريا يسميه الافرنج (الكيوتي) ويسميه العرب (عقد الثريا)

وفي المجلد الحادى عشر من مجلة الهلال المصرية ص ١٢٤ : ان الاستاذ (كبل) مدير مرصد ليك من امريكا يعتقد ان الارض تدور حول الشمس كما في هيئة كوبرنيك ، ولكن الشمس تسير دائماً من الجنوب الى الشمال ونظامها يتبعها ، فهي لا ترسم أفلاكاً في مسيرها هذا بل ترسم خطاً متعرجاً يشبه الحية حال مشيها - كما في الشكل (٦) .



(ش - ٦) سير القمر اللولبي حول الشمس

وقال كمبل : ربما تبادل الى الأذهان ان الشمس تسير في خط منحنى ، بحيث يعود نظامها بعد دهر وادهار الى نقطة مبدئها ، واكثنا لانمنع ان تكون سائرة في خط مستقيم كما تسير القنبلة من المدفع (١) .

* * *

(١) قال الطنطاوى في كتابه : فاعلم ان حركة قنبلة المدفع لاتزيد عن عشرة أميال في الدقيقة ، وسرعة الأرض في حركتها اليومية ١٦ ميلا في الدقيقة وفي الحركة السنوية الف ميل في الدقيقة ، وفي الحركة العمومية للنظام الشمسى ثلاثمائة ميل كما نقله اللورد افبرى ، مع ان الزهرة وعطارد أسرع منها اذ يبلغ الأخير قريبا من الف ميل في الدقيقة ، اى كسرعة قنبلة المدفع مائتى مرة . .
أقول : بهذا يستدل على ان الحركتين اليومية والسنوية للأرض والا
لذابت من الحرارة كقنبلة المدفع

إذا اطلعت على اتفاق المحققين من الحكماء المتأخرين على تحرك الشمس بحركتين وضعية وانتقالية قلنا لك : ان الظواهر الاسلامية دالة على تحرك الشمس فقط من دون تعرض أو ارشاد الى بيان تلك الحركة ، فهي منسوقة على منهج يستقيم مع القول بالحركة اليومية أو السنوية للشمس كما قال بها المتقدمون ويستقيم أيضاً مع القول بالحركة الوضعية او الانتقالية للشمس كما قال بهما المتأخرون ، بل لو منحت ألفاظها تدبراً صادقاً لظفرت على امارات وشواهد مقترنة بها تشير الى الآراء الجديدة في الشمس وأحوالها :

(منها) قوله تعالى في سورة يس بعد ذكر الشمس والقمر والمنازل والأرض : ﴿ وكل في فلك يسبحون ﴾ (١) وقد ذكرنا غير مرة ان هذه الآية الكريمة لا ينطبق ظاهرها على الهيئة القديمة ، اذ يمتنع لديهم تحرك الكواكب في جسم الفلك ، ولأجل ذلك التزم القدماء صرف ظاهر الآية بنحو التجوز ، ونسبة السباحة الى المتحرك بالعرض - أي الكواكب - دون المتحرك بالاصالة - وهو الفلك - كنسبة التحرك الى الجالس في السفينة .

واما نحن المتأخرين ففي غنى عن ارتكاب التجوز والتأويل ، فناخذ بظاهر الآية ونقول بتحرك نفس الشمس والقمر والمنازل السماوية والأرض ونحوها بالحركة الانتقالية كل في فلك مخصوص به ، غاية الأمر ان فلك الشمس مجهول المركز وباقي الأفلاك محيطة بالشمس .

(ومنها) قوله تعالى في سورة يس أيضاً : ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (٢) فاحتج الأوائل بظاهرها على كون الحركة المحسوسة طلوعاً وغروباً إنما هي للشمس ، واضطربوا في ﴿ لمستقر ﴾ فأخذوا اللام تارة بمعنى الى وفسروا المستقر بمبدأ البروج ، واخرى بمعنى في وفسروا

المستقر بفلكها .

وعندى فى كلا التفسيرين نظر :

(أما الأول) فلأن المقصود من المستقر لو كان هو البرج الذى تعود اليه الشمس واللام بمعنى الى لا ستلزم سكون الشمس بعد حلولها فيه ، وهذا باطل قطعاً ، ووجه اللزوم هو كون ما بعد الى غاية للجريان مثل « صمت الى المساء » فلا يشمل الحكم لما بعد الغاية ، فيلزم سكون الشمس بعد وصولها الى البرج الذى ابتدأت منه ، كما لو قلت : « جرى الماء الى موضع كذا » أى لم يجر من بعد ذلك الموضع .

(وأما الثانى) فلأن المستقر لو فسر بالفلك وكان اللام فيها بمعنى فى كان المعنى ان الشمس تجرى فى جرم فلكها ، وهو مسلم البطلان فى الهيئة القديمة ومناف لمبانيها .

هذا ، ولا يلزم شىء من هذه المحاذير اذا حفظنا ظاهر الاية وطبقناه على النظام الجديد بحمل الجريان على الحركة الانتقالية للشمس فى أعماق الفضاء تائبة المأوى وحمل المستقر على زمان الاستقرار لا مكان الاستقرار ، فيكون المعنى - والله اعلم - : والشمس تجرى الى ان يأتى وقت القرار وهو يوم القيامة اذا الشمس كورت والنجوم انكسرت .

واحتمل العلامة الكبير السيد محمد حسين الشهرستانى المرعشى وغيره : ان المستقر بمعنى محل الاستقرار ، وتكون اللام بمعنى (فى) كما فى قوله تعالى ﴿ ياليتنى قدمت لحياتى ﴾ (١) أى فى حياتى ، وفى قوله تعالى : ﴿ لا يجليها لوقتها الا هو ﴾ (٢) أى فى وقتها ، وغير ذلك . فيكون المعنى - والله ادرى - ان الشمس تجرى وتتحرك فى مستقرها وموضع قرارها بالحركة

(١) سورة الفجر آية ٢٤ . (٢) سورة الأعراف آية ١٨٧ .

الوضعية ، ويكون قوله تعالى : ﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ إشارة الى لطف هذه الحركة في بادية النظر وفي نفس الأمر .

هذا كله بناءً على القراءة المعروفة المتداولة ، اعني قراءة عاصم برواية حفص ، واما على القراءة المروية عن أئمة آل النبي ﷺ : ﴿ والشمس تجري لا مستقر لها ﴾ بلا النافية فتنتطبق على الحركة الانتقالية المنقولة عن المتأخرين انطباقاً ظاهراً لا يحتاج الى تجشم التفسير . وهذه القراءة الأخيرة رواها المفسرون عن امير المؤمنين علي عليه السلام وسبطه زين العابدين والامامين محمد الباقر وجعفر الصادق وابن عباس وابن مسعود وعكرمة وعطاء وغيرهم واختار هذه القراءة شيخنا الشريعة الاصفهاني كما سمعته منه ورأيتسه ايضاً في كتابه (انارة الحالك في قراءة ملك ومالك) ، ونقل هذه الأقوال عن مجمع البيان والدر المنثور . وهي تدل على ان الشمس ليس لها مركز محسوس تدور حوله كما يحسبه (كبل) الأمريكي . او تدل على انها لا استقرار لها كما هو الحق ، اذ الـ (مستقر) مصدر ميمي .

(ومنها) قوله تعالى : ﴿ وسخر لكم الشمس والقمر ذابئين ﴾ (١) فان الصارف لظاهر الآية عن النظام الغابر الى النظام الحاضر هو اسناد الحركة الشديدة المفهومة من لفظ التسخير والدعاء الى نفس الشمس والقمر ، فانهما انما يتحركان بأنفسهما في جوف الجو في النظام الجديد ولا يتحركان قط في النظام التليد الا بحركة افلاكهما .

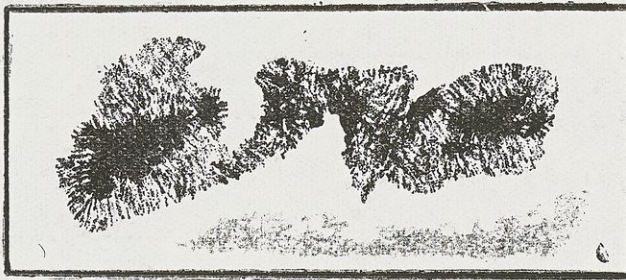
ولعين هذه العلة كان اسلافنا يصححون تفسير الآية بعد بنائهم على الهيئة القديمة ، اما بحملها على التجوز في الاسناد او بحملها على الهيئة العرفية وقد علمت بفضل الله تعالى صحة الاعتماد على ظاهر الآية من دون

ارتكاب تأويل او تصرف بعد البناء على الهيئة الحديثة والبول بتحرك الشمس
وضعا وانتقالا ، وان كان الأوجه قصد الحركة الوضعية من تسخير
الشمس والقمر .

* * *

فان قلت : مساق الآية على اظهار نعم الله تعالى لعباده ، وتسخير
الشمس بمعنى تحريكها بالحركة الحسية اليومية والسنوية يدرك الكل له منافع
عظيمة وفوائد عميمة تحقق كون ذلك نعمة ومنة ، واما تسخير الشمس بمعنى
تحريكها حول نفسها في موضعها فلا ندرك له منفعة لنا ابدأ حتى يتحقق كون
ذلك التسخير نعمة للناس .

قلت : راجع كتب القوم وما سطورا فيها من المنافع العظيمة الظاهرة
في كرة ارضنا الناشئة من دوران الشمس على نفسها ، فان سطوح الكرة
الشمسية مختلفة جداً ، ففي بعضها كاف وشامات كبيرة يبلغ القطر من بعضها
خمسين ألف فرسخ - انظر شكل (٧) .



(ش - ٧) نوع من الكلف الشمسي

وفي بعضها مشاعل عظيمة وملونة ، ولهبات شديدة الحر والشر من اشتعال الأجزاء المغنيسومية وغيرها - انظر شكل (٨) .

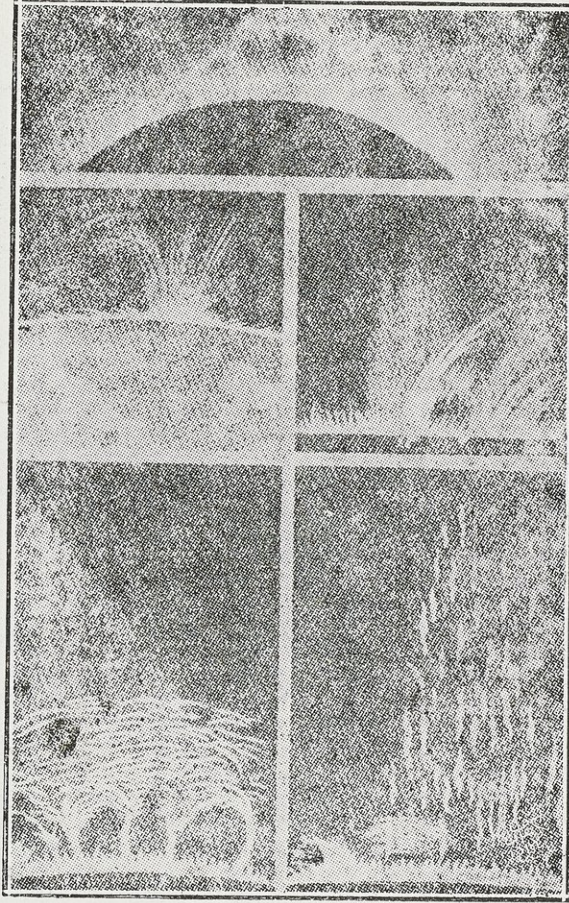
والمقصود انهم رأوا في ظهور هذه الشامات والكلف ونحوها على وجه الشمس اذا قابل الأرض في دوره - بل أيقنوا من اللائم - ان ظهور هاتيك الأمور مؤثرة تأثيراً عظيماً في الشفق وفي جونا وفي الظواهر الكهربائية المغناطيسية ، فتضطرب وتنحرف عن القطب انحرافاً فاحشاً مختلفاً باختلاف الكلف ، حتى ان معظم المطر يوافق معظم الكلف والعكس بالعكس - كما صرح به فاندريك .

ونقلت (اليزا افرت) في كتابها مختصر الهيئة عن (هرشل) ان مواجهة كلف الشمس للأرض مؤثرة في فصولها من جهة خصبها وقحطها . ثم قالت : ان ما انتهت اليه الى الآن معرفتنا بهذه الأمور هو ان مدة زيادة الكلف توافق زيادة وقوع الأمطار في الاقاليم الاستوائية . اقول : بل يؤثر في الحر والبرد ايضاً ، لا سيما في الاقاليم الاستوائية وله غير ذلك من التأثيرات النافعة لنوع العباد .

فلا غرابة في ان يكون تسخير الشمس في سيرها المحورى من البارى تعالى لأجل حصول هذه الحالات في الأرضين متاعاً لهم وانتفاعاً .

وستطلع ايضاً في المقالة السادسة من البحث الأول من مسألة صفات الشمس على الأمطار الشمسية الناشئة عن دوران الشمس ، كما تنشأ الأمطار الأرضية عن دوران الأرض ، ونذكر هناك تأثيرات الأمطار الشمسية في أرضنا فتكون ايضاً من فوائد تسخير الشمس بتجريكها الوضعي .

يقول المؤلف هبة الدين الحسيني : ولى ايضاً رأى تحدسته في سبب حركات الأرضين من الغرب الى الشرق وان ذلك ناشئ من تحرك قرص



(ش - ٨) اللهبات النارية المختلفة في الشمس

الشمس في حيزها كذلك فتتبعها بناتها المجذوبة لها . ولا يستطيع هذا المقام بيان منشأ هذا الحدس وشرحه ، وليس الغرض الا بيان ان الأرضين اذا كانت ادوارها اليومية والسنوية ناشئة عن دور الشمس على نفسها من الغرب إلى الشرق ، وكذلك ادوار الأقمار والسيارات ، فقد عادت الفوائد والمنافع بأسرها إلى تسخير الشمس وتحريكها الوضعي على ما مر ، وارتفع الاعتراض والشك من دون شك .

(ومنها) قول على أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه : « والجو المكفوف الذي جعلته مغيطاً ليل والنهار والشمس والقمر » وهو ظاهر في كون التحرك والجريان لنفس الشمس والقمر - كما يراه من تأخر - لا لأفلاكها كما عن القدماء .

ومن بعد تفسير هذا الجريان بسير الشمس وباقي الأجرام في جوف الجو - كما تقدم عن المتأخرين - يبقى ظهور الكلام محفوظاً على ابلغ منهج . وصدر هذا الكلام مصرح بظهور الليل والنهار من تحرك الظلمة والنور إذ الليل ليس عند التحقيق الا ظل الأرض المتحرك دائماً من مشرق الأرض إلى مغربها، والنهار في الحقيقة ليس غير النور الشمسي الذي يشرق من مشرق الأرض دائماً ويغيب في مغربها .

ومعنى كون الجو مغيطاً لهما أنه موضع غروبهما ، ففي نسبة « الغيب » بالضاد والغروب إلى الظلمة والنور لا إلى نفس الشمس اشعار بأن الحركة الليلية والنهارية إنما هي للظلمة والنور ، فلا تنافي عندئذ سكون الشمس ، لجواز حصول هذه الحركة للظلمة والنور بسبب تحرك الأرض .

فكان الامام عليه السلام اشار اولاً إلى عدم مدخلية الشمس في ايجاد الليل والنهار ثم اثبت للشمس جرياناً مستقلاً ، وهو سيرها السريع في اعماق الجو

الوسيع . راجع الدليل الرابع عشر في مسألة حقيقة الفلك .

* * *

وفي القرآن العظيم آيات يمكن الاستشعار منها بمركزية الشمس للسيارات (١) :

(أحدها) قوله تعالى : ﴿ والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها ﴾ (٢) حيث أشار تعالى في القمر إلى تلوه وتبعيته في الحركة ، وسكت في الشمس عما يوهم تحركها بل اكتفى بذكر أظهر صفاتها وهو نورها وشعاعها الملائمان للطباع والأبصار في صدر النهار ، فلو كانت الحركة المحسوسة لذات الشمس كان ذلك التحرك من أظهر صفاتها وأحقها بالذكر .

وأيضا في التعبير بلفظة ﴿ تلاها ﴾ إشارة إلى تبعية القمر للشمس في الحركة كما يراه المآخرون ولم يكن بين القدماء ذكر من تبعية القمر وغيره للشمس في الحركة بلا واسطة ولا معها .

(١) لا تنس أيها القارئ الكريم أن البحث في هذه المسألة الثامنة كان حول أن الشمس مركز لحركات الأجرام السيارة ، ولكن سماحة المؤلف ذكر في أوائل المسألة أن مركزية الشمس للسيارات التابعة لها لا تنافي مع تحرك الشمس وبقية توابعها مجتمعة بحركة خارجية ، ورأى بمناسبة المقام أن يذكر حركات الشمس وبعض الأدلة الشرعية القائمة على هذه الحركات وفي الحقيقة أن هذا الموضوع كان خارجا عما هو بصدده ومن هنا يبدأ بالموضوع نفسه ، أي ذكر مركزية الشمس لحركات الأجرام السيارة التابعة لها - (ف)

(٢) سورة الشمس آية ١ - ٢ .

(وثانيها) قوله تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ﴾ (١) .
قال نور الله : ان هذه الآية تشير إلى ان الشمس هي الجاذبة للقمر دون
العكس ، ويشبه قولك في سفينتين عظيمة وصغيرة تتبعهما ان تقول : « لا
العظيمة ينبغي لها ان تدرك الصغيرة » اي لا يليق لها بشأن الصغيرة الا لتحاق
بالكبيرة - فتأمل .

واحتمل العلامة الشهرستاني المرعشي انطباق هذه الآية والثالثة على
النظام الحديث من حيث ان الشمس مركز الحركات لا تتحرك والقمر لا يزال
في دور وانتقال ، فيصدق قوله تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ﴾ .
اقول : ان الادراك ظاهر في حقوق الشيء لما تقدم عليه بسرعة ،
والشمس في سيرها الانتقال مع السيارات تسير اربعة عشر ميلا في الثانية ،
والقمر في سيره الانتقال مع الأرض يسير عشرين ميلا في الثانية ، فالشمس
لا ينبغي لها ان تدرك القمر على آراء المتأخرين ايضاً .

يقول المؤلف هبة الدين : ونجوى فكرتي ان هذه الآية الكريمة ناظرة
الى الحركة الانتقالية للشمس وآية ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ﴾ ناظرة الى
الحركة الوضعية لها ، فسورة يس مشيرة الى حركتي الشمس الوضعية
والانتقالية معاً .

(وثالثها) قوله تعالى : ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً
وقدره منازل ﴾ (٢) حيث وصف تعالى الشمس بالاضاءة والقمر بالنورانية ،
ثم خصص القمر بالتحرك في منازل المقدسة وسكت عن تحرك الشمس فلو
كانت متحركة في البروج حقيقة - كما زعمه الأقدمون - لكانت الشمس بهذا

(١) سورة يس آية ٤٠ .

(٢) سورة يونس آية ٥ .

التخصيص اولى كما لا يخفى ، مع تعليل ذلك بمعرفة العباد عدد السنين والحساب
قال نور الله : ويؤيده ان الشمس لو كانت هى المتحركة لكانت اولى
بأن توصف بالتقدير فى البروج ، سيما مع اقترانها لفظاً بالقمر المقدر فى
المنازل . وحيث ان الله وصفها بعد ذكرهما وسكت عن تحرك الشمس فى
بروجها مع اوليتها دل ذلك على سكونها واختصاص القمر بالسير .
ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد
كالعرجون القديم ﴾ (١) فانه تعالى بعد ذكر الشمس والقمر مقتنين افراد
القمر بخاصية التقدير فى المنازل دون الشمس مع انها اولى بذلك عند القدماء .

* * *

بقى التعرض لبعض ما يستدل به على صحة النظام القديم من المآثورات
الشرعية :

(منها) ما فى روضة الكافى والوافى وتفسير القمى والبحار وغيرها
بالاسانيد القوية عن الاصبغ بن نباتة قال : قال امير قال المؤمنين عليه السلام : « ان للشمس
ثلاثمائة وستين برجاً كل برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب ، فتنزل كل
يوم على برج منها » .

وهذا الخبر رواه فى مجمع البحرين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وشرحه اسلافنا
على الوضع القديم فى الهيئة قائلين : ان المراد من البرج درجة الدائرة جرياً
على المعنى اللغوى لا البرج بالمعنى الاصطلاحى - اعنى سدس نصف الدائرة -
والدائرة منقسمة الى ثلاثمائة وستين قسماً متساوياً تسمى كل قسمة درجة
وتنزل الشمس كل يوم فى برج منها - اى فى درجة واحدة - حتى تكمل الدورة
فى سنة فنسبة النزول الى نفس الشمس فى الحركة السنوية مشعرة بكون الشمس

متحركة .

قلت : وفي الخبر شواهد واضحة على بطلان هذا التفسير :

(احدها) ان الدرجة لدائرة الشمس عند القدماء - سواء أخذتها من فلك الشمس او من فلك البروج - فانها اضعاف كرة الأرض تماماً ، فكيف يصدق مع ذلك قوله عليه السلام : « كل برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب » فان الجزر الواقعة في جزيرة العرب صغيرة جداً ليس لها قدر محسوس بالنسبة الى مجموع الأرض ، فكيف ينطبق عليها درجة الفلك النفاضة على أضعاف مجموع الأرض ؟ فاعط النظر حقه .

(وثانيها) ان الشمس لا تقع على درجة واحدة من كل يوم من دائرة البروج ، بل هي في غاية الاختلاف ، فتد تقع على اكثر من درجة في اليوم وقد تقطع الاقل منها - كما لا يخفى .

(وثالثها) ان السنة الشمسية اكثر من ثلاثمائة وستين يوماً بعدة أيام ، واللازم من تفسيرهم المذكور للخبر المستور ان تكون السنة ثلاثمائة وستين يوماً لا اقل من ذلك ولا اكثر ، وهو باطل جداً .

هذا ، وقد روى المحدثون والمفسرون كما في البحار وغيره عن ابن عباس عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال : « ان للشمس ١٨٠ متراً في ١٨٠ يوماً ثم انها تعود مرة اخرى الى واحد منها في امثال تلك الأيام ومجموع تلك الأيام سنة » . وظاهر ان هذا الحديث مع الحديث المتقدم مسوقان على سياق واحد وينظر ان نحو منظور مفرد ، والبرج والمنزل في العرف بمعنى المحل ، فلو صح تفسير علمائنا المتقدمين توجهت الاشكالات المذكورة على هذا الحديث أيضاً باضافة اشكال آخر اصعب مما مر ، وهو تصريح هذا الخبر المتأخر بأن منازل الشمس تتكرر في السنة وانها لا تكون ثلاثمائة وستون الا بعد عود الشمس في كل ستة

أشهر الى نفس تلك المنازل التي قطعتها، فيكون المجموع من ١٨٠ يوماً و ١٨٠ يوماً سنة كاملة ولا يلتم هذا الأمر مع تفسير الخبر بما قد مروى من نزول الشمس على حركتها في البروج الاثني عشر، اذ لا تعود الشمس الى شيء مما حلتها الا بعد تمام السنة اذا انحرف وجه الحديث عن الوضع القديم فصح به نحو النظام القويم واحمله على بيان الحركة الميلية الأرضية لترتفع الاشكالات جميعاً ويتفق الحديثان معاً وتلتم الظواهر بالحقائق.

حركة الأرض ومعرفة الدرجات والبروج

ان الأرض من جهة ميل محورها الاستوائى ترى حالة سيرها السنوى كمن يتحرك في موضعه، توجه صفحات سطحها الى الشمس راثمة من الجنوب مثلاً الى الشمال فى ١٨٠ يوماً ثم ترجع من الشمال الى الجنوب فى ١٨٠ يوماً ومجموع ٣٦٠ يوماً يكون سنة كاملة طبق ما نطق به خبر ابن عباس.

ثم ان البرج والمنزل غير محمولين على معناهما المصطلح قطعاً، بل ينظران الى المعنى العرفى لهما وهو المحل والموقع، والمقصود منهما فى هذه الاخبار قطاع من الأرض من دائرة نصف النهار يقع عليها توجه الشمس فى كل يوم، فتكون البروج والمنازل - بناءً على هذا - مأخوذة من سطح الأرض لا من سطح الفلك ومعلوم ان هذا القدر من خط نصف النهار الذى يواجه الشمس عند ميلها الجنوبي والشمالى قريب من ٤٧ درجة اصطلاحية، والدرجة اكثر من عشرين فرسخاً عند القدماء ونحو من ثمانية عشر فرسخاً عند المتأخرين، فسمائة مجموع ما بين الميلىن - اعنى الشمالى والجنوبى - اكثر من ثمانمائة فرسخ على كل تقدير

فاذا فرضنا منازل الشمس التي تواجه كل يوم واحداً منها على خط ما بين المليون وفرضنا عددها مائة وثمانين - بمقتضى تصريح الحديث - بكلا المفروضين لزمنا تقسيم عدد الثمانمائة فرسخ على مائة وثمانين قطعة ، فيقع نصيب كل قطعة من الأرض التي تنزل الشمس عليها في يوم واحد خمسة فراسخ تقريباً .

فعلى هذا يرتفع الاشكال الأول من قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « كل برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب » وينطبق على هذا التحديد ، لأن جزائر العرب السلف الكائنة في جزيرة العرب بمنظرهم ومسموعهم لم تكن عظيمة قطعاً - كالجزائر المعروفة في هذا العصر - لقصر أنظار القدماء وسعة أنظار المتأخرين وحيطتهم بمجمال الأرض ومفصلها احاطة لم يكن معشار بعضه لاسلافنا .

والخبير بتواريخ الاقدمين يعلم انهم يطلقون الجزيرة على أرض محاطة بالماء طولها من جريب واحد الى عشرة فراسخ ، فيساعده تحديدنا الماضي . ورفع الاشكالين الآخرين واضح على هذا المبني كما لا يخفى .

ويظهر من الخبر ان للشمس حال ميلها مائة وثمانين نزلاً في الأرض بحسب مواقع نورها ومواجهة قرصها من مدار الجدى الى مدار السرطان ، فتنزل أشعة الشمس كل يوم على قطعة خاصة تقرب من خمسة فراسخ بجزيرة من جزائر العرب وهكذا الى نصف السنة ثم تعود الى ما قضته من المنازل واحداً واحداً حتى تكمل ثلاثمائة وستين يوماً وثلاثمائة وستين منزلاً ، وهذا المجموع سنة كاملة .

ولا يختلف منظر الخبرين على هذا التحقيق ، اذ يكون الاول ناظراً الى مجموع منازلها في السنة - سواء فيها المنازل الرواحية والرجوعية - بخلاف الخبر الثاني فانه يذكر المنازل السنوية لسكنه يفرق بين نصفها الرواحي والنصف الرجوعي .

ولو تأملت في هذا البيان تحقيقاً لوجدت الخبرين منطبقين عليه أصح الانطباق من دون حاجة الى تصرف أو تأويل في شيء من ألفاظ الخبر ، الا في نسبة النزول الى اشعة الشمس بنحو تقدير المضاف عند قوله : « فتزول الشمس كل يوم » .

واما باقى التفاسير فيحتاج فيها الى التصرف والتأويل اكثر مما مر ، مضافا الى ابتنائها على الهيئة الغابرة وانطباق تفسيرنا على الهيئة الحاضرة ، فيكون أولى من بقية التفاسير وارجح .

ومع هذا كله ففي نفس الخبر مؤيدات وشواهد على صحة تفسيرنا :
(منها) قوله (عليه السلام) : « تنزل على برج منها » حيث عبر بكلمة (على)
فتناسب أخذ البرج والمنزل من سطح الأرض ، ولو كانا مأخوذين من الأفلاك
لهبر عنها بكلمه (في) أو غيرها .

(ومنها) تعبيره (عليه السلام) عن مسير الشمس بالنزول ، لاسيما مع التعبير
(بـ) (على) ، فانه يناسب نزول أشعه الشمس على قطاع الأرض في حركتها الميلية
السنوية لاغير .

* * *

وانما أطنبت في هذا الخبر لأن جمعا من المحققين القدماء كالعلامة المجلسي
وسيد الحكماء الشهير بالداماد وغيرهما فسروا هذه الاخبار بما لا ينطبق على نظام
صحيح ، مع أن كلام الحجج الأطهار حرى بالتدبر والاستبصار لعلنا بعلمهم
كاملا بالحقائق والأسرار .

ومما يستدل به على كون الحركة اليومية من تحرك الشمس هو الظواهر
الناطقة بطلوع الشمس وغروبها وأمثالها .

والجواب عنها (أولاً) بحملها على الهيئة العرفية وحكم الحس في النظرية البدوية .

(وثانياً) بارادة مطلق الظهور من لفظ الطلوع والالتيان ونحوهما واردة مطلق الخفاء من الغروب والأفول ، فيناسب ذلك نظام القدماء والمتأخرين . هذا كله مضافاً الى ان بعض منها ليس محكياً من الله تعالى ، بل هو نقل رأى عن الرأى ، مثل ما فى قوله تعالى حاكياً حسبان ذى القرنين : ﴿ وجدها تطلع على قوم ﴾ (١) وفى قوله تعالى : ﴿ وجدها تغرب في عين حمئة ﴾ . وحيث انتهى شرح المسألة الى هذه الآية المشككة فلا بأس بجل اشكالاتها مختصراً فنقول : اعترض البعض على هذه الآية المباركة من وجهين :

(أحدهما) ان الأرض كروية الشكل لا يتعين فيها موضع خاص للمشرق فقط ولا للمغرب فقط ، بل كل نقطة منها مشرق لمن في غربها ومغرب لمن في شرقها ، فكيف يناسب هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ حتى بلغ مطلع الشمس ﴾ أو ﴿ مغربها ﴾ .

(وثانيهما) ان جرم الشمس اعظم من جرم الأرض بكثير عند الاوائل والأواخر فكيف يجوز غروبها في عين ماء من عيون أرضنا حتى يناسب قوله تعالى : ﴿ فوجدها تغرب في عين حمئة ﴾ .

والجواب عنهما ان القدماء كانوا يحسبون ان القطاع البارزة من كرة الماء هي آسيا وأفريقيا وأوروباً فقط ، ونحن لانعلم قطعاً كيفية مسير ذى القرنين ، ولسكن المشهور انه سار المعمورة شرقاً وغرباً برأً وبحراً ، فلا يبعد وصوله الى سواحل أفريقيا الغربية ، ثم عجز من عبور الاقيانوس الاطلاتيك كلها بذل الجهد فوجد في حسبانه الشمس كأنها تغرب في ذلك البحر وان لا أرض بعده .

ومعلوم ان ظاهر الآية يحكى وجدان ذى القرنين المتوسط فى البحر ،
فانه يحسب الشمس طالعة من الماء وغاربة فيه ، وليس فى الآية حكم من الله
تعالى بغروب الشمس فى العين .

ثم اطلاق لفظ العين على البحر صحيح ، فان لفظة العين ذات معان جمّة
قد تعد سبعيناً ، ومن جملتها - كما فى القاموس وأقرب الموارد وغيرهما - مصب
الماء ، والماء الكثير ، وفيضانه ، وجريانه وغيرها ، ومصب المياه حقيقة هو
البحر ، فان الجدول مصب مياه الينابيع والنهر مصب مياه الجداول والبحر مصب
مياه الانهار ، فهو المصب الحقيقى لجميع المياه فيطلق عليه لفظ العين .

وأما قوله تعالى : ﴿ فى عين حمئة ﴾ أى كثير الحمّة وهى الطين
الأسود ، أو فى عين حامئة أى شديدة السخونة حسب اختلاف القراءات
فمنطبق على المحيط الاطلانتىك فى غرب أفريقيا ، فان المنقول كثرة السواد
والسخونة فيه ، لاسيما الكائنة منه على خط الاستواء .

فارتفع من اتضاح معناها ما اعترضوا عليها بما نقلته وما لم انقله .
وأما قوله تعالى : ﴿ وجدها تطلع على قوم لم نجعل من دونها ستراً ﴾
فلا يتوجه اليه اشكال ، ولا استبعد ان يكون أولئك القوم سكينة افاصى شرق
المعمورة مثل سيبريا واليابان والهند ومن يقرب من المحيط الكبير ، وكلهم
اليوم ما خلا اليابان فى التوحش كالجزر عقلا والسباع أكلا .

والحاصل انه بلغ فى سياحته شرقى العمران موضعاً متوحشاً ووجد
الشمس تطلع على قوم عراة كالوحوش . وبعض الهنود والزنوج المتوحشين لم
يجعل الله لهم ساتراً من الشمس ، فيكون هذا الكلام ابلغ ما قيل مبالغة فى عراء
الانسان ، حيث ان الشمس الكاشفة المبدية لكل شيء هى الساترة لهم لا غير .

«المسألة التاسعة»

(في تحقيق الصفات الخمس لجرم الشمس)

كنا نصدق الحكماء في صفات أثبتوها بأدلتهم لشمسنا المبصرة من حيث الوزن والحجم والعدد وتوليد الحرارة والدوام الى الابد ونحو ذلك ، وكنا نعتقد موافقة تلك الصفات لشيئتنا المنورة ، وقد عثرنا في هذه العصور على مسائل الهيئة المتأخرة فوجدناها نافية لتلك الآراء الناطقة ببطلان ما ادعاه القدماء تستند في أحكامها الى مبادئ حسية وبراهين جلية ، فهل يتأتى الائتلاف في تلك الاوصاف بين الكشفيات الجديدة وظواهر الشريعة أولا يحيص من الطرح والتأويل ؟

(الجواب)

يعلم كل نقاد خبير ان العلوم العقلية - ولا سيما الرياضية - قد انعقد تكليف بيانها على ذمة العقل دون الشرع ، ولو أفاد الشرع فيها رأيا فذلك من فضله ، وشرعنا الإسلامى اذ كان ختام الشرائع الحققة لاجرم كان اكثرها إحكاما وسياسة واكملها تأثيراً في تهذيب النفوس وترقيتها بأصناف المعارف والسمكالات .

ولاجل ذلك لم يقتصر كبعض الشرائع على تكميل جهة واحدة كاعتصار الدين المسيحى على تكميل أخلاق الخلق ، بل منح نبينا الامى ﷺ دقائق الحقائق لجماهير الخلائق وفتح لهم أبواب العلوم بأسرها على السنة أوصيائه

من بعده ، فنشروا من نكات الحكمة الحقّة ما غنى الباحثين في كل عصر ومصر .
ولعمري ان أقوالهم غدت من كثرة الموافقة للكشفيات المستحدثة توهم
ان المكتشفين اخذوا آراءهم من تلك الأقوال ، لولا استناد المكتشفين الى
أدواتهم وآلاتهم . والفحص في مقالاته يبشرنا بصدق هذه القضية - كما ستري
فالأنسب بمقامنا شرح بعض ما قالوا في المباحث الخمس المذكورات
في السؤال :

المبحث الاول

(ان الشمس هل هي مصدر الحرارة والنور ام لا)

قد اختلفوا في أن الشمس هل هي بذاتها مصدر الحرارة مثلما انها ينبوع
النور ، كما تقرر في الفلسفة الجديدة أو هي بالذات منبع النور فقط ، وليست
بذات حرارة ولا نارية كما تقرر في الفلسفة القديمة .

وزبدة دعوى القدماء ان الشمس بذاتها ليست بحارة ولا باردة ولا رطبة
ولا يابسة ، لان هذه الامور تخص العناصر والاجرام بأسرها مقدسة عن
العوارض العنصرية ومنزهة من آثار العالم السفلي حسب مبانيهم الظنية ، فالحرارة
المشهود من الشمس أو اليبوسة أو الاحراق ليست عندهم من نفس الشمس
بل النور الشمسي ذو خصوصية في الوجود تقتضى بعد السطوع على سطوح
الارضيات ثم الانعكاس عنها إحداث الحرارة ونحوها من الآثار .

فنسبة صدور الحرارة الى المستنير احق واولى من نسبته الى المنير ، وانما
المنير سبب اعدادى يوجب ظهور الحرارة من الارضيات ، وليست الحرارة

ثائرة من نفس النور أو الشمس بل المنير مشار النور فقط والمستنير مشار النار .
فالشمس عند المتأخرين كالسراج مصدر النور والنار معاً ، وليست كذلك
عند القدماء .

وحكى العلامة المجلسي في باب ركود الشمس عن المنجمين : ان حرارة
الشمس ليست باعتبار جرمها حتى يقع تعذيب المشركين بتقريهم من عين
الشمس ، بل باعتبار انعكاس الاشعة عن الاجسام الكشيفة ، ولذلك كلما بعد
عن الارض كان تأثير الحرارة فيه أضعف - انتهى .
ونقل عنهم في باب محو القمر عدم قبول الفلكيات للسخونة ، وهذه
المسألة معلومة النسبة اليهم .

وأما الفلسفة الاخيرة فأصحابها متفقون على ان جرم الشمس بنفسه مشار
النور والنار ومرسلها بالاشعاع الى كل سيار ، وان كرتها مركبة من طبقات
نارية وبخارية لا تبرح عن الثوران والاشتعال ، وشبهوها ببحر عظيم من نار
تلاطمت أمواجه وشعله ، وقد يبلغ طول ألسنتها وزبائنها نحو خمسين ألف
فرسخ ، وربما انحرفت عن حافته كأنحراف شعلة الشمع اذا لاعتها الريح .
ولو ترى لهباتها الملونة في المناظر الطيفية وماترمي من الشرر باشتعال
الاجزاء (المخبسيومية) وغيرها ، ولقد حققوا فيها حتى الان اكثر من أربعة
عشر مادة مما يوجد في أرضنا كالححاس والحديد وغيرها ، والتفصيل موكول
الى محله (١)

(١) بلغ كشف المواد الأرضية الموجودة في الشمس بعد تأليف هذا
الكتاب الى أربعين مادة ، وقد اكتشفت هذه المواد بواسطة
سبكتر سكوب - (ف) .

وانما الغرض بيان معتقد الأواخر في شدة نارية الشمس ، وانها تبث النور والنار من نفسها بقضاء الله تعالى في واسع الفضاء وتوصلها الى سياراتها الرابية في حجر عطوفتها ، وان استلزم تلف آلاف اضعاف ما يحتاج اليه كل سيار ، حتى قالوا : ان الذى يصل الى أرضنا من حرارة الشمس هو جزء من الف مليون وثلاثمائة وواحد وثمانين مليوناً ، وباقي ذراتها النارية يتلف أو يصل الى بقية السيارات والأقمار والشهب والمذنبات .

* * *

وأما الشريعة الاسلامية فلن تجد فيها مقالة تشعر بالرأى القديم أبداً ، وأما مقالاتها الناطقة بهذه الاراء المستحدثة فكثيرة قوله الحمد ، ونذكر منها مايل :

المقالة الأولى

قوله تعالى : ﴿ وجعل الشمس سراجا ﴾ (١) فان الظاهر من هذه الاية كون الشمس كالأسرجة والمصابيح تفيض النور وتشير النار بذاتها وفاقا للمتأخرين ولا يخفى ان القرآن يصف الشمس بكونه سراجا او ضياءاً ويصف القمر بكونه نوراً ، ولا يغير هذه السيرة اشعاراً بأن الاشعاع في الشمس غيره في القمر ، اذ الشمس تشير النار والنور بذاتها والقمر لا بذاته بل بغيره .

المقالة الثانية

قوله تعالى : ﴿ وجعلنا سراجا وهاجا ﴾ (٢) فان المفسرين أطبقوا حسب

(١) سورة نوح آية ١٦ .

(٢) سورة عم آية ١٣ .

المنقول على أن المراد من هذه السراج هو الشمس .
وقال الثعلبي المفسر بعد ما فسر السراج بالشمس : الوهاج هو الحار الوقاد
وقال مقاتل المفسر : الوهج بجمع النور والحر .
وفي القاموس : وهج النور انتقدت .
فالاية تشير الى كمال المبالغة في وقود الشمس واشتعالها - كما عليه المتأخرون

المقالة الثالثة

في روضة الكافي والخصال والعلل والبحار ومناقب ابن شهر اشوب في
باب علوم البافر عليه السلام وغيرها بالأسانيد القوية الى محمد بن مسلم عن الامام
الخامس ابى جعفر الباقر عليه السلام وفي نور الثقلين وجمع البحرين وتفسير القمي
والبحار باسناد آخر عن سلام بن المستنير قال : قلت لابي جعفر عليه السلام : لم صارت
الشمس أحر من القمر ؟ قال عليه السلام : « ان الله تعالى خلق الشمس من نور النار
وصفو الماء طبقة من هذا وطبقاً من هذا حتى اذا صارت سبعة أطباق ألبسها
لباساً من نار ، فمن هنالك صارت أحر من القمر » .
وسوف اذكر الباقي من الخبر في صفات القمر .

وكأن السائل كان يعلم من سائر المقالات الشرعية ان الشمس مشار الحرارة
الحقيقية ولا كنهه طلب العلم بعله ذلك ، فشرح له الامام علته بطريق الم (١)

(١) طريقة الاستدلال في المنطق والفلسفة ينقسم الى قسمين :

الاول - طريقة الـ (لم) أى معرفة المعلول بواسطة العلة كأن نقول :
« ان الشمس فيها أجزاء نارية فاذن هى محرقة » .

الثانى - طريقة الـ (إن) أى معرفة العلة بواسطة المعلول كأن نقول :

« ان الشمس محرقة فاذن فيها أجزاء نارية » - (ف) .

وذكر جيولوجى الشمس وجغرافيتها الطبيعية .
وظاهر الخبر يرشدنا نحو عدة من الكشفيات الحديثة المخالفة للمطالب
القديمة :

(احدها) ان جرم الشمس مركب على طبقات - كما شرحه المتأخرون -
وليست مثل مازعمه المتقدمون بسيطة جداً لا يشوبها نحو تركيب أصلاً .
(وثانيها) ان الشمس كالأجرام الأرضية مركبة من العناصر
والماديات من نار وماء وبخار وهواء وغير ذلك كما تقرر فى الفلسفة الجديدة ،
خلافًا للمتقدمين البانين على بساطتها وتقديسها عن الفلسفيات وتنزهها عن
العنصریات .

(وثالثها) كون الشمس بنفسها ذات حرارة ونارية وفاقاً للمتأخرين
وخلافًا للقدماء وقد مر القول فى آرائهم تفصيلاً .
(ورابعها) ان جرم القمر ايضاً ذو حرارة وليكنها خفيفة ، وسأشرح
القول فيه فى احوال القمر .

(وخامسها) ان العمدة فى وجه حرارة الشمس ان الله تعالى ألبسها
لباساً من النار يحيط على طبقاتها المودعة فيها حسب منطوق الخبر ، وبذلك
قال المتأخرون ايضاً .

فى ارواء الظاء لكرنيليكوس فانديك : ان قوة اشعاع الشمس
منحصرة فى غلاف من مادة نيرة تحيط بالجرم سميت ال (فوتوسفير) وكل
قوة نواة الجرم منصرفة فى ابقاء تلك الكرة على فعلها من اشعاع النور
والحرارة ، فكون الجرم ذاكرة محيطة نيرة مشعة شرط لازم لاعتبار ذلك
الجرم شمساً بين شمس الفضاء ، وتلك الكرة النيرة لا تتكون الا من مادة
مشعلة تؤثر فى النور المشع من النواة وهذه المسألة لا يحلها الا آلة السبكترسكوب

اعنى المنظار الطينى بجلها النور الى ألوانه الاصلية - انتهى .
قلت : فما لا يحله شيء غير السبكستر سكوب كيف يمكن ان يشرح حامل الوحي والالهام لأهل عصره ازيد مما قال ؟ وليت شعري كيف تلفظ بهذا القدر وكيف تحمله السائل والسامعون وصدقوه حيث لا رأى يعاضده ولا اداة تساعد .

ولعمري ان تصديقهم لأقواله والحالة تلك كاشف عن منتهى ثقة الناس بهم بسبب ما شهد الناس من اهل هذا البيت القدسي من الصدق والصفاء والامتيازات العلمية والعملية عن سائر الناس .

والاعجب من الجميع وصولهم الى دقائق هذه الحقائق الخفية ، من دون طريق على ولا عملي وصولا لا يحمل له غير جهة الولاية والاحاطة الغيبية بجميع ما فى الكون .

وأيم الله تعالى انه ربما تعرضنا عند العثور على امثال هذه المقالات الشرعية دهشة ليست بأقل من دهشة الحاضر بين يدي صاحب الشريعة الطاهرة الناضرة الى معاجزه الباهرة .

المقالة الرابعة

فى الكافى والبحار بالاسناد القوى الى الأصمغ بن نباتة صاحب على (ع) انه قال : قال امير المؤمنين على (ع) فى حديث طويل : « ان الشمس لو كان وجهها لأهل الأرض لأحرقت الأرض ومن عليها من شدة حرها » .

وظاهر هذا الخبر الشريف ناطق بكون الشمس بنفسها ذات حرارة

شديدة فائقة النهاية .

* * *

فان قلت : ان الشمس جرم كروى دوار على نفسه فلا يكون له وجه
اخر من وجهه ، ولو فرض ايضاً فانه يرينا جميع صفاحه عند الدوران ،
فلا تبقى صفحة لا تواجهنا ابد الدهر .

قلت : قد ادعى القوم فى ارسادهم الجديدة - كما فى تقويم سنة ١٢٢٣ هـ
لنجم الملك الطهرانى - ان الشمس بعض وجوهها احر من بعض ، وان
صفاحها الاستوائية لو خلت عن كف هى احر من اطرافها التى تتجاوز
عرض ثلاثين درجة على نسبة ١٧ مع ١٦ ، فاندفع قولك : « لا يكون له
وجه احر من وجهه » .

ثم انهم ادعوا ايضاً - كما فى التقويم المذكور - ان الصفحة الشمالية
للشمس احر من صفحتها الجنوبية ، وقد سبقهم الاستاذ هرشل فى دعوى
كون النصف من وجه الشمس احر من النصف الآخر ، فاذا كانت الصفحة
الشمالية احر من الصفحة الجنوبية اندفع قولك : « ولو فرض ايضاً فانه يرينا جميع
صفاحه عند الدوران ، لأن صفاحها القطبية - شمالية كانت او جنوبية - لا تواجه
ارضنا ابدأ حيث ان الارض تدور حول الصفاح الاستوائية للشمس ، وقطبها
بموزل عن مواجهة الأرض . فمن كان على الأرض - وان رأى قطبي الشمس
بالفرض الا انه لا يواجه القطب فى استفادة الأشعة ، فلا تتجه اشعة
قطب الشمس نحو الارض مثل اتجاه اشعة اوساط الشمس . ويظهر حق الأمر
بأدنى تأمل فى المسألة .

* * *

اذا عرفت ذلك جاز ان تراد الوجهة الشمالية من لفظ الوجه المذكور

في الخبر : « لو كان وجهها الى الأرض لا حرقت » ولا شك في ان الوجه الشمالية ليست مواجهة لأرضنا بالمعنى المتقدم ، فلو كانت مواجهة لأحرقنا حيث ان الوجهة الشمالية احر وجوه الشمس بشهادة الراصدين ، فلا يبعد ان تكون تلك الوجهة من الحرارة بمثابة لو كانت أشعتها مواجهة للأرض كمواجهة الأشعة الاستوائية كانت محرقة لأرضنا ولمن عليها ومفسدة لمزاجها وايضاً نجيب عن الاعتراض بأن الوجه قد يكون بمعنى التوجه ، فعليه يكون قول علي (عليه السلام) : « لو كان وجهها لأهل الأرض » بمعنى لو كان توجيهها لأهل الأرض خاصة لأحرقنا الأرض ومن عليها . وهذا معنى صحيح يعترف به المتأخرون ايضاً ، فقد قال بعضهم : ان الحرارة التي تتلف من شمسنا في اليوم الواحد لو اجتمعت في أرضنا لكانت كافية لذوب مقدار من الجليد دفعة ، والحالة انه يغطي كل وجه الأرض وسمكه احد عشر ميلاً . وقال فاندريك ما خلاصته : ان الحرارة التي تصل من الشمس الى خصوص الأرض في السنة لو اعطيت اليها دفعة وقد اكتست بجليد قطره خمسون ذراعاً لذاب الجليد من حينه - انتهى .

فكيف اذا توجهت نحو الأرض أعواماً ؟ فهلا تصهر اصلب معادننا وتجعلها مع ما فيها وما عليها بخاراً بل هباءاً في الهواء ، كما اشعر به هذا الخبر - فتبصر .

المقالة الخامسة

في تفسير القمي وجمع البحرين والبحار ونور الثقلين بالاسناد الى الامام الثامن علي الرضا (عليه السلام) انه قال : « الشمس والقمر آيتان ، الى ان قال (عليه السلام) « وضوءهما من نور عرشه وحرهما من النار جهنم ، فاذا كانت القيامة عاد

الى العرش نورهما وعاد الى النار حرهما ، فلا يكون شمس ولا قمر .
ويدل هذا الخبر على امور :

(منها) ان جرم الشمس ذو حرارة ونارية ، وهو مطلوبنا في
هذه المسألة .

(ومنها) ان القمر له ضوء من نفسه لا من الشمس ، كما سنشرحه في
الأمر الثالث من مسألة احوال القمر .

(ومنها) ان جرم القمر ايضا ذو حرارة ونارية ، وسيأتى شرحه في
آخر احوال القمر .

(ومنها) ان الفناء بانعدام الصور وتلاشى المواد لا بانعدام المادة .
والى هذه النكتة تنظر بقية المقالات الشرعية في فناء الأجسام - والله العلام

المقالة السادسة

في الكافي والبحار وجملته من كتب الأخبار مسنداً عن جابر انه سمع
الامام الخامس محمد بن علي الباقر (عليه السلام) يقول في حديث له : « ان للشمس ملكا
ينضحها بالماء ، ولولا ذلك لاشتعلت الأرض » .

ودلالة هذا الكلام على كون الشمس بنفسها ذات حرارة ونارية واضحة
ولكن البحث يتوجه الى كشف الماء الذي ينضح به الشمس .

ولى في هذا المقام ثلاثة اوجه :

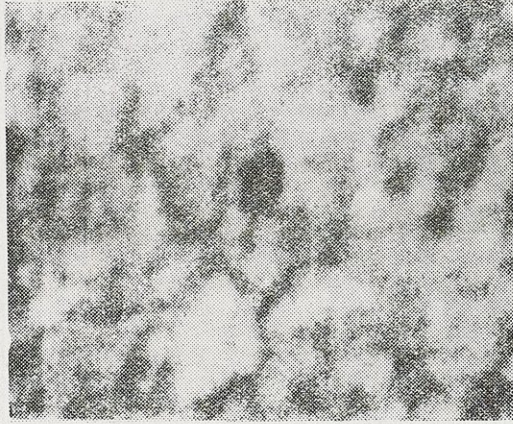
(الأول) ان اكتشاف الاسرار العظيمة من كلمات شريعتنا القويمية
يعدنا بانضاح هذه المشاكل وظهور مهام الحقائق منها في الدور المستقبل .

(الثاني) يجوز ان ينظر ظاهر الخبر الى بث الله تعالى ذرات مائية
ورطوبات رشيّة في كرتنا الهوائية لتنقيص حر الأشعة الشمسية الساطعة على

ارضنا ، سواء كانت الرطوبات من تبخير البحار او من نفس كرة البخار ،
ولولا ذلك لاحتزقت الأرض واهلها - كما مر فى المقالة الرابعة .

(الثالث) احتمال ايضاً ان يكون ذلك اشارة الى الأمطار الشمسية
التي ادعوها فى دورنا الجديد ، ونقل عنهم الفيلسوف نجم الملك الطهرانى فى
تقويم سنة ١٣١٦ هـ ما خلاصة معناه :

« ان من الحوادث الشمسية امطارها ، وقد وجدوا فى ناحية من
الصوب الغربى للشمس فى سعة ثلاثين درجة زائدة سحابية الشكل متشعبة قد
اختلفت بعض اقواسها العالية والتي على ناحية ال (كرومسفر) منها كان على
شكل السهام والشعل عليه يقع سحابية نيرة كما ترى فى شكل (٩) وعلى طرفها



(ش ٩) يقع الشمس كما رؤيت فى ٢٥ يونيو الساعة ٤ والدقيقة ١٩

سنة ١٩٠٥ م

الشمالي شبه خطوط رقيقة وخطوط دقيقة او كصيب من السماء تصوب نحو السفلى ، وفي مركز القرص سحابة كثيفة طريفة الشكل نيرة يمتد منها الى السفلى مثل العروق الكثير تشبه نزول الغيث ، وينزل عن يمينها الى ناحية القرص مثل شدات الخيوط النيرة كاللمطر المورب في نزوله بسبب اختلاف الريح .

« وقد حسبوا سرعة نزوله في كل ثانية مائة وخمسين فرسخا ، وظهر في ذلك التاريخ حسب الاتفاق في اروبا شفق عظيم جداً ، وشاهدوا بعد ذلك امطاراً كثيرة شمسية ورأوا بعد شهرين سحابة كثيفة منيراً على الشمس ومن اسفله شبه خطوط وعروق كالخيوط المنحنية » - انتهى .

والحكم منهم بكون ذلك مطراً في الحقيقة حدسى ولم يبلغ بعد مبلغ الجزم به ، الا انه لو صح وثبت انطبق عليه في الظاهر قوله (ع) : « ان للشمس ملكاً ينضحها بالماء » اذ المطر الحقيقي الحامل لرطوبة وماء كاسر قطعاً لسورة نيران الأشعة المنبجثة والحرارات المنبثة ، ولو كان ذلك المطر ناشئاً من نفس الشمس وانجرتها التي ادعوا تصاعدها منها والغازات المتوفرة في ذلك الحجم . فاتضح والله الحمد من هذه المقالات ان النبي (ص) واوصيائه القديسين نطقوا بهذه الآراء المستحدثة في هذا المقام ايضاً كسائر المقامات . فحققوا يا اخوتي نظر الاعتبار في كلمات هؤلاء القديسين الاخير لعلكم تفوزون بالفوائد العظيمة انفعها لكم الايمان بالشرعية القويمة .

المبحث الثانى

(فى قطر الشمس وكمية جسامتها)

قد اختلف الاقدمون فى قطر الشمس وكمية جسامتها. فزعم (هيرقليس) الفيلسوف ان جرم الشمس لا يزيد عما نشاهده بالابصار، وزعم (انكسفوراس) ان جرمها اكبر من بلاد المورة .

كذا فى هامش مشهد الكائنات ص ٨٣ ، وفيه ايضاً ان (طاليس) الفيلسوف زعم ان جرم الشمس مضىء بنفسه وقدره مثل جرم القمر مائة وعشرين مرة - انتهى .

والمعلوم باليقين لدى كل عاقل مرتبط بالعلوم الفلكية هو ان الشمس اكبر جرماً من ارضنا بكثير .

واما تحديد ذلك الكثير تحقيقاً فلا يستريح من شكوك ونقوض كتحديد سائر الأجرام السماوية ، ولكن المعروف من مذهب بطليموس واتباعه ان جرم الشمس اكبر من جرم الأرض بمائة وستين مرة . وذهب الفيلسوف غياث الدين الكاشانى الى ان الشمس اكبر من ارضنا بثلاثمائة مرة . والأرض تحديدها موضع وفاق بين المحققين ، ولم يذكر احد قط معشار العشر مما ذهب اليه المتأخرون عن الألف الهجرى ، لاتفاقهم ظاهراً على ان شمسنا هذه اكبر من ارضنا بأكثر من ألف ألف مرة ، حتى ان بعضهم

دقق النظر فقال : أنها أكبر من أرضنا ١٤٠٤٠٩٠ مرة ، فأين الثريا وأين الثرى ،
والتفاوت بين هذا الرأى ورأى بطليموس كالتفاوت بين رأيه ورأى هيرقلس

* * *

وأما الديانة الإسلامية فقد ظهرت في عصر ومصر مظهرين لا يحسبناؤهما
بنور علم ولا بكشف حقيقة ولم يروا بل ولم يشعروا بآلة فلكية ، ومع ذلك
أعلنت هذه الديانة المقدسة رأياً في قدر جرم الشمس يوافق رأى المتأخرين
أشد الموافقة ، فان علياً وصى نبينا الأُمي ﷺ عندما سأله الشامي عن طول
الشمس وعرضها قال ﷺ : « تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ » .

وهذا الخبر الشريف رواه جمع من أعظم المحدثين كالشيخ الصدوق في
العلل والعيون والعلامة المجلسي في البحار والسيد الداماد في بعض كتبه .
وفي تاريخ علم الفلك للسنينور الطلياني : حكى المطهر بن الطاهر المقدسي
من علماء القرن الرابع في كتاب البدء والتاريخ وأرويه بحروفه قال : روى أبو
حذيفة عن عطائه قال : بلغني أنه قال : الشمس والقمر طولها وعرضهما تسعمائة
فرسخ في تسعمائة فرسخ . قال الضحاك ، فحسبناه فوجدناه تسعة آلاف فرسخ
والشمس أعظم من القمر - انتهى .

أقول : في آخر مقاله شاهد على ما سأقوله من أن هذا التحديد ينطبق على
الشمس بكيفية وعلى القمر بكيفية أخرى حتى يصح قوله أخيراً : « والشمس
أعظم من القمر » .

وقال السنينور في هامشه ما لفظه : « ما فهم معنى قول الضحاك هذا ، لأن
محصول ضرب تسعمائة في مثلها هي ٨١٠٠٠٠ فالواضح أنه ليس له علاقة بما
يسبقه » .

ثم لا يخفى أن الكرة لا يفترق طولها عن عرضها لتساوى أبعادها الثلاث

فيكون الطول كالعرض كناية عن القطر ، ويقع الخبر العلوى موقع ان يقال :
حيط الشمس تسعمائة في تسعمائة ، كما هو متضح .

وهذا الكلام يدل بدلالته المطابقة على مقدار محيط الشمس - اعنى نتيجة ضرب تسعمائة في تسعمائة .

ويدل أيضاً بدلالته الانزامية على ان كرة الشمس مستديرة تامة على خلاف السيارات التى فى جانبى قطبيها شبه تسطيح ، وانما يستفاد هذا المعنى من الخبر من جهة انه لم يفرق بين الطول وبين العرض فى كرة الشمس أبداً ، بل ذكر قدراً واحداً لطول الشمس ولعرضها .

وهذان الأمران اللذان افادهما ظاهر هذا الخبر يوافقان الآراء الجديدة أى موافقة :

(أما الثانى) فقد قال فانديك فى النقش فى الحجر فى ذكر الشمس : وهى كرة تامة لادليل على تسطيحها من ناحية قطبيها - انتهى (١) .

(وأما الأول) أى كون محيط كرة الشمس تسعمائة فرسخ فى تسعمائة فرسخ

(١) لكن جاء فى المقتطف ج ٣٩ ص ٦١٣ : انه ظهر من رصد الشمس وتصويرها مدة السنوات الخمس الماضية من سنة ١٩٠٥ الى سنة ١٩٠٩ م ان قرصها غير مستدير استدارة تامة ، أى انها ليست كرة متساوية الأقطار ، بل ان قطرها القطبي اطول من قطرها الاستوائى ، والفرق بينهما يتغير من سنة الى اخرى ... الى ان قال : ويظهر من ذلك ان القطر القطبي كان دائماً أطول من القطر الاستوائى وان زيادته عليه تزايدت رويداً رويداً الى ان بلغت ٣١ بالمائة من الثانية ثم نقصت رويداً رويداً وقد بلغ الفرق سنة ١٩١٠ خمسة فى المائة من الثانية ، فمن المحتمل ان شكل جرم الشمس يتغير ، وان لتغيره هذا علاقة بظهور الكلف .

فقد قال فاندريك وغيره ان محيطها ٥٠٠ ٧٨٤ ٢ بالأميال الانجليزية وذلك ٤٧٠ ٩٢٨ أى تسعمائة ألف فرسخ وثمانية وعشرون ألف فرسخ واربعمائة وسبعين فرسخاً تقريباً بالفراسخ الانجليزية .

وهذا التطبيق ينطبق عليه الخبر المتقدم انطباقاً واضحاً ، فان الامام عليه السلام قدر محيط الشمس بنتيجة ضرب تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ ، أى ٨١٠٠٠٠ أى ثمانمائة ألف فرسخ وعشرة آلاف فرسخ ، فينقص عن تحديد القوم بمائة ألف فرسخ وشيء ، من جهة ان الفرسخ الواقع في كلام علي عليه السلام هو الفرسخ الاسلامي وهو اكثر من الفرسخ الانجليزي بكثير ، بحيث لو حسبنا زيادته على الانجليزي بدقة وأضفناها على ٨١٠٠٠٠ لكان عين تحديد فاندريك أو قريباً منه ، ولو حصل تفاوت جزئى جاز التسامح فيه من الامام عليه السلام أو من القوم فان هذه التحديدات منهم تقريرية غير تحقيقية .

ولعمرك ان تحديد جسامة الشمس لوصح في نفس الأمر - كما يدعيه المعاصرون - لم يبق للمنصف عذر في ترك الايمان بهذا الوصى عليه السلام الخبر بهذا التحديد قبل اليرم بأكثر من ألف سنة ، حيث لم يكن في العالم طريق حسى ولا حدسى يتوصل به الى هذه الحقيقة غير الانتساب الى الوحي وارتباط نفسه القدسية بالمبادئ العلوية الذى لا يتفق الا لخاصة أولياء الله تعالى .

ولو كنت في ريب من الكتب الحافظة لهذه الآثار فعليك لازالة ريبك بمراجعة مانشرته في المقدمة الأولى من صدر هذا الكتاب مع تدقيق النظر فيه

* * *

فان قلت : قد سأل السائل في هذا الخبر عن طول الشمس والقمر وعرضهما معاً في سؤال واحد ، واجاب الوصى عليه السلام عن التحديد معاً بقوله : « تسعمائة في تسعمائة » ويتبادر من ذلك مساوات الشمس والقمر في الطول والعرض

ولو ازمهما ومن البديهي ان الشمس أعظم من القمر فكيف يستقيم التحديد فيهما بضرب واحد؟

قلت : مضافاً إلى ان بعض النسخ لم تذكر الا الشمس فقط مع ذلك يستقيم التحديد فيهما بالضرب الواحد على المباني المستحدثة مع ذكر القمر ايضاً .

وبيان ذلك : ان الطول والعرض في الكرة - كما مر - كناية عن المحيط فكأنه (ع) قال : محيط الشمس والقمر تسهانة في تسعائة .

ولا يخفى ان لفظ (المحيط) ومعناه يمان السطح المحيط بالكرة والدائرة المحيطة بها ، فاذا كان المحيط معنى عاماً جامعاً لفرديه جاز ان يطلق الامام لفظ المحيط ويريد معناه العام - اعني ما يحيط بالجسم - سواء كان سطحاً يحيط بها او خطاً محيطاً بها كالدائرة ، فيصح قوله (ع) : محيط الشمس والقمر تسعائة في تسعائة ، بناءً على كون المحيط في الشمس بمعنى الدائرة المحيطة بها ، وفي القمر بمعنى السطح المحيط به ، فيطابق تحديدهات القوم .

اما كون محيط الشمس بمعنى الدائرة المحيطة بها فقد تبين انه تسهانة فرسخ في تسعائة فرسخ . واما كون محيط القمر بمعنى السطح المحيط به فيقرب ايضاً من ذلك ، حيث ان قطر القمر عندهم يقرب من ألف ميل ، فتكون الدائرة المحيطة به ستة آلاف ميل - على قانون نسبة القطر إلى المحيط وانها كنسبة السبعة إلى اثنين وعشرين .

واذا كانت المساحة على كل كرة هي مضروب ربع القطر في الدائرة المحيطة بها يكون سطح القمر ١٠٠.٠٠٠ ٣٠ ميلاً ، أى ألف ألف فرسخاً انجليزياً وشيئاً ، فينقص عنه مضروب تسعائة فرسخ في تسعائة فرسخ اعني ٨١٠.٠٠٠ بثلاثمائة ألف فرسخ ، وبعد تتميم نقص الفراسخ

الانجليزية حتى تطابق الفراسخ الاسلامية يتقارب العدداً وينطبق تحديد الوصى (ع) لسطح القمر على تحديد القوم بلا تفاوت كثير ، فحقق النظر حيث ان المقام دقيق .

* * *

ثم اعلم ان هذا كله لا يعارض ما روى في البحار وجمع البحرين وتفسير القمي ونور الثقلين ونسخة الفقيه ابى الليث السمرقندي وغيرها مسنداً إلى علي امير المؤمنين (ع) انه حينما سألوه عن طول القمر وعرضه قال (ع) : « اربعون فرسخاً في اربعين فرسخاً » .

وبيان عدم المعارضة : ان الطول والعرض في الكرة لما كانا كنايةتين عن المحيط وكان المحيط عاماً للسطح المحيط والدائرة المحيطة اخذنا محيط القمر في كلامه الاول بمعنى السطح المحيط فيكون تسعة في تسعة ، واخذنا محيط القمر في كلامه الثاني بمعنى الدائرة المحيطة فيكون اربعين . فيكون التحديدان معاً مطابقين لتحديدات القوم .

اما التحديد الاول فقد مر تطبيقه ، واما التحديد الثاني فلأن نتيجة ضرب الأربعين في الأربعين ألف وستة فرسخ اسلامي ، والدائرة المحيطة بالقمر عندهم تقرب من ألف فرسخ انجليزي ، وبعد اعتبار فضل الفرسخ الاسلامي على الفرسخ الانجليزي يتطابق العدداً أو يتقاربان .

المبحث الثالث

(في وزن جرم الشمس)

قد فصلنا سابقاً اختلاف الحكماء المتقدمين والمتأخرين في جواز ثبوت

الوزن لسكرات الأفلاك وما فيها وعدم جوازه ، وشرحنا ادلة القوم على امتناع ثبوت الوزن لسكرات العناصر وكرات الأفلاك والأجرام السماوية المركوزة فيها شرحا كافيا في الطائفة العاشرة من اخبار مسألة حقيقة السماوات فراجع البتة اذ لا نعيد كلامنا حذر التطويل مع وجوب الاطلاع عليه وتوقف اتضاح هذا المبحث على المراجعة والتدقيق فيه .

ونتيجة ذلك الكلام ان القدماء متفقون ظاهراً على ان الوزن مطلقاً - خفة كان او ثقلاً - منفي عن الفلسكيات ، فلا يعقل كون الفلك أو الشمس أو القمر أو النجوم خفيفاً أو ثقيلاً أو حاراً أو بارداً - كما سبق .

وايضاً الوزن مطلقاً منفي عن كرات العناصر ، فلا يعقل كون كرة الأرض أو كرة الماء أو كرة الهواء أو كرة النار خفيفة أو ثقيلة . نعم اجزاء هذه الكرات الأربع تقبل الخفة والثقل بالنسبة إلى ميلها نحو مركزها ، واما اصل الكرة وبمجموع اجزائها فلا ميل فيه فلا وزن له كما شرحناه .

واما الحكماء المتأخرون عن الألف الهجري فقد اذعنوا بما استكشفه الفيلسوف (كبلر) ركن الهيئة الجديدة الألمانى في القرن السابع عشر المسيحي ، فيعتقدون حصول الخفة والثقل بشدة الانجذاب وضعفه ، فما قوى انجذابه لجسم ثقل وما ضعف خف ، فالحجر اكشف من الماء واشبهه بالأرض من حيث الأجزاء فيكون جذب الأرض للحجر اقوى وانجذابه اليه اشد فيكون الحجر اثقل من الماء ، والماء اشبه بالأرض من الهواء واكشف فيكون جذب الأرض للماء اقوى واشد ، فيصير الماء بذلك اقوى من الهواء ، وهكذا يثقل كل جسم بشدة انجذابه لجسم آخر ويخف بضعف انجذابه ، فمدشاً الثقل قوة الانجذاب ومدشاً الخفة ضعفه .

واما منشأ الانجذاب بنفسه فقد يكون كبير الجسم الجاذب حجواً يكون

كان العلماء من الأواخر والقدماء يتلون في القرآن قوله تعالى : ﴿ هو الذى خلق الموت والحياة ﴾ (١) ولا يرح خاطرهم أن الموت امر عدى كيف يتعلق به خلق الله تعالى ؟ حتى اخذت الآراء الجديدة تميل الى انه صفة وجودية كالحياة ، واعتضدوا بأدلة وكشفيات متينة .

ولمذكر ما نحفظه عن الامام الرابع على بن الحسين السبط عليه السلام ، فانه قال فى مناجاته وتسبيحه لله تعالى : « سبحانك تعلم وزن السماوات ، سبحانك تعلم وزن الارضين ، سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر ، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور ، سبحانك تعلم وزن الفء والهواء ، سبحانك تعلم وزن الريح كم هى من مثقال ذرة » .

وقد ذكرنا الكتب المنقولة منها هذا الدعاء والتسبيح فى آخر مسألة حقيقة السماوات .

المبحث الرابع

(فى دوام كرة الشمس أو زوالها وفنائها)

قد اختلف الحكماء العظام فى هذا المقام حديثاً وقديماً . أما المتقدمون فالمعروف من مذهبهم هو ان الأفلاك مع ما حوته من الأجرام وغيرها باقية سرمدية فعالة أبدية ومتحركة دواماً لا يكاد يعتريها فتور ولا اختلال ولا يقرب من حماها الفساد فضلاً عن الزوال ، وأقوالهم فى هذا الباب لا يؤدى نقلها غير الاطناب ، وقد ذكرنا فى غرة مسألة الفلك قول

الشيخ الرئيس ابن سينا : « ان الفلك مطلقاً لا يقبل خرقاً والتماً ولا كوناً ولا فساداً ولا زوالاً عن حيزه أبداً ولا تغييراً في صفته ، وكذلك الأجرام المركوزة فيه كالشمس والقمر والنجوم أجسام كروية من جنس جوهر الفلك الذي لا يتكون ولا يفسد » .

وقال أيضاً في الفصل الرابع من كتاب الشفا : « واتفقوا (يعني الحكماء) على انه ليس عنصر الفلك عنصراً للأجسام الكائنة الفاسدة » .

وقد اتبع الفلاسفة الأقدمين كثير من حكماء المسلمين كالشيخ الرئيس وغيره ، ولم يزل الجدل على ساق بين هؤلاء وبين علماء الدين من المسلمين ، والنزاع على قدم الى هذا العصر المبارك الذي اعتنق فيه الدين مع العلم الصحيح وجعلنا يمشيان كتفاً بكتف على ما يراه أرباب العلم الصحيح والدين الخالص الاسلامي .

* * *

وأما الحكماء الغربيون المتأخرون عن الألف الهجري فمن بعد مارفضوا التقليد في الفلسفة واجتهدوا في استكشاف الحقائق الكونية بالأدوات الدقيقة والبراهين الرصينة ذهبوا الى ان الأجرام الكونية بأسرها شمساً كانت أو قمرأ نجمة كانت أو أرضاً أو غيرها فهي حادثة بالذات والزمان كائنة وفاسدة ، أى كان زمان لم يكن فيه شمسنا ولا قمرنا ولا أرضنا ولا الأنجم السيارة بل ولا السكواكب الثابتة ، ثم كانت وحدثت بعد ان لم تكن قبل اليوم بملايين ملايين من السنين ، وسيأتى عليها زمان الفناء ، فلا تكون شمسنا ولا اقارها ولا أنجمها بعد ان كانت - فراجع رأيهم في باب السدامات ومبدأ الخلقة - فهم وان اختلفوا في كيفية مبدأ الخلقة على أوجه كثيرة لكنهم لم يختلفوا في أصل حدوث هذه الأجرام وتكونها بعد العدم ، ولا في أصل زوالها وفنائها بعد الكون

خلافاً للمتقدمين .

جاء فى المقتطف سنة ١٩٠٥ م ص ٧٠٥ فى خلاصة أفكار الفلاسفة فى القرن التاسع عشر : « أما الشمس فجسم من غاز حام ، وسبب حرارتها تقلصها بفعل الجاذبية ، وهى تشع الحرارة على مقدار معلوم محدود ، ولما كان حجمها ومقدار مادتها معروفين فقد قدروا ان حرارتها تنفذ بعد عشرة ملايين سنة ، فتظلم حينئذ كأنها لم تكن مشرقة وتبرد كأنها لم تكن اتون نار آكلة ، مالم يطر أعليها طارئ يحدد حرارتها ويبعث فيها قوة شبابها الماضى ويزيد حجمها فتعيد تاريخها الأول . » ثم ذكر اصطدام الكواكب وقال : « ولا يبعد ان ينال النظام الشمسى مثل ذلك ، ولكن مما يحمل على الاطمئنان وسكون البال انه لو قدر اصطدامنا بأقرب جار لنظامنا وبقيت سرعتنا على ماهى عليه الآن - اعنى ١٢ ميلا فى الثانية - لاقتضى لنا خمسون ألف سنة قبل الوصول اليه » .

وفيه ص ٣١٢ سنة ٨٩٠ : « ان الشمس قد بلغت درجة من البرد زال فيها اكثر الهيدروجين من جوها وبقى فيها الكليسيوم والألومنيوم والحديد المنغنيس والنيكل ، وسيأتى وقت يزيد الكربون فى جوها ويمتص نورها وحرها فتظلم وتبرد كالارض » .

وقد استخرج هؤلاء المتأخرون من آثار الارض ورسوم أطباقها اكثر احوالها الماضية والآتية ، وأوان خلقها وانعقادها وزمان كونها وفسادها وانقباضها وتقلصها وانبساطها وتقلصها ، وكشفوا عن حال كل قطعة من أرضنا وبقعة متى كانت معمورة ، وعينوا اعمار الجبال وما اعتراها من الأحوال ، وشرحوا النبات مم كان ومتى استبان ومتى تكون الحيوان ومتى تولد الانسان ، واليك علوم الجيولوجيا والبيولوجيا وغيرهما (١) .

(١) وقد أثبتوا أن جوف الأرض مائع ملتهب كما ورد فى أحاديث كثيرة -

واستعملوا من موازين الحرارة والنور وتفاوت حر الشمس ونورها بحسب الدهور بسل بحسب الأعوام والشهور واحوال الشمس وعصر خمود ناراها ونفوذ نورها وغير ذلك مما سبق ويأتى .
فالحدس وان كان له الدخل الكامل فى استخراج هذه المسائل ولكن الحدس - كما لا يخفى عليك - لا يقصر عن الوجدان اذا اقترن بالشواهد الظاهرة والمقربات الوافرة .

* * *

واما الشريعة الاسلامية فقد طبق الآفاق نداؤها وتصريحها بحدوث العالم ووجود جميع اجزائه بعد العدم وفاقاً للتأخرين وان الشمس والقمر لا يبقى نورهما ولا حرهما ولا شكلهما بسل ولا حقيقتهما ، وكذلك الارض والنجوم تنفس وتنفس وتنفس وتنفس وتنفس وتنفس وتنفس وتنفس ويعتريها الزوال والانتقال والفساد والاضمحلال - كما كانت اول مرة معدومة باطلة فاسدة متلاشية .

قال الله تعالى عند بيان احوال يوم القيامة : ﴿ اذا الشمس كورت ﴾ اى ذهب نورها وحرها ﴿ واذا النجوم انكدرت . واذا الجبال سيرت . واذا العشار عطلت . واذا الوحوش حشرت . واذا البحار سجرت ﴾ (١)
وقال تعالى : ﴿ اذا السماء انفطرت . واذا الكواكب انتثرت . واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت . علمت نفس ما قدمت واخرت ﴾ (٢)
— عن النبي ﷺ انه قال : « ان اسفل الارضين السبع سجين ، ويعذب فيها ارواح المنافقين » .

(١) سورة التكوين آية ١ - ٦ .

(٢) سورة الانفطار آية ١ - ٥ .

- وقال تعالى : ﴿ وإذا الأرض مدت . وألقت ما فيها وتخلت ﴾ (١)
- وقال تعالى : ﴿ وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾ (٢) .
- وقال تعالى : ﴿ يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب ﴾ (٣) .
- وقال تعالى : ﴿ يوم تمور السماء مرراً ﴾ (٤) .
- وقال تعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ (٥) .
- وقال تعالى : ﴿ وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ﴾ (٦) .
- وقال تعالى : ﴿ يوم تكون السماء كالمهل ﴾ (٧) .
- وقال تعالى : ﴿ وإذا السماء انشقت . وأذنت لربها وحقت ﴾ (٨) .
- وهكذا غيرها من الآيات البينات من لدن حكيم عليم .
- اما الاخبار المنقولة عن النبي واوصيائه الأطهار - عليهم السلام -
- فتمتوا في ان العالم بجميع اجزائه من شمس وقر ونجم وحجر حادث بعد
- العدم واجنبي عن مقام القدم ومنعدم بعد الایجاد وفاسد بعد الیكون كما كان
- بعد الفساد ، وان الله تعالى قد كان إذ لم يكن شيء . ويكون كما كان حين لا يكون لشيء .

(١) سورة الانشقاق آية ٣ - ٤ .

(٢) سورة القارعة آية ٥ .

(٣) سورة الانبياء آية ١٠٤ .

(٤) سورة الطور آية ٩ .

(٥) سور القمر آية ١ .

(٦) سورة الحاقة آية ١٦ .

(٧) سورة المعارج آية ٨ .

(٨) سورة الانشقاق آية ١ - ٢ .

وكم نادى اخبار مبدأ الحلقة ان الله تعالى فعل كذا حين لا شمس مضئية ولا قمر منير ولا سماء ولا ارض ولا كذا ولا كذا ، وكم قرع الاسماع ما ورد في شرح القيامة ويوم المهاد والميعاد . ومن شاء التفصيل فليراجع كتاب البحار والكافي ونهج البلاغة وغيرها .

ولا تزعم اختصاص هذه الأحوال والأحوال بالأرض والسماء والأنجم والنيرين ، بل تعرض للكواكب الثابتة والأنجم السائرة والكرات بأسرها لعموم قوله تعالى : ﴿ وإذا النجوم انكدرت . وإذا الكواكب انتثرت ﴾ وهكذا بقية الآيات التي مر ذكرها .
وهذه الأحكام من شريعتنا المقدسة موافقة لتصريحات الفلكيين في هذا الدور الجديد :

قال فاندريك المحقق الأمريكى فى باب السدام من كتاب النقش فى الحجر كغيره : وكل جرم مضئ لابد من نفوذ حرارته ونوره على مرور الزمان ان كان نار خمة أو شمساً أو نجماً فى قبة السماء .

وقال ايضاً فى ارواء الظلماء : وإذا قل نور نجم بحيث تظهر فى طيفه اشعة منفصلة (اى انفصل بين ألوانه بفسحات مظلمة قيل ان طيفه متقطع) فلا يعداد ذاك شمساً ، وربما كان اقرب الى كونه سديماً ، والنجوم على درجات متفاوتة من هذا القبيل ، اعنى ان بعضها على اشد قوتها ونورها وحرارتها وبعضها اخذ فى التبرد وبعضها صار فى حالة الهرم والشيخوخة .

ثم قال بعد ذكر ما هو من القسم الأول كالشعرى اليمانية : القسم الثانى الذى نجومه تشبه شمسنا التى قد جاوزت عز عمرها واخذت نحو الانحطاط والشيخوخة والهرم مثل العيوق والدب الأكبر . الى ان قال : والبعض كالشعرى الشامية ونسر الطائر ونجم القطب متوسطة بين القسمين - انتهى

وقد لاح من هذا الكلام ان شمسنا هذه قد انقرض عصر شبابها واقترب زوالها ونهوض قيامتها واختلال نظامها كما قال الله تعالى : ﴿ واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا ياويلنا قد كسفنا غفلة من هذا بل كننا ظالمين ﴾ (١) .

المبحث الخامس

(في وحدة الشمس وتعددتها)

يقول مؤلف هذا الكتاب هبة الدين الحسيني الشهرستاني : لم يختلف من المتقدمين فاضلان بل ولا جاهلان في ان الشمس واحدة متفردة في عالم الوجود ، حتى اذا شأوا التمثيل بأمر كل ينحصر بفردة في الوجود ذكروا الشمس مثالا له ، فان كليها - اعني الكوكب المضيء الذي ينسخ طلوعه وجود الليل - منحصر المصداق لدى خارج الأذهان في شمسنا هذه ، ولم نعهد احداً جوز وجود شمس اخرى غير هذه الشمس ، فان الطريق الى ادراكه اما الحس او العقل :

(اما الحس) فكليل غير قابل ، اذ البصر لا يبصر غير الأنجم والكواكب من غير تفرقة بين ما هو نوره من ذاته وما يكتسب الضوء من غيره ، ولا يحس ايضا بكرات تدور حول الكواكب والنجوم ولا بعوالم ونظامات غير نظامنا وعالمنا ، فادراك عالم آخر او شمس اخرى امر تقوم به العقول وتهجز عنه الأَبصار المجردة والحواس العارية .

(وأما العقل) فلم يكن عندهم مقتضياً لوجود شمس أخرى أو عالم آخر بل كان مانعاً عن اعتقاده عالم آخر بنظام آخر في دائرة الوجود الخارجي ، فكان العالم لديهم أيضاً كائناً منحصراً بفردة المشهود - اعنى الكرة الواحدة - مركزها مقعر الأرض ومحيطها محذب فلك الأفلاك .

غاية الأمر ان هذه الكرة الواحدة كانت تنقسم لديهم الى ثلاث عشر كرة منضدة شبيهة بطبقات البصل ، تسعة منها أفلاك وأربعة منها كرات العناصر الأربع وكل كرة من المجموع يحيط بالسفلى من كل جهة كما مضى في الشكل الأول في الصفحة ٤٣ ، كما انه مر هذا الكلام في صدر المقدمة السادسة من صدر الكتاب وسيأتى أيضاً .

وكانوا يعتقدون دخول الثوابت بأجمعها في عالمنا وفي نظام شمسنا وانها بتماها دائرة حول أرضنا في كل أربعة وعشرين ساعة مرة ، كما يدور قمرنا حول الأرض في كل شهر مرة .

وكانوا يعتقدون احاطة الفلك الاطلسى بفلك الثوابت وانه المدير للجميع في اليوم دورة يحصل منها الليل والنهار ، وان ثخن الفلك الاطلسى مستوعب لتمام عالم الوجود ، وما كانوا يقنعون بالاسكوت عما بعد الاطلسى والتترس بكلمة (لاندري) بل كانوا يمتنعون وجود عالم غير عالمنا ، كما صرحوا بذلك في مباحث المعاد من كتب الحكمة .

والخلاصة انهم ماجوزوا وجود عالم آخر حتى يجوزوا فيه وجود شمس غير شمسنا أو قمر غير قمرنا أو بشر غيرنا ، حتى انهم كانوا يعتقدون استئضاء الثوابت والسيارات بأسرها من نور شمسنا هذه والافهى مظلمة بذواتها وشمسنا المفیضة عليها انوارها .

نعم ظن الشيخ الرئيس ابن سينا ان الكواكب الثابتة منيرة بأنفسها

ولكن لا بعنوان كونها شمساً ، فان مجرد كونها منيرة بذاتها لا يثبت لها في العرف والاصطلاح عنوان الشمسية بل يتوقف ذلك على كونها عظمة الجسم ذات نظام خاص وعالم مخصوص وسيارات وأقمار كما في عالم شمسنا .

والشيخ الرئيس كان ممن يعتقد رسوخ الثوابت في ثخن فلك البروج وان ليس لاحدها نظام أو عالم ، بل هي بأسرها تابعة وخاضعة لعالم أرضنا وشمسنا فهو أيضاً كان ممن يجزم بوحدة الشمس وانفرادها في عالم الوجود ، غاية الامر انه ظن اضاءة الثوابت بأنفسها كما كان يعتقد ذلك في الشهب أيضاً .

بل كان ظن الشيخ وكثير ممن تلاه ان السيارات أيضاً منيرة بأنفسها غير مستفيدة من الشمس كالقمر ، ومجرد ذلك لا يثبت عنوان الشمسية لها والا كان ماسوى الارض والقمر من الاجرام كلها شمساً لديه ، حتى السيارات والشهب ولا ريب في بطلانه .

والحاصل ان المتقدمين مطلقاً لم يذهب منهم ذاهب الى تعدد الشمس ولا الى جواز كثرتها الى هذه العصور الاخيرة التي تكاملت فيه الهيئة المستحدثة واستكشف علمائها كثرة الشمس من طرق قديمة حادثة من أدوات حل النور والنظارات ونحوها ، بل اكتشفوا درجات أنوار الثوابت وما فيها من الاجزاء المنيرة والعناصر المثيرة للنور وقاسوا أبعادها ومقادير كراتها .

فأنتجت آراؤهم ان الكواكب الثابتة هي بأسرها شمس منيرة بذاتها حامية بنفسها ساجدة في أعماق الفضاء الواسع سبجاً ولا نخده من كثرة البعد الشاسع وليس شيء منها منوطاً بعالمنا ولا مربوطاً بنظام شمسنا ، ولكل واحد منها نظام خاص وعالم مخصوص مؤلف من أراض سيارة وأقمار دوارة ، وهي في مركز نظامها كشمسنا في عالمنا ، ولا زالت هذه الآراء في نمو وانتشار حتى أصبح اليوم تعدد الشمس كالشمس في وسط النهار .

واما الشريعة الاسلامية فقد سبقت المتأخرين طراً في اظهار هذا
الرأى الجليل بأكثر من ألف سنة ، فأظهرت في موارد عديدة تعدد الشمس
والأقار في عالم الوجود بالتلويح تارة وبالتصريح اخرى ، كما سيتلى عليك .
ولكن هذا سبق من امناء الدين الحنيف إذ كان حاصله بأقوال مجردة
عن البراهين والأدلة الحسية المشاهدة ، وكانت براهين ادلة المسائل والفنون
والمباني المسلمة في تلك القرون مخالفة لظواهر اقواله الحققة لاجرم اخذ العلماء
والحكماء من مسلمي تلك العصور يؤلون مقالات الشريعة ، ويظهرون للناس
ان المقصود من هذه الظواهر والأقوال معان خفية غير المعنى الحقيقية ،
فصرخوا بتأويلاتهم البعيدة وجه الكلام عن مراده ومرماه وبدلوا حقائقه
تبديلاً ، ونشكر الله تعالى إذ أظهر الحقائق ونشر العلوم الصحيحة في عصرنا
هذافاً ممكننا استفادة المعانى الحقيقية من ظواهر مقالات شريعتنا القدسية :

(منها) ما رواه الشيخ الصفار المتوفى سنة ٢٩٠ في كتاب بصائر
الدرجات والمفيد في منتخب البصائر وفي روضة الوافى وفي المجلد السابع
والرابع عشر من كتاب البحار للمجلسي المتوفى سنة ١١١١ هـ بسند قوى إلى
الامام السادس ابى عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال : « أن من
وراء عين شمسكم هذه اربعين عين شمس فيها خلق كثير ، وان من وراء
عين قمركم هذا اربعين قرأ فيها خلق كثير لا يدرون ان الله تعالى خلق آدم ام
لم يخلقه » (١) .

(١) وروى في بصائر الدرجات ايضاً بسنده عن الامام الباقر (ع) انه
قال : « ان من وراء شمسكم هذه اربعين عين شمس ما بين شمس إلى شمس
اربعون عاماً فيها خلق كثير ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم ام لم يخلقه ، وان
من وراء قمركم هذا اربعين قرأ ما بين قمر إلى قمر مسيرة اربعين يوماً فيها خلق -

وهذا الخبر الشريف كما تراه صريح في وجود شمس حسية خارج عالمنا ومن وراء نظام شمسنا كما يراه المتأخرون . ولا ينقضى عجبى من علمائنا المتقدمين اذ كانوا يؤلون هذه الشمس الى معان وهمية في عالم الخيال .

مع ان الوصى (ع) قد اكد كلامه بما لا ينبغي معه التأويل من اشارته الى الجرم المحسوس و اضافته الى مخاطبين وتكرير لفظ عين فقال : « من وراء عين شمسكم هذه ، فكيف يسوغ التأويل ؟

نعم نعذر القدماء بأن ما ذهبوا اليه كان مبالغ عليهم في تلك الاعصار فما يصنع من لم يشم نفحة من الآراء الحديثة ولم يحوز كثيراً من مباني الفلسفة الجديدة .

ولو تركوا شرح هذه الاخبار وفرضوا إظهار اسرارها العظيمة الى اواخر العصور لكان ذلك احوط لأمرهم وأولى .

وقوله **عَلَيْكُمْ** : « اربعين عين شمس » احتمل في هذا التعداد وجوها من القول :

(احدها) أن لفظة الأربعة والأربعين والسبعة والسبعين والمائة وخمسة والالف ونحوها من الأعداد الشائعة كثيراً ما تأتي بها العرب لبيان الكثرة فقط والمبالغة في التعداد لا لتعيين المحدود وتشخيص كميته ، فلا ينافي تجاوز الشمس حد الالف في الواقع ، مع توصيفها بالأربعين ونحوه في هذا الخبر .

(وثانيها) وجود المانع عند الخطاب من الترقى في العدد مثل كون المخاطب فاقد التحمل والطاقة لاستماع اكثر من ذلك ، ولذلك قد ورد في

- كثير لا يدرون أن الله تعالى خلق آدم ام لم يخلقه .

اقول : التعبير عن فاصلة ما بين الشمس بالعام اشارة الى اكثريتها بعدها .

مورد آخر عدد الشمسس اثني عشر شمسا ، وورد من دون تشخيص العدد في مورد ثالث . ونفصل هذا الوجه في مسألة تعدد العوالم .
 (وثالثها) ان الشمسس عند بعض المتأخرين في مبدأ حالها مثل كتلة عظيمة وغازات حامية مجتمعة ، ثم يحدث فيها مبدأ انقباض وتقلص بسبب التبرد ومبدأ انبساط وتمدد بسبب الاشعاع ، فيحدث فيها من هذين المبدئين دوار على نفسها ، ويشتد بمضي دهور عليه حتى تصير الكتلة بالدوران الوضعي كرة ، ثم يحدث عليها من تبردها بمرور الدهور قشرة ثم تتصلب بمرور ملايين من السنين ، ثم تنفصل القشرة بمر الدهور الطوال ويتكون المنفصل كرة حامية تحوم حول امها في الدوار ويطرأ عليها ما طرأ على امها بمرور الأعصار ، وهكذا يمر عليها دهور لا يحصوها غير الرب جل وعلا الى ان تصلح ظهور السكرات المنفصلة للتعيش والحياة وتكون الجاد والنبات فتكون الكتلة السدامية الاولى عند ذلك شمسا ذات نظام وعالم وحيوان وكيمان .

وعلى هذه الآراء يصح ان تكون الثوابت مع كثرتها لا يتصف شيء منها بصفة كونه شمسا ذات عالم ونظام وخالق واناس غير جملة معدودة تبلغ الأربعين مثلاً .

في الشمس والقمر كائنات حية

واما قوله ﷺ : « ان في الشمس والقمر خلق كثير » فظاهره يخالف ما اشتهر عند اواخر المتأخرين من ان الشمس والقمر يفقدان لوازم العيش

من وجود الهواء واعتدال الحر والمياه القابلة ونحوها ، فكيف يوجد الجوى فيها ويبقى ؟

الا ان يراد بقوله (عليه السلام) : « في الشمس » عالم الشمس بالمجاز وبحذف المضاف أى وفي عالم كل شمس خلق كثير (١) .

نعم ذهب الاستاذان (هرشل) كاشف نجمة ارانوس و (اراغو) وجماعة ممن تأخر عنهما الى ان الاجرام بأسرها مكونة وحاملة للخلق حتى الاقمار والشموس ، غاية الامر ان الكائن في كل جرم خلقه الله تعالى على حسب استعداد موطنه مثل كائنات حية تعيش في النار كـ (السندل) على ما نقل (٢)

(١) هذا التوجيه جيد وصحيح في بادىء النظر ، ولكن ماذا نصنع مع الخبر المذكور اذ شارك القمر في هذا الحكم ولا يمكننا اطلاق هذا الترجيح فيه وتقدير مضاف محذوف فيه بأن يقال : « في عالم كل قمر خلق كثير » لان القمر ليس له عالم ونظام خاص به وانما هو كرة واحدة برأسها وعلى كل حال الاحسن ان نأخذ بظاهر الخبر على ما هو عليه ونتبع فيه رأى هرشل وتابعيه ونقول : ان في كل كرة من الكرات - شمسا كانت أم قرأ أم غيرهما - كائنات حية لكنها تختلف حسب اختلاف الاستعداد والموطن . وجاء في خبر آخر « ان في النجوم مدائن كمدائنكم » وطبعي ان وجود المدائن في النجوم متفرع على وجود كائنات حية ذات شعور وعقل حتى تحدث تلك المدائن وتصنعها - (ف) (٢) ولنعم ما قيل في هذه المناسبة :

أتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

نعم ان الهيكل الانساني عالم صغير ، وكلما يوجد في العالم الكبير - واعني به الدنيا - يوجد نموذج منه في العالم الصغير ، وهكذا يمكن ان يقال : ان الدنيا عالم صغير اذا قيست الى مجموع الكرات الكونية ، فما يوجد في تلك -

وظنى فى المقام ان الظاهر من الخبر المتصدر اثبات الخلق فى الشمس

— السكرات والعوالم يوجد منه أيضا فى أرضنا هذه .

فمثلا كما انه يوجد فى كل كرت حيوانات وكائنات حية لا تتمكن من البقاء والحياة فى كرات اخرى ، كحيوانات السكرة الشمسية التى لا تتمكن من الحياة فى القمر وبالعكس فى القمر حيوانات لا تكن من الحياة فى الشمس كذلك فى كل قطعة من الارض حيوانات لا تتمكن من الحياة فى قطعة اخرى ، كالكائنات الحية التى تعيش فى الماء ولا تعيش على وجه الارض أو تعيش فيها ولا تعيش فى النار .

وعلى هذا يمكن ان يقال : كما ان فى الأرض حيوانات لها حياتين تعيش فى الماء والارض على السواء كالبط أو تعيش فى النار والارض كالسمندل كذلك يمكن وجود احياء تعيش فى كرتين أو اكثر على السواء ، ومع قطع النظر عما يعتقده المتشرعون فى أوليائهم بما يأتى يوم يتزاور أهل أرضنا وكرتنا مع اولئك الاحياء الذين يعيشون فى السكرات الاخرى نتيجة للتقدم العلى الذى ساد العالم وطبق الآفاق والذى ننتظر ازدياده فى كل يوم وفى كل ساعة وحينذاك تنفتح أبواب الزهاب والاياب والسفريات المنظمة بين الارض وسائر العوالم الاخرى وتسهل الاقامة فى السكرات لسهولة تهيئة الاسباب واللوازم المناسبة للسكرة التى نريد الاقامة فيها .

فى ذلك اليوم يصبح العالم غير عالمنا فى هذا اليوم ، فان كل مدينة تكون حينذاك كبيت وكل مملكة كمدينة وكل بقعة من بقاع السكرات كواء من الاولوية وكل كرة بأسرها كمملكة كاملة ، وربما ترتبط السكرات مع بعضهن اكثر مما قلنا ويكون الامر الالهى شاملا لها على السواء ينهجون كلهم شرعا واحدا ولا يختلفون فى شىء أبداً .

من دون بيان حقيقته ولا اشارة الى انه حى أو عاقل او نبات او سائل فيكفيننا اذا وجود الكائنات الغازية والعناصر السائلة فى الشمس لانها من المخلوقات ايضاً ، فلا ينافى ظاهر الخبر رأى المتأخرين .

وأما القمر فظاهر الخبر يهذى الى وجود كائنات فيه حية ناطقة كالبحر لان الامام عليه السلام نفى العلم والدراية عنهم حيث قال : « لا يدرون ان الله تعالى خلق آدم أم لم يخلق » ونفى العلم بشىء خاص مشعر بأن ما نفيت عنه قابل لاصل العلم والدراية لكنه فقد علماً خاصاً ودراية بأمر جزئى ، فلم يقل الوصى عليه السلام انهم لا يدرون شيئاً حتى يكون نفياً لمطلق العلم بل قال عليه السلام : « لا يدرون خلق آدم » (١) ، فعلم من نفى العلم الخاص عنهم كونهم قابلين لاصل العلم ، فيثبت كونهم احياء ناطقين ، فيتردد الامر بين كونهم من نوع البشر أو من الملائكة المجردين وقد نقل لى بعض الفضلاء المعتمدين رواية عن أمير المؤمنين على بن طالب عليه السلام انه قال : « ان فى قمركم هذا خلقاً كادوا يحرقون » لكننى لم أظفر به فى كتاب كلها تفحصت عنه .

وزبدة الكلام ان الظواهر الشرعية لو نطقت بوجود كائنات حية فى القمر فلا ينبغي استبعاده بمعارضته للمشهور ، فان جمعاً من عظماء الفلاسفة المتأخرين خالفوا المشهور وذهبوا الى وجود الحيوان فى خصوص قمرنا ، مثل هوك وهرشل وغوك وكاسنى واراغو - على ما فى حدائق النجوم - وكستوك

- وانى لأسف جداً ان هذه المواضع خارجة عما نحن بصدده واخشى ان يقال : انك خرجت عن موضوع الكتاب ، والا فهذا أو ان الكتابة وهنا يليق بنا ان نكتب - (ف) .

(١) لا يخفى ان هذا الوصف يمكن ان يشمل الشمس ايضاً ولا يختص بالقمر فقط - (ف) .

وبيكرين وفلا مريون (١) وغيرهم ، ولهم شواهد وأدلة ربما ننقلها في مبحث القمر .

ولو صح التنبؤ به في الشريعة انتظرنا استكمال الأدوات وارتقاء الافكار في المستقبل لكشف هذه الحقيقة ، كما كشف استكمال أسباب هؤلاء كثير من الحقائق الخفية عند المتقدمين والغرائب التي تنبأ بها نبي الاسلام ﷺ وأوصياؤه - عليهم الصلاة والسلام .

(ومنها) ما وجدته في بعض أخبار البحار والدر المنشور للسيوطي من أبناء القرن التاسع الهجري : « ان الله تعالى استوى على العرش في يوم الجمعة في ثلاث ساعات ، فخلق في ساعة منها الشمس ... »

وهذا الاثر أيضاً صريح في تعدد الشمس في عالم الوجود ، وان كان الباقي من مضامين هذا الخبر وجمله مجملاً ومتشابها لا يفيدنا مدلولاً متضحاً ، وسيرفع العلم الصحيح حجاب اجماله في المستقبل ويحل رموزه كما حل كثيراً من الرموز وأظهر وأفرأ من الكنوز .

(ومنها) مارواه الطبرسي من أبناء القرن السادس الهجري في كتاب الاحتجاج والصفار في البصائر والمفيد المتوفى سنة ٤١٣ هـ في كتاب منتخب الاختصاص والمجلسي في السابع والرابع عشر من البحار بالأسانيد القوية عن الامام السادس جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) في حديث له مع العالم اليمني ، فقال (عليه السلام) في وصف الشمس : « انها اذا أمرت تقطع اثني عشر شمساً واثني عشر قرأ واثني عشر مشرقاً واثني عشر مغرباً واثني عشر بجرأ واثني عشر عالماً . »

(١) في المقتطف المجلد التاسع ص ٢٦٤ : ان فلا مريون يعتقد مسكونية القمر ، وحاول ان يصنع نظارة كاسرة نفقتها مليون فرنك ليرى بها سكان القمر ، ودعى محي المعارف ان يمدّه بالمال فحبط مسعاه .

وظاهر كون هذا الخبر صريحا في وجود شمس متعددة وعوالم متكثرة وأقمار غير هذا القمر ومشارق ومغارب لاحتوم شمسنا حولها ولا تقرب منها ، حيث لم يأمرها مديرها ومدبرها الحقيقي ، فلو أمرت حدث فيها حدود تلك الشمس والعوالم تجوز مدار هاتيك الأقار والبحار وتمر بتلك المشارق والمغارب .

ولا ينافي عقد الاثنى عشر ما ورد سابقاً بلفظ الأربعين ، حيث ذكرنا ان اختلاف اطوار البيان قد يكون بسبب اختلاف احوال السامعين ، فبعضهم لا يتحمل استماع تعدد الشمس اصلا ومنهم من يحتمل ويتحمل استماع تعددها إلى الثلاثة وبعضهم إلى العشرة ونحوها وبعضهم إلى الأربعين وبعضهم إلى أكثر حسب اختلاف مقادير القلوب ، كما نرى مثل ذلك فيمن مخاطبهم فلا ريب في اختلاف احوالهم وعقولهم بالنظر إلى استماع الغرائب .
وطريقة الكاملين من العقلاء ان يكلموا الناس على قدر عقولهم - كما امر به الدين الاسلامي الحنيف .

لطيفة

إذا كان العالم كناية عن نظام شمسي - كما هو المصطلح بين القدماء والمتأخرين - وكان المشرق والمغرب ايضاً كناية عنه قرب المجموع من الأربعين .

فكان الامام عليه السلام اراد بقوله : « اثني عشر شمسا واثني عشر قمرأ واثني عشر عالما » ستة وثلاثين نظاما شمسيا - والعلم عند الله تعالى .

تنبيه

يجوز ان يكون المراد من قول الامام عليه السلام : « ان الشمس غير مأمورة اليوم ليكنها اذا أمرت قطعت كذا وكذا ، الاشارة الى ما يعرض الشمس عند هلاكها وبوارها - على ما زعمه كثير من حكماء العصر - وهو : ان الشمس إذا نفذ نورها ونارها في قيامتها واختل نظامها وانتق صفاتها وخواصها ولت هائمة في الفضاء وتخلي عنها اراضيها وسياراتها وطلبت مركزاً لنفسها بعد ان كانت مركزاً بنفسها .

وربما انقلبت ارضا لا حدى الثوابت ، فهي بعد تخليها عن المركزية والتجرد في السير والسياحة في ببداء الفضاء قد تمر بالعوالم الكثيرة والنظامات الشمسية الوافرة ، فلا تتخذ منها موطناً الا العالم الذي قد اتصل جذبه بها والنظام الذي يدعوها بقوة الجذب الى موئيد داره والاستفادة من نوره وناره ، فتخضع هذه البائرة السائرة لضيائه ومراضيه وتنخرط في سلك اراضيه (ومنها) قوله تعالى : ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل

فيها سراجا ﴾ (١)

اقول : قرأ المشهور السراج في هذه الآية الشريفة مفردة ، اي ﴿ سراجا ﴾ بمعنى المصباح ، فيكون اشارة الى الشمس المبصرة . وقد نقل المفسرون قراءتها بضم السين والراء ايضا ، فيكون بمعنى المصابيح . وبناءً على هذا يجوز ان تكون اشارة الى الشمس التي اعتقدها

المتأخرون ، حيث ان السراج جسم يشع من نفسه النور والنار معا ، وكذلك الشمس عند هؤلاء - على ما تقدم - فكأنه تعالى قال : جعل في السماء شمساً . وقد مر مراراً عن اللغويين ان « كلما علاك فهو سماؤك » وان شرعنا الأقدس يطلق كلمة السماء بنحو الاشتراك على نفس الكرات السيارة السامية وعلى نفس الفضاء ايضا - كما في هذه الآية المباركة .

فكأنه تعالى قال : جعل في الفضاء السامي بروجاً وشموساً مسرجة .

(ومنها) ما رواه السيد نعمة الله الجزأرى المتوفى سنة ١١١٢ هـ في النور الأرضي من كتاب الأنوار النعمانية وفي البرهان في تفسير سورة الفاتحة عن جابر الجعفي عن الامام الخامس محمد بن علي الباقر (ع) انه قال : « ان من وراء شمسكم هذه اربعون عين شمس ما بين عين شمس الى عين شمس اخرى اربعون عالماً فيها خلق كثير ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم او لم يخلقه وان من وراء قرمكم هذا اربعين قرصاً ما بين القرص الى القرص الآخر اربعون عالماً فيها خلق كثير ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم ام لم يخلقه . وصریح هذا الخبر ايضا يعطى كثرة الشمس ، وألفاظه ومضامينه موافقة للخبر الأول لكنه يزداد عليه بأمور :

(احدها) قوله (ع) : « ما بين عين شمس الى عين شمس اخرى اربعون عالماً » و « ما بين القرص الى القرص الآخر اربعون عالماً » . وفي بعض النسخ « اربعون عالماً » بدل « عالماً » وهو من تصحيف الناسخين . وعلى كلا التقديرين لا يظهر تحقيقه الموافقة لمسائل الهيئتين معا ، فنذره في سنبله ونستودعه الى ظهور اهله .

(وثانيها) التعبير عن القمر بالقرص ، ومعلوم انه اعم فيشمل الشمس والقمر وغيرهما .

(وثالثها) قوله (ع) في صفة المخلوقين في الشمس : « ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم لم يخلقه » .

وقد مر في شرح الخبر الأول تجويز وجود الكائنات في الشمس - كما ذهب اليه هرشل واراغو وغيرهما - وجواز التجوز في تعبير الخبر ، واحتمال ارادة الملائكة منهم وغير ذلك .

والنتيجة ان هذا الخبر الشريف ايضا مصرح بكثرة الشمس وكثرة العوالم والادميين في الكون المحسوس - كما هو مختار المتأخرين .

فهذه يا اخواني ناصية الأرض قد ابيضت وشابت بمرور الأعصار حتى استولدت مبادئ ومباني وادوات انتجت هذه الأفكار الأبارواصبحت ملل الغرب تفتخر بكشفها ، واضحى أبناء الشرق يفتخرون بأخذها ونشرها . فانظروا الى أوصياء النبي - عليهم الصلاة والسلام - كيف فاهوا بها وذكروها في غابر الدهور وماضى العصور ، حيث لا عين ولا اثر من هذه المباني ولا خطر على قلب بشر بعض هذه المعاني .

ومع هذا كله لم يمتحوا (ع) هذه الأسرار اهمية ولا اورثت فيهم إعجابا ، بل كانوا يهتمون ويستعظمون المعارف الآلهية ورعاية النواميس الشرعية ، ويحرضون الناس على اصلاح مملكة النفس وتكميل كمالها وملكاتها والعمل لما بعد الموت ، فانه مفترس كل نفس باليقين . فالفوز لمن استيقظ عقله واكتسب النعيم الدائم .

« المسألة العاشرة »

(فيما يتعلق بالقمر)

قد ادعى الفلكيون في هذه القرون اثبات اوصاف وامور لجرم القمر ما كنا نسمع أو نعقل شيئاً منها ، ونجد اليوم كثيراً من آرائهم مخالفاً لمبادئ الهيئة القديمة ومنافضاً لمسلماتهم ، فهل جاء في هذا المقام عن شارع الاسلام حكم أو بيان أو سكت عنه هذا الدين كسائر الأديان ؟

(الجواب)

قد اضطربت افكار الحكماء من المتأخرين والقدماء في جرم القمر وصفاته وحالاته ، وما صفي امره لديهم مع قرب جواره وانكشاف عذاره فقليل مسطح وقليل مفرطح وقليل صغير وقليل كبير وقليل بسيط لطيف وقليل مركب كثيف وقليل نوراني وقليل ظلماني وقليل منفرد وقليل متعدد ، الى غير ذلك من الاختلافات المستندة إلى شواهد وبيانات نصطفي من بينها الأمور المهمة الآتية :

الأمر الأول

(في محل القمر من الأنجم ونسبة فلكه الى افلاكها)

قد ذهب الأقدمون طراً إلى ان جرم القمر مركز في ثخن فلك جسم

يحيط بكرات العناصر ويحيط بهذا الفلك فلك جسيم آخر مركز في ثخنه عطارد
ويحيط بفلك عطارد فلك مثل سابقه للزهرة ويحيط بفلك زهرة فلك عظيم
وفي ثخنه قرص الشمس ويحيط بفلك الشمس فلك في ثخنه المريخ . . . وهكذا .
واما اصحاب الهيئة الجديدة فمتفقون على ان محل القمر فوق هواء
الأرض باثنين وستين ألف فرسخ تقريباً ، فهو بنفسه دوار في مداره حول
الأرض غير مركز في جسم ، ثم انه مع الأرض يدوران في مدار واحد سنوى .
ولما كان مدار الأرض وفلكها متوسطاً بين افلاك السيارات يكون
موضع القمر وسطاً بين السيارات ، فان كلا من زهرة وعطارد امام الأرض
نظراً الى الشمس ، والمريخ وما بعده خلف الأرض ، فيتوسط القمر بين
الأنجم عند قاطبة المتأخرين ، ويكون تحتها طراً عند القدماء .
ولقد ظفرت في شريعتنا القدسية على ظواهر تهدي نحو الرأى الاخير
وتوافق النظام الحادث الشهير :

(منها) قوله تعالى في القرآن الكريم : ﴿الم تروا كيف خلق الله
سبع سماوات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً﴾ (١) .
فظاهر قوله تعالى : ﴿وجعل القمر فيهن نوراً﴾ يدل على انه متوسط
في السماوات وان مجموعها كالظرف للقمر ، فلم يقل تعالى : « جعل القمر في
سماء » او « في السماء » حتى يناسب قول القدماء ، بل قال تعالى : ﴿ جعل
القمر فيهن نوراً ﴾ فينطبق على مختار المتأخرين ، سواء فسرنا السماوات
كالقدماء بالافلاك فيكون القمر بينها ، أو فسرناها بالكرات السامية كما
تقدم فالقمر ايضاً بينها ، أو فسرناها بالكرات البخارية المحيطة بالكرات
السامية كما حققته في مسألة حقيقة السماوات فالقمر ايضاً بينها .

وعلى كل تقدير جائز عند المتأخرين يتفق القمر وسطاً في السماوات .
ويؤيد هذا المعنى ان الله تعالى لم يقل : « وجعل الشمس فيهن سراجاً »
حتى يستوى حال الشمس والقمر في هذه الجهة ، مع ان ذلك عند القدماء
اولى بالشمس من القمر ، بل اكتفى في الشمس بصفة كونه سراجاً ، لأن
الشمس شأنها عند الأواخر غير شأن القمر ، اذ هي المركز لحركات الكرات
السامية حولها وليست متحركة بينهن كالقمر - فتدبر .

واما كون السماوات طباقاً فلسنا على يقين في ان معناه كون السماوات
طبقات كطبقات البصل يحيط العالى بما يليه مثلاً زعمه المتقدمون ، اذ يجوز
ان يراد كونها طبقات كطبقات البيت والغرف كل منها فوق الأخرى أو تحتها
- كما اختاره السيد الجزائري ويراه المتأخرون ايضاً .

واما الكلام في نصب ﴿ نوراً ﴾ فنحيله الى محل آخر مناسب لمثل هذه

المباحث .

(ومنها) ما وجدته في فرج المهموم في النجوم للسيد رضى الدين على بن
طاوس المتوفى سنة ٦٦٤ هـ وفي بحار المجلسي وغير مسنداً عن امير المؤمنين
على عليه السلام في خبر احتجاجه على الدهقان (سرسفيلى) المنجم الفارسى انه عليه السلام
قال : « اظنك حكمت على افتران المشتري وزحل لما استناراك في الغسق
وظهر تالؤ المريخ وتشريقة في السحر وقصد سارواتصل جرمه بجرم تريبع
القمر . . . » .

ويدل بظاهره على ان المريخ قد يقرب ويشدد اقترابه من قمرنا ، وهذا
المعنى لا يتحقق الا على النظام الجديد ، فان النظام القديم - كما سبق -
يثبت سيارات وافلا كاجسيمة النخن عظيمة المسافة بين فلك القمر وفلك
المريخ ، فكيف يتقاربان مع دوام انفصالهما بفلك عطارد والزهرة والشمس؟ .

واما النظام الجديد فيبرهن على ان فلك المريخ محيط بفلك الأرض ليس يفصل بينهما فلك ولا سيار ، والقمر أيضاً يدور حول الأرض ، فبعد كون أفلاك هذه الثلاثة بيضوية مستطيلة اذا فرضنا الأرض في القطر الأقصر من فلكها والقمر في القطر الأطول من فلكه والمريخ في القطر القصير من فلكه عند الأرض حصل من القرب بين القمر وبين المريخ ما يوهم اتصاهما هكذا . وكثيراً ما يتفق في القرون هذا الاتفاق .

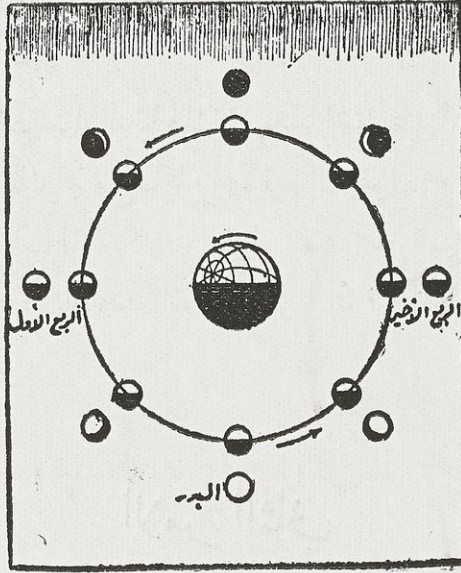
قال فاندريك في باب المريخ من كتابه النقش في الحجر : « وأما فلكه فتطاول جداً أهليجيته كثيرة ، فتارة يقرب إلينا كثيراً وأخرى يبعد عنا كثيراً فهو حينئذ أقرب في موقع حسن للرصد » .

وفي ترجمة كتاب فيلكس ورنه مامعناه : « وكلما قرب المريخ من مقابلة الشمس كبر جرمه في النظر ، فانه عند ذلك قريب الاتصال من أرضنا ، ويقع هذا الاقتراب في كل سنتين وخمسين يوماً » .

فاستبان لك جواز قرب المريخ من القمر اقتراباً يوهم الاتصال ، وانه عند ذلك يظهر لنا تالؤ المريخ وبهجته لكمال قربه منا وكبره في نظرنا . قال في حدائق النجوم : « ان المريخ في بعده الاقرب منا يكبر في نظرنا خمسة وعشرين كبره في بعده الابد » .

فانظر الى سلامة هذا الخبر الشريف بناءً على النظام الجديد ، وموافقة الفلسفة مع قوله (عليه السلام) : « وظهر تالؤ المريخ وتشريقه في السحر » . أقول : ولا يبعد ان يقع ذلك الاقتراب وقت سحرنا وعند تربع القمر في عصر هذا الخطاب ، انظر شكل (١٠) .

وقوله (عليه السلام) في المشتري وزحل : « لما استنارا في العسق » اشارة الى ان اجرام السيارات مظلمة بالذات كالقمر ، وانما تستير وتستضيء من قرص



(ش - ١٠) أشكال تربع القمر

الشمس - كما ثبت في الهيئـة العصرية - وليست بجـرم الشمس نيرة بالذات كما ثبت في الهيئـة القديمة .

وسوف أشرح هذه المسألة في المقالة الثانية من خاتمة الكتاب . واذكر موافقة شرعنا مع الفلسفة الحاضرة .

(ومنها) ما وجدته في كتاب الدر المنثور والبحار ج ١٤ : « ان القمر والنجوم والرجوم فوق السماء الدنيا » .

وهذا أيضاً ظاهر موافقه مع النظام المختار عندنا دون نظام القدماء فانه بناءً على كون السماء الدنيا هي الكرة البخارية الارضية - كما حققته في مسألة حقيقة السماوات - يكون القمر فوق السماء الدنيا ، وكذلك النجوم والرجوم على الاغلب في الأخير .

وأما اذا كانت السماء الدنيا فلك القمر - كما اشتهر عند المحققين المتقدمين - أو كانت كناية عن فلك البروج - كما قيل - لزم ان يقول : « ان القمر في السماء الدنيا » بناءً على مذهب المشهور ، أو يقول : « هو تحت السماء الدنيا » بناءً على القول النادر ، فما اخترناه بحمد الله تعالى هو الاوفق بظواهر الدين وبالحق المبين .

الامر الثاني

(في وحدة القرص أو تعدده)

قد شرحت القول في المبحث الخامس من مسألة صفات الشمس . وذكرت ان القدماء جميعاً الى القرن الحادى عشر بل الثانى عشر من الهجرة لم يتفطن أحدهم بتعدد القمر في عالم الوجود .

وأول قر اكتشفوه غير قرنا المبصر قر للمشتري اكتشفه غاليله سنة ١٦١٠م بأول نظارة صنعها سنة ١٦٠٩ ، ثم تتابعت اكتشافات الاقمار الخفية حتى بلغ القدر المسلم منها في عصرنا الحاضر ثمانية وعشرون قرأً : واحد لأرضنا واثنان للمريخ ، وثمانية للمشتري ، وتسعة لزحل ، وثمانية لأرانوس ، وواحد لنبتون - كما سبق في المقدمة السادسة .

ويزداد على ذلك باضافة قمر واحد لزهرة كما ادعى رؤيته كاسني ومونتاني وغيرهما - على ما في دائرة المعارف .

وقال ميخائيل في هامش مشهد الكائنات : « ان كثيراً من مشاهد الفلكيين اثبتوا لزهرة قمرأ مثل قرنا ، حتى ان بعضهم رآه اربع مرات ، وحسب بعضهم قطر قمر الزهرة ألفين ميلا ، وان بعده عن جرم زهرة كبعد قرنا عن أرضنا تقريباً » .

وباضافة قمر آخر لأرضنا على ما ادعى ، ففي آيات البينات وفي باب المذنبات من اصول هيئة فاندريك : « زعم البعض ان واحداً من هذه الأجرام (المذنبات) صار تابعاً للأرض - اى قرأ لها - يدور حولها في ثلاث ساعات وعشرين دقيقة على بعد معدله خمسة آلاف ميل » .

اقول : ويبعد صحته امور بعضها عدم ظهوره للنظارات بعد ترقياتها الباهرة مع ظهور ما هو اخفى منه وأبعد .

* * *

واما اوصياء النبي - عليهم افضل الصلوات والتسليمات - فقد ذكروا وجود أقمار اخرى غير هذا القمر المحسوس قبل ان يحدث في العالم رأى بتعدد الأقمار اكثر من ألف سنة ، فهم السابقون في هذا الرأى الجليل وما كان من هذا القبيل على جميع العلماء طراً .

وقد فصلنا الأخبار المتضمنة لتعدد الأقمار في المبحث الخامس من مسألة صفات الشمس .

ففي بعضها تصريح بوجود اربعين قمرأ من وراء عين قرنا هذا ، وفي بعضها تصريح بوجود اثني عشر قمرأ . وقد شرحنا المطالب هناك من كل جهة - فراجع .

وقد وجدت في روضة الوافي خبراً عن امير المؤمنين على (ع) يشعر بوجود قمر غير هذا القمر ، مثل قوله (ع) : « قمرنا أم قمرهم ، فانه ظاهر في ان لنا قمرآ ولغيرنا ايضاً قمر - والعلم عند الله تعالى باري الكون .

الأمر الثالث

(في برودة القمر وحرارته)

لم يكن احد من العالمين يشك في ان نور القمر بارد بالطبع لا حرق فيه اصلاً ، وان الجرم منه مقدس عن العناصر لا تشوبه نارية ابداً ، حتى اخترع المتأخرون ادوات دقيقة فكشفوا غطاء الجمل عن هذه الحقيقة واعتقدوا أن القمر يصحب نوره حرارة خفيفة خفية وليس بارداً رطباً فقط كما زعمه المتقدمون .

قال فاندليك في اصول الهيئة : القمر يرسل حرارته نحو الارض على طريقتين : (الأولى) بالانعكاس اى ينعكس عنه شعاع الشمس . (الثانية) بالاشعاع اى يحمى القمر تحت حرارة الشمس ثم تشع منه حرارة كما تشع من جرم آخر .

اقول : يعنى كما ان الأجرام العنصرية الأرضية تحمى تحت حرارة الشمس فتجود بأجزاء نارية مكونة في باطنها ، ولو لم يكن فيها عناصر نارية لم تشع حرأ ولم تتصف بالاحتماء ، ولذلك تختلف الاجزاء الأرضية في الاحتماء بالشمس مع تساويهما في اكتساب الأشعة .

وفي ترجمة هيئة فيليكس ورنه ما معناه : ان ضوء القمر تصحبه حرارة

خفيفة ، وكان الحكماء السالفون يشكرونها لنور القمر ، ولكن المتأخرون استنبطوها بالتجارب الكاملة من الآلات الفاضلة واستقر رأيهم على ان قمرنا يرسل الينا حرارة مصحوبة مع نوره .

اقول : وقد سبق المتأخرين طراً في اثبات الحرارة لنور القمر واعتقاد النارية والتركيب لجرمه اثنان :

(الاول) هو الامام الخامس محمد بن علي الباقر (عليه السلام) حيث سأل سائل عن القمر لم صارت الشمس احر منه ؟ فقال (عليه السلام) : « ان الله خلق القمر من ضوء (١) نور النار وصفو الماء طبقة من هذا وطبقاً من هذا حتى اذا صارت سبعة اطباق ألبسها لباساً من ماء (٢) فمن هنالك صار القمر ابرد من الشمس » . وقد ذكرت اسانيد هذا الخبر الجليل وتمامه مشروحاً في المقالة الثالثة من المبحث الأول من مسألة صفات الشمس .

وقد استفدت من ظاهر هذا الحديث مطالب :

(احدها) تركيب جرم القمر من طبقات عنصرية كما ثبت في هذه العصور ، وانه ليس بسيطاً ومنزهاً عن العنصريات كما اعتقده القدماء .
(وثانيها) ان القمر تابع للشمس ومتأخر عنه في الخلقة ، لأن الامام عليه السلام قال في تشریح الشمس : « ان الله تعالى خلق الشمس من نور النار ، وقال في تشریح القمر : « ان الله تعالى خلقه من ضوء نور النار » ، فيستفاد من هذا التعبير تبعية القمر للشمس كما اختاره المتأخرون ، وقالوا بتبعية القمر لها في النور كما هو واضح ، وفي الحركة حيث ان الشمس تحرك الأرض وهي تحرك القمر ، وفي الخلقة حيث ان القمر عندهم منفصل عن جرم

(١) فيه دلالة على ان نور القمر مستفاد من الشمس .

(٢) هذا مشير إلى وجود الماء والبحار في كرة القمر .

الأرض في مبدأ التكوين ، والأرض منفصلة عن الشمس (١) ، واستشهد لهم البعض بقوله تعالى : ﴿ نأتى الأرض ننقصها من أطرافها ﴾ (٢) واسم التوابع عند هؤلاء لا يطلق الا على الأقمار .

(وثالثها) ان القمر يصحب نوره حرارة خفيفة ، لقوله (ع) في صدر الخبر : « فمن هنالك صارت الشمس احر من القمر ، فأفضلية الشمس على القمر وزيادتها عليه في الحرارة يستلزم ان يكون القمر ذا حرارة ولو قليلة ، حتى يصدق ان الشمس احر منه .

وقد ذكرنا لك مختار الأواخر في حرارة نور القمر (٣) .

(ورابعها) ان للقمر طبقات نارية منطوية فيها ومخفية في جرمه ، لقول

(١) يعتقد بعض الفلاسفة المتأخرين ان الكرة الأرضية متوجهة إلى الفناء والدمار وتنفصل عنها دائماً ذرات واجزاء تسبح في الفضاء الواسع ، وعلى هذا تنطبق الآية الكريمة المذكورة هنا على هذا الرأي احسن انطباق ولا نحتاج إلى تفسيرها بما فسرہ سماحة المؤلف ، وان كان تفسيره لا يخلو من لطف لأن كلى الانفصال عن الأرض يصدق على انفصال القمر عنها ايضاً - (ف) (٢) سورة الرعد آية ٤١ .

(٣) قاس الاستاذ (بيازى سميث) حرارة القمر فوجد ان الشمعة التي بعدها عن آلهة قدماء حرارتها الواصلة الى آلهة اشد من حرارة القمر الواصلة اليها .

وقاس الاستاذ (لنغلي) حرارة القمر فوجدها جزءاً من مليون جزء من الدرجة .

اقول : النار مهما خفت لا تفقد حسن تأثيرها كالنار الحضانة في الطيور وعند الكيمائيين .

الوصى (ع) : « طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتى إذا صارت سبعة اطباق » .
 اقول : ذهب اواخر المتأخرين ايضاً إلى وجود طبقات نارية في جوف القمر ، كما ذهبوا إلى وجود نار حامية في بطن ارضنا ، ينفجر القمر عنها احياناً بالبراكين كما تنفجر نار ارضنا بالبراكين - انظر شكل (١١) .
 واول من اكتشف عن الجبال النارية والبراكين في قرص القمر هو الفيلسوف (هوك) على ما نقل في كتاب حقائق النجوم ، وانه استكشفها في كسوف ذات الحلقة سنة ١٨٣٦ م وظهر له في هذه المراقبة الصبح والشفق من كرة القمر ، وكان ضوء نار البركان اوضح عنده من ضوء شفق القمر .
 وقدر قطر المخرج الأعظم من فوهة هذا البركان بنظارة (هرشل) بقدر الكوكب من القدر الرابع بحيث كان من الممكن ان يراه البصر المجرد ايضاً .
 ومن هنا ذهب الفيلسوف هوك الى وجود جو وبخار وهواء في كرة



(ش - ١١) الجبال النارية والبراكين في القمر

القمر ورجح وجود الحيوان فيها ، فان الصبح والشفق ونار البركان شواهد قوية على وجود الحيوان في القمر - كما مر في المقالة الأولى من مبحث تعدد الشمس .

(الثاني) ممن اثبت الحرارة لنور القمر قبل المتأخرين هو الامام الثامن على بن موسى الرضا (ع) فانه قال : « الشمس والقمر آيتان » الى قوله (ع) : « وضوءهما من نور عرشه وحرهما من نار جهنم » . وقد نقلنا مقالته مشروحاً في المقالة الخامسة من المبحث الأول من مسألة صفات الشمس - فراجع .

وقد ذكرنا مراراً أن السبب في عدول حكماء المسلمين عن اقوال هؤلاء القديسين في المطالب الفلسفية هو ان اقوال الأوصياء كانت فتاوى من دون ادلة ، معتمدين فيها على انكشاف حقائق الكون لديهم بالوحي ، ومحض ذلك لا يقنع الحكماء اذا وجدوا براهينهم العقلية تناقض اقوال الأوصياء .

ولا ريب في ان مبادئ الفلسفة القديمة كانت كثيرة المخالفة لظواهر اقوال شرعنا الأقدس ، ولذلك كان بعض علماء الدين يوافقون ويؤلفون بين ظواهر الدين وبين مسلمات الفلسفة القديمة ، بتأويل الظواهر وتوجيهها الى معنى آخر .

وظاهر هذا الخبر يوصي الى كون القمر ذا نور من نفسه غير ما يكتسبه من الشمس ، ولم يذهب الى هذا الرأي غير جماعة من الأواخر .

بل قال الأستاذ هرشل - على ما في حدائق النجوم - : ان للأجرام المظلمة بأسرها نور خفيف ذاتي لها .

وأيد بعضهم ذلك بأمرين :

(الأول) رؤيتنا كثيراً للقمر نهراً وهو في المحاق .

(الثاني) رؤيتنا له دائماً حالة الكسوف او الخسوف الكليين وهو نوراني

بنور ضعيف يميل الى حمرة قوية .

وهذان الأمران لا يتمان الا بكون القمر نورانيا بذاته ولو بالقليل جداً
ولا تستبعد ان يكون للقمر نور ذاتي خفيف مستهلك في نوره العظيم
المستفاد من الشمس .

* * *

فاستعملوا الفكرة واستعينوا يا اصفياء السريرة بنور البصيرة فيما اظهره
النبي الامي واوصيائه القديسون قبل اكتشافات المتأخرين بأكثر من
عشرة قرون .

انظروا إلى اولياء الله تعالى كيف فتوح الله عليهم ابواب العلم بالحقائق
الكونية وكشف لهم اسراره الغيبية ، فأخبروا عما عجزت وقصرت عنه
عقول الناس فضلاً عن الحواس .

لا تحمل ذلك الا على شدة الاتصال بعالم القدس والارتباط بالملكوت
واللاهوت وغاية القرب من المبدأ الأعلى والوحي والالهام من الملك العلام ،
إذ لا يجوز عليهم غيرها .

والعجب كل العجب من الذين يرون هذه الآيات الباهرة والمعاجز
الظاهرة ويصرون على مكابرتهم وعنادهم ولا يعترفون للحق الصراح ويلزمون
جانب الأهواء ، ف(اولئك هم الكفرة الفجرة) .

اننا لا نعجب من اولئك الجاهلين الذين آذوا النبي ﷺ وناوؤه لأنهم
كانوا بعيدين من العلوم والمعارف والثقافة متوغلين في الهمجية الصارخة ،
اننا لا نعجب من اولئك وانما نعجب اشد العجب من ابناء عصرنا الحاضر -
عصر الذرة والنور - كيف يسوغ لهم العلم والثقافة عدم ايمانهم لذلك النبي الامي

واهل بيته المعصومين - عليهم الصلاة والسلام - الذين طبقوا العالم بعلومهم
وأيقضوا البشر من سباتهم العميق ، انهم اخبروا في ذلك العصر المظلم - الذى
لا توجد فيه آلة ولم تنتهياً لديهم وسائل الكشف - عن اشياء لم يوفق العلماء
بكشفها بآلاتهم الرصينة الا بعد مضى قرون طويلة وعناء وتعب مضنين .
هذه هى المعجزة الحقة وهذه هى آية الصدق فى الدعوة الرشيدة .

«المسألة الحادية عشر»

(في عدد السيارات)

الظاهر من المتقدمين انهم كانوا يعتقدون بوجود سيارات سبعة فقط
وهي : القمر ، عطارد ، زهرة ، الشمس ، المريخ ، المشتري ، زحل . ولكن
الفلاسفة المتأخرون اضافوا على هذه السبعة سياراتين اخرى وجعلوا السيارات
للنظام الشمسى تسعة ، فهل ان الشريعة الاسلامية المقدسة ساكتة في هذا المقام
أم لها رأى خاص ؟

(الجواب)

لا ريب في ان القدماء من الحكماء كانوا يعدون الانجم السيارة سبعة ولا
يذكرون سواها ، وهي عندهم : الزيران - اعنى الشمس والقمر - والخمسة
المتحيرة وهي : زهرة . عطارد . المريخ . المشتري . زحل .
نعم حكى عن ذيقرطيس وارثميدر من قبل الميلاد مذهب عدم تناهى
عدد السيارات وظنى انها قصدا بذلك مطلق مايسير في الفضاء أعم من الثوابت
ومن السيارات في اصطلاحنا .

وقد أظهر هذا الرأى مخالفة لزعم ارسطو ونحوه من المتقدمين ان
الثوابت غير متحركة ، فقصدوا بالحقيقة اختيار الحركة لجميع أجرام العالم
ولا شئ منها ثابت حقيق ، ولم يقصدوا عدم انتهاء سيارات عالم شمسنا .

ومقصودنا الالهم انما هو اظهار كون النظام البطليموسى الشائع قبل الاسلام
وبعده لا يثبت غير السيارات السبعة .

وأما النظام الكوبرنيكى المختار عند المتأخرين فما برح يتقلب فى عدد
سيارات شمسنا من رأى الى رأى ، وهالك الموجز من تقلباته :
زعم أصحاب هذا النظام الجديد حصر السيارات فى ستة عند ابتداء
أمرهم ، وهى أرضنا والخمسة المتحيرة ، وأما النيران فقد كانا خارجين لديهم عن
عداد السيارات .

ولما أشاع الحكيم (قى قى يوس) ميزانه فى أبعاد السيارات المعروف
بـ (سلسلة البعد) احتملوا وجود سيارة بين المريخ والمشتري ، فان قى قى يوس
يرى انه لو فرض بعد الأرض عن الشمس عشرة من المقادير مطلقاً كان بعد
عطارد أربعة منها وبعد زهرة سبعة منها وبعد المريخ ستة عشر منها .
وميزان ذلك لديه ان تضم لكل سيارة عدد الأربعة مما اعطيت الأرض
منه عشرة ثم تضيف الى زهرة ثلاثة من جنس تلك العشرة والى ما بعد زهرة
ستة ، وهكذا تضيف لكل سيارة ضعف ما أضفته للسابقة ، واستثنى الأرض
منها حيث اعطيتها العشرة من ابتداء الأمر فيكون النظام هكذا :

عطارد أربعة ، زهرة سبعة ، الأرض عشرة ، المريخ ستة عشر ، ما بعده
ثمانية وعشرون ، المشتري اثنان وخمسون ، زحل مائة ، ارانوس مائة وستة
وتسعون ، نبتون مائتان وثمانية وثمانون - وكل ذلك بنحو التقريب (١) .

(١) قال الطنطاوى : ان علماءنا قالوا : اذا قدرنا قطر الأرض ثمانية كان
قطر الهراء تسعاً وقطر فلك القمر اثني عشر وقطر فلك عطارد ثلاثة عشر وقطر
فلك زهرة ستة عشر وقطر فلك الشمس ثمانية عشر وقطر فلك المريخ واحد
وعشرون ونصف وقطر فلك المشتري أربعة وعشرون وقطر فلك زحل ثمانية -

ثم من بعد اكتشاف هرشل نجمة ارانوس اعتقد الفلكيون كون السيارات سبعة ، اذ كان ميزان تي تي يوس يقتضى في حد (١٩٦) مداراً لو كان بعد زحل سيار آخر ، ومن بعد اكتشاف ارانوس وجدوها في حد (١٩٢) غير بعيد عن ميزان تي تي يوس قوى ظنهم بوجود سيارة بين المريخ والمشتري على حد (٢٨) فأضحت نظاراتهم تتوجه اليه وتراقب عليه حتى اكتشف الحكيم (بيزى) سنة ١٢١٥ هـ نجمة (سرس) بين المريخ والمشتري ، وذكروا تي تي يوس بكل خير ، وكمل عندهم ميزانه وحسبوا السيارات يومئذ ثمانية وصار سرس من السيارات المعظمة المعتد بشأنها .

ولاكن هذا الفرع والاطمئنان ما بقيا لهم كما لا يبقيان لشخص ولا لنوع ، فلم تمض عليهم سنة الا وكشفوا نجمة أخرى بجانب تلك اسمها (بلس) ، وعشرون الاربع ، وقالوا : ان هناك نسبة شريفة بين الأرض والقمر - أى الثلثان - وكذا بينها وبين الهواء والزهرة والشمس والمشتري . . . الى ان قال : أما الثلاثة الباقية - وهى عطارد والمريخ والزحل - فليست نسبتها محرودة ، اذ المحمود مثل النصف والربع والثلث .

وقال أيضاً : ذكر العلامة اللورد افبرى في كتابه جمال الطبيعة عن الاستاذ يود قانوناً سماه (قانون يود) ولم تكمل تجربته فلا يزال محل نظر ، وهو ان كل كوكب يبعد عن الشمس ضعف ما قبله مع زيادة ثابتة ماعدا الاول وايضاحه : انا اذا فرضنا عطارد بعده عن الشمس أربعة فبعد الزهرة سبعة والأرض عشرة والمريخ ستة عشر ، وفي بعد ثمانية وعشرين متسع عظيم ومنطقة مشغولة بكواكب اخرى يعبرون عنها (زون) تبلغ نحو ثلاثمائة كأنها ذرات لا تكاد تميز ، اكتشفها (بيزى) في أول يناير سنة ١٨٠١ م . . . ثم قال : وبعد ذلك المشتري ٥٢ وزحل ١٠٠ ، هذا هو القانون الذى رسمه يود وأكمله بيزى .

ثم اكتشفوا في ذلك الحد نجمة باسم (جون ووستا) في تلك السنين ، فزال
الفرح والاطمئنان بميزان تي تي يوس وصاروا يعدون السيارات احدى عشر
على أبعاد غير منظمة .

وانغلق عليهم باب اكتشاف الانجم السيارة عشرات من السنين . فظلوا
على ذلك الاعتقاد ، وكتب على ذلك النظام كتب كثيرة منها كتاب (حدائق
النجوم) وغيره .

ولما كان الفر ج بعد الشدة والضياء بعد الظلمة من النواميس المهنوية التي
سنها الله تعالى في السكون انفجرت عيون الاكتشافات على الراصدين من سنة
١٢٦٠ هـ ، وانكشفت سيارات كثيرة في حد (٢٨) ، حتى انهم كشفوا في شهر
واحد ثمانية عشر نجمة .

فاستقر رأيهم على ان هذه النجوم المتوسطة بين مدارى المريخ والمشتري ليست
بسيارات مستقلة كالبقية بل هي بأسرها أجزاء سيارة عظيمة كانت بين المدارين
على حد (٢٨) تسير منفردة كباقي السيارات (١) ثم انفطرت في الدهور الماضية
وانفلقت وتفسخت بسبب من الأسباب الكونية لا يعلمها غير خالقها ، فظلت
أجزاؤها وقطعها المنفصلة تدور على وضع أمها ونظام أصلها الأول .

وتأييد رأيهم هذا بتشابه دورانها زماناً وصفة ووضعاً وشدة اقتراب
مداراتها ، كما اشرت اليه في المقالة الخامسة من مسألة تعدد الأرضين .

ومن بعد ما اعتقدوا وحدة هذه النجوم في الأصل وكونها مشتقة جميعاً
من كرة واحدة منفصلة الى هذه النجمات الصغار رجعوا أيضاً الى اعتقاد صحة

(١) خالف الفيلسوف (نيوكم) الأمريكى هذا الرأى حيث انه ذهب الى
ان كلا من هذه النجمات سيارة مستقلة حسبها حسب من حركاتها في أدوار
متقدمة وعدم اجتماعها في بقعة يوماً ما حتى تكون بنات أم واحدة .

ميزان (قى قى يوس) والى ان السيارات سبعة .
ثم لما اكتشف لورية الفلكى الفرنسى الشهير نجمة نبتون خلف أرانوس
ونجمة فلكان قبل عطارده سنة ١٢٦٤ هـ شماعت السيارات تسعة فى العدد بالنظر
اليهما ، والثمانية أشهر لصعوبة رصد فلكان ، فلا ينموز بلمقائه الا القليل .

* * *

وما قصصه عليك هو بعض ماجرى على الفلكيين فى حصر السيارات
وتقليباتهم فى اعداد النجوم الدائرة فى عالم شمسنا المبصرة
وأما الشريعة الاسلامية فظواهرها طائفتان :

الطائفة الأولى

ظواهر تدل على ان السيارات سبعة لكنها مسوقة على نحو يلائم النظام
الجديد لا القديم .
وعندى ان هذه الظواهر ناظرة الى المبصر من السيارات لا مطلق السيارات
الحقيقية لشمسنا .

وقد مر ان المتكلم ينبغى له ان يذكر الحكم لموضوع قابل للحس والادراك
فى خطاباته العرفية العمومية ولا شك ان سبعة من السيارات كانت أبداً قابلة
للاحساس والادراك ، وان لم يعرف المخاطبون بعضها التقصير منهم لالقصور
فى الموضوع .

وأما ما تعذر ادراكه بالحس المجرد عن الأدوات فلا يستحسن العقلاء
توجيه المتكلم احكامه عليه عند العرف ويصفه بين الناس عموماً ، خصوصاً من
يجب عليه حفظ وجاهته فى العرف ، وان لا يوحش الجمهور فيختل انفاذ
وظيفته واقامة ما هو مبعوث لاجله .

نعم يجوز التكلم عن مثله لمثله نادراً على سبيل بث الاسرار وايداعه في صدور الأحرار وبمحضر من أصحاب الكمال .
وقد تكلمنا عن هذا الأمر في المسألة الرابعة فراجع حتى تنتفع وتعرف ان السيارات المبصرة هي ارضنا وزهرة وعطار دؤم ريخ، والمشتري وزحل وارانوس فان ارانوس يبصر كنجيم من القدر الخامس مما يراه الناس .
وما عدا هذه النجوم حيث لم يكن احد يبصره في تلك العصور لم ينصرف اليه وجه الخطاب والكلام العمومي ، وانما ألقي ذكره على خواص الصحابة - كما سيذكر .

الطائفة الثانية

تدل على ان السيارات احدى عشر ، وهذه الظواهر ناظرة إلى تعداد جميع سيارات شمسنا ما يبصر منها وما لا يبصر ، ما عرف في الماضي وما سيعرف في المستقبل ، ما اكتشف حتى الآن أو لم ينكشف بعد :
(منها) قوله تعالى : ﴿ انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ﴾ (١) .

هذه النجوم التى رآها يوسف عليه السلام فى المنام كانت نجوماً فى المنام قطعاً غاية الأمر انها فسرت واولت فى اليقظة باخوته الأحد عشر ، لأنه عليه السلام نبى معصوم عن الكذب ، وأنه لو رأى اخوته بأعيانهم فى المنام لما احتاج الطيف إلى تفسير وتأويل ، فهو عليه السلام قد رأى نجوماً بهذا العدد والصفة فى المنام .
ثم ان هذه النجوم المشتركة فى صفة السجود له لو كانت من جملة الثوابت لكان ترجيح تخصيصها من غير مرجح ، لزيادتها على آلاف الألوف

وتساويهما في الجنس والصفة ، بخلاف ما لو اخذت من السيارات كان لها وجه اختصاص ومناسبة في العدد ، فيترجح بالقريظة العقلية ارادة السيارات من هذه الكواكب والنجوم الساجدة التي شاهدها يوسف عليه السلام في المنام . وستأتى الشواهد على هذا الكلام عن قريب انشاء الله تعالى (١) .

(ومنها) في تفسير النيسابورى والكشاف للزخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ وكانت الذخيرة بخط عبد العزيز بن محمد بن يعقوب الترمذى فى جمعة عاشر شوال سنة ٧٢٥ ، وفى بعض كتب اخرى مسنداً عن جابر ان يهودياً سأل النبي الأسمى صلى الله عليه وآله عن النجوم التى شاهدها يوسف عليه السلام فى المنام ؟ فقال صلى الله عليه وآله : « جريان ، وطارق ، وذبال ، وقابس ، وعمودان ، وفليق ، ومصبح ، وضروح و فرع ، ووئاب ، وذو التكفين ، فأسلم اليهودى .

وروى هذه الرواية الشيخ الصدوق ابن بابويه فى الخصال عن جابر

(١) يمكن ان يتم هذا التطبيق العلى بتوجيه آخر منا بأن نقول : ان رؤيا الأنبياء - وعلى الخصوص الرؤيا المنقولة فى كتاب مثل القرآن الكريم - لم تكن كرؤيا بقية الناس التى ليس لها الا تعبير صورى ينطبق مع بعض الوقائع الصورية ، بل يجب ان يكون لها حقيقة مرئية فى المنام كما ان لها صورة تعبيرية فى اليقظة .

فى مقامنا هذا نقول : ان الكواكب الأحد عشر التى رآها يوسف عليه السلام فى المنام كان تعبيرها باخرته الأحد عشر صحيحاً لأن يوسف اصبح اخيراً عزيز مصر وسجد له اخرته ، وتفسيرها بالسيارات الاحدى عشر ايضاً صحيح لأن يوسف - اضافة على انه كان عزيزاً لمصر - كان نبياً من الأنبياء ، حينذاك خضعت له سيارات نظام شمسنا لأنه كان قطب دائرة الامكان وواسطة فيض الواجب جل وعلا - (ف) .

بطريقتين بينهما اختلاف يسير .

ورواها الحافظ القمي عن جابر في تفسير قوله تعالى : ﴿ اِنِّى رَأَيْتُ اِحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ ثم سمي تلك النجوم بتغيير يسير ، ثم قال بعد ذلك : « وكل هذه النجوم محاطة بالسماء » وفي نسخ كثيرة « محيطه بالسماء » .

وظنى ان هذا الاشتباه نشأ من رسم الخط العثمانى القديم ، فكان يكتب عثمان عثمان ولقمان لقمن وسليمان سليمان وجاء هاجثها ومحاطة محيطه ، فقرأ البعض محاطة على الأصل وقرأ آخر محيطه .

وخلاصة الكلام المنظور فى هذا المقام : ان اختصاص هذه النجوم من بين نجوم السماء لابد وان يكون بصفة مختصة بهذا العدد اليسير لاشتراك سائر النجوم فيها ، ولا نرى صفة كهذه غير صفة السيارة حول الشمس - كما تقدم آنفاً .

ويؤيد ذلك قوله عَلَى السَّمَاءِ : « وكل منها محاطة بالسماء » فان هذه الصفة ايضاً تختص بالسيارات على النظام الجديد وتحقيق الكرة البخارية - كما سبق فى المسألة السادسة ونشرحه فى المسألة اللاحقة ونعد الكرات البخارية المحيطة بكل سيارة .

ويؤيده ذكر الشمس والقمر معهن لتكمل عدتهن وانواعهن فى نظامنا الشمس ، كما يؤيد ذلك ايضاً انطباق كل من هذه الأسماء على سيارات شمسنا فان هذه الأسماء منهم سَمَاءٌ سمات واقوى الصفات لتلك المسميات ، وهاك الشرح :

١ - (جريان) لأرضنا ، وقد ورد اطلاق الجارية على أرضنا فى غير هذا الخبر - كما مر تفصيله فى المقالة الثالثة عشر من مسألة تعدد الأرضين .
وسميت أرضنا بالجريان لجريانها فى الفضاء ، وجريان حركات اخرى

عليها - كما سبق في بحث تحرك الأرض . وقد لا توجد جملتهن في سيارة أخرى غير الأرض فاختصت بهذه السمة .

٢ - (الطارق) لزهرة ، فان الطارق كوكب الصبح على ما في القاموس والعرف لا يقصدون من كوكب الصبح غير زهرة قديماً وحديثاً . وسميت نجمة الصباح كما انه قد تسمى بعطارد نادراً .

٣ - (الذبال) على وزن قظام ، يطلق في اللغة على النحيف الفاقد للطراوة . وعطارد ايضاً كثير الجفاف فاقد الطراوة لشدة قربه من الشمس .

٤ - (القابس) ويطلق في اللغة على ما يكتسب الحر الشديد من نار عظيمة ، ونجمة فلسكان ايضاً تكتسب الحرارة الشديدة من نار لا نرى اعظم منها لها اعنى الشمس ، فان قربها المفرط من فلسكان جعلها كجمرة النار ولذلك سميت فلسكان بهذا الاسم ، فان فلسكان كما مر اسم جبل يثير النار ، ومعربه بركان (١) .

٥ - (العمودان) يحتمل انطباقه على المريخ ، فانه لا ينفك عن قرين تقوم اشعتها عليه كالعمودين والخروط من الأشعة .

وفي بعض النسخ (عموران) بالراء بدل الدال ، فيكون اشارة الى عمرانها المشهور بين منجمي الأواخر .

٦ - (الفليق) بمعنى المنفلق ، ينطبق على السيارة العظيمة التي حسبوا كونها بعد المريخ وتفسخت الى قطع صغار دوارة، واعنى بها نجيمات المشتري .

(١) قال نور الله : فيه اشارة الى ان حرارة فلسكان ليس من نفسه بل مأخوذ مكتسب من غيره ، لأن القابس نفس النار والجدوة كما قال تعالى : ﴿ لعل آتاكم منها بقبس ﴾ والقابس آخذها .

ويؤخذ شرحها من غرة هذه المسألة (١).

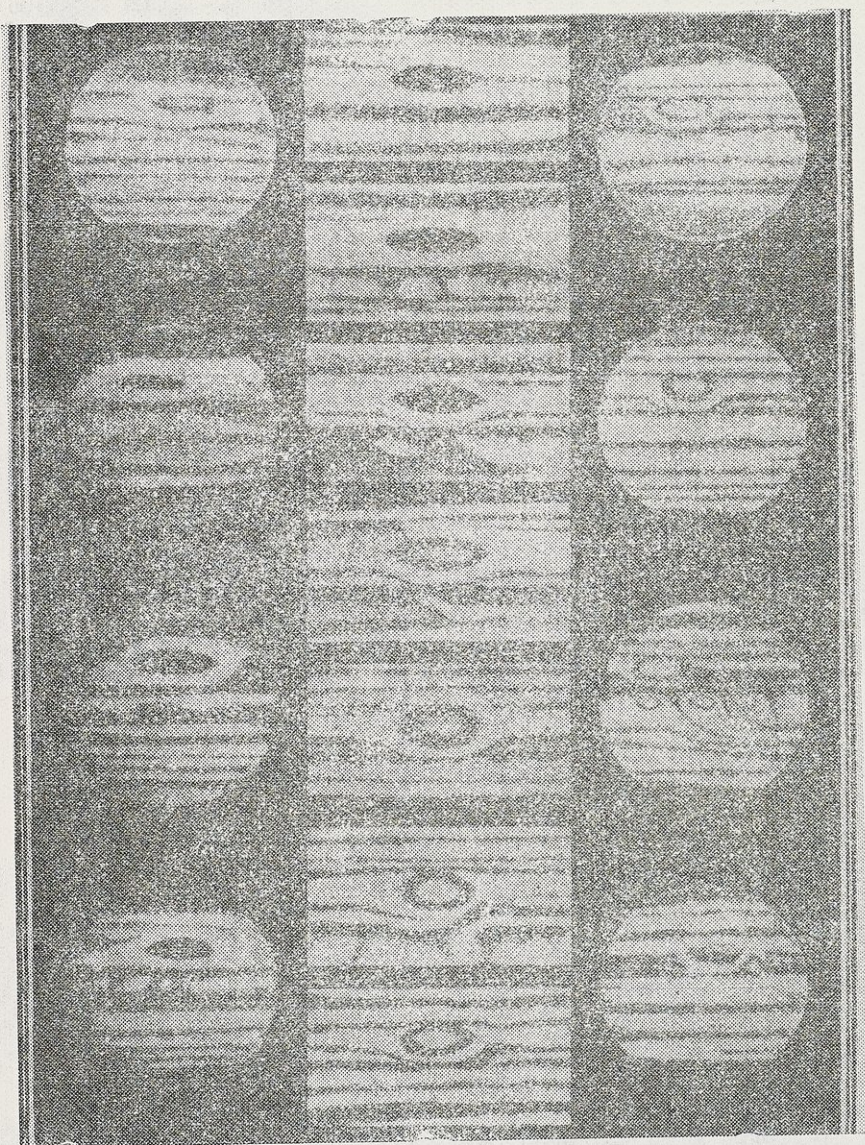
[فاذن هذه النجيمات متولدة من تلك السيارة العظيمة ، ولا زالت الأطفال تنهيج نهج السيارات الأم في الدوران حول الشمس .

وفي بعض نسخ الحديث - كما في تفسير القمي وغيره - جاء (الفيلق) بدلا عن الفليق ، ويطلق الفيلق لغة على قطعة من الجيش المنظم ، وهذا المعنى في النجيمات ظاهر ، لأنها تدور في مدارها كالجيش المنظم .

٧ - (مصباح) اسم للمشتري ، وهو يطلق في اللغة على الجمال وشعلة القنديل وضياء السراج والذي فيه حمرة ، وفي اساس البلاغة للزخشرى : « المصباح ما لونه كاون الصبح » . كل هذه المعاني توافق نجمة المشتري لأنها ابرز النجوم في الجمال والضوء وحمرة اللون ، ولون النهار فيها كاون الصبح في ارضنا لأن نجمة المشتري بعيدة جداً من الشمس ولون الضياء فيها خافت .

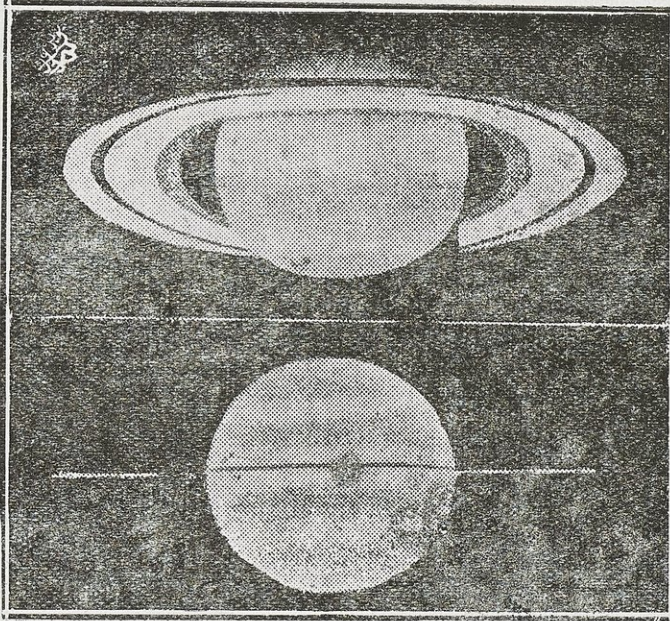
٨ - (ذو التسكفين) اسم لرحل ، والتسكفين في اللغة تغطية الشئ

(١) تنتهي التعليقات لاسمى سيارات النظام الشمسى في النسخة العربية المطبوعة سابقاً الى هنا ، وكان سماحة المؤلف قد ترك التعلييل لتسمية باقى السيارات ولكن المترجم الفارسى قد طلب - حين ترجمته للكتاب - من سماحته ان يزوده بتعلييل باقى الاسماء حتى يكون الموضوع تاماً كاملاً ، فأرسل سماحته الى المترجم المحترم ما طلبه منه فأكمل المترجم الموضوع بترجمته ما ارسله اليه المؤلف ، ونحن نأسف جداً ان لا يساعدنا التوفيق للعشور على الأصل العربى فلجأنا الى ترجمة هذه القطعة القيمة ترجمة لا نعلم انها هل تنى بالمراد ام لا ؟ وعلى كل حال فهذا مجهودنا الضئيل نقدمه إلى العلماء الأعظم راجين منهم ان يغضوا النظر عن الهفوات الواقعة فى الترجمة - (السيد احمد الحسينى) .



(ش ۱۲) المشتري و مناطقہ و بقعہ

يقال : «كفن الجمر بالرماد» ، اي غطاه به ، وهذا المعنى يناسب كثيراً مع
نجمه زحل لان اكثر قطرها متوار في الحلقات التي حولها - كما تراه في
شكل (١٣) القسم الفرقاني .



(ش ١٣) زحل وحلقاته

وفي بعض نسخ الحديث - كما في تفسير القمي - جاء (الكثفين) بدل التكفين ، وهذا المعنى ايضا يناسب نجمة زحل لأن الحلقات تبدو حولها كالكتفين حول الرأس - كما ترى في القسم الثاني من الشكل المذكور .

٩ - (صروح) اسم لارانوس ، وهو في اللغة اسم للقصر العالي ، والمضرح : العلو ، وينطبق هذا المعنى على ارانوس تمام الانطباق خاصة وقد صرح الفيروز ابادي في القاموس بأرب الضراح اسم للسماء الرابعة ، واذا عددنا السيارات التي فوقنا لكانت سيارة ارانوس هي الرابعة .

وفي بعض نسخ الحديث جاء (صروح) بالصاد المهملة ، ويقرب هذا ايضا مما ذكرنا سابقا .

١٠ - (وثاب) اسم لنبتون ، والوثاب في اللغة يطلق على الذي يقفز ويطفر في المشى أو يمشى سريعا ، وهذان المعنيان ظاهران في سيارة نبتون لأنها في سيرها تسرع وتقفز لأن الشمس والسيارات الجاذبة لها تقمع على جانب واحد منها وليس على جانبيها الآخر غير نجمة بيلاتو وهي بعيدة عنها وضعيفة الجذب لها ، فتسير غير معتدلة لقوة الجذب في أحد جانبيها وضعفه في الجانب الآخر . فعلى هذا تنجذب الى السيارات السفلى لقوة جذبها وعند ما تبعد تكرر راجعة الى الفوق بسرعة شديدة ، وهذا السير اشبه شيء بالقفز والطفرة أو المشى السريع ، ويناسب حينئذ ان يطلق اسم الـ (وثاب) على هذه السيارة .

١١ - (فرع) اسم لبيلاتو ، والفرع جزء من الأصل كالغصن من الشجرة ، وبيلاتو - على ما يدعيه مكتشفه - اول قطعة انفصلت عن الشمس . وايشا العرب تسمى اول يوم من الجوزاء بالفرع ، وكذلك تسمى اعلا الجبل بالفرع ، وهذان المعنيان ايضا موجودان في بيلاتو :

(اما الأول) فلأنه أول قطعة انفصلت عن الشمس - كما قلنا .
 (واما الثانى) فلأن مقام بيلاتو ارفع المقامات فى نظامنا الشمسى ،
 فاطلاق هذا الاسم على بيلاتو مناسب جداً من كل الجهات .
 يقول المؤلف : ان هذا الخبر الشريف مشتمل على اسرار غامضة فى
 صفات السيارات وحقائقها التى لم تكن معروفة قبل هذا ، وقد كشف هذه
 الأسرار وهاتيك الرموز القرآن الكريم والنبي العظيم واهل بيته الميامين -
 عليهم افضل الصلاة والسلام - قبل ثلاثة عشر قرن ونصف ، ويدينوا للعالم
 هذه الخبآت حتى تبقى آية ساطعة ومعجزة باهرة لهم .

(تنبيه)

ان هذه الوجوه التى ذكرناها فى تأويل هذا الخبر والمناسبات اللغوية
 والفنية التى استشهدنا بها انما هى غاية ما ندركه نحن فى هذا اليوم ، وهذا
 التحقيق مبنى على ان يكون المذنب خارجاً عن عداد السيارات الاحدى عشر
 وفلكان داخلها فيها ، لاننا نحتمل وجود الكرة البخارية فى فلكان وعدم
 وجودها فى المذنب .

اما اذا فرضنا عكس هذا - اى نعد المذنب داخل فى عداد السيارات
 وفلكان خارجاً منها - فلا بد وان يسمى المذنب طارق والزهرة ذبال وعطارد
 قابس ، وذلك لأن ذبال فى اللغة يطلق ايضاً على شعلة السراج وتشبه الزهرة
 شعله السراج فى تألؤها ، كما ان عطارد لشدة قرب فلكه من الشمس يكتسب
 من نورها وشعلتها - والله تعالى اعلم بأسرار الكائنات التى خلقها] .

والحاصل ان هذا الخبر القدسي قابل للانطباق على سيارات شمسنا على النظام السابق المبدو من ارضنا ثم الزهرة ، ثم عطارد ، ثم فلسكان ، ثم المريخ . . . وهكذا .

وانى احتمل توجيهاً آخر للخبر ، وهو : ان النجوم الأحد عشر هي سيارات نظام شمسنا لكن عشرة منها اسماء للاشخاص وواحد منها اسم نوع وهو الطارق اسم لنوع المذنب ، نظراً الى انه من سيارات عالم شمسنا ، كما احتمل ايضاً ان يكون (وثاب) اسماً نوعياً للشهاب الراجم ، فانه ايضاً من توابع شمسنا .

* * *

فان قلت : ان سيارات شمسنا ليست اكثر من تسعة فلما ذا تعد احدى عشر سيارة ؟

قلت . لسنا على يقين من هذا التطبيق ولكن التسعة بعد زيادة السيارة المنفلقة الى النجيمات تكون عشرة ، ولا يضرنا عدم اندراجها الآن في عداد السيارات لأنها كانت في عدادها سابقاً ، وهو كاف في المقام اذ نظر هذه الظواهر الى ما كان لشمسنا من السيارات بقيت او عدمت عرفت أو جهلت . واما الحادية عشر فقد جاء ذكرها وكشف الستر عنها في الأخبار ، كما ت ذلك في تنمة المسألة الخامسة ، ولم تكشف النظارات وجه تلك السيارة الخفية حتى الآن ، ونحن في امل عظيم ان تتكشف لنا في المستقبل عند بلوغ الأدوات كما لها .

وقد ذكرت مجلة الضياء المصرية للشيخ ابراهيم اليازجي مقالة تحت عنوان (السيار الجديد بين الأرض والمريخ) ولفظها : « انه بعد ما اكتشف هذا السيار على احدى الصفائح التصوير الشمسي خطر لبعض علماء الهيئة ان

يتفقد الصفائح التي اخذت في السنين الماضية للهواضع التي يتقدر انه كان فيها من السماء ، فوجد رسمه في بعض الصفائح التي اخذت سنة ١٩٠٢ وسنة ١٩٠٤ وسنة ١٩٠٦ في اثني عشر موقعا ، فحسب بموجب هذه المواقف ان سنة هذا السيار تكون ٦٤٣ يوما ، وهي أقصر من سنة المريخ ٤٤ يوما ، ومباينة فلكه تبلغ ثلاثة أضعاف مباينة فلك المريخ . ولما كان (الميسيو ويت) هو المكتشف لهذا السيار كان له الحق الأول ان يختار له أسما يميزه به ، وقد سماه (ايروس) ، وهو اسم آله الحب (١) .

(ومنها) ما وجدته في البحار للمجلسي (ره) والأنوار النعمانية للجزائري وكتاب النجوم للسيد ابن طلوس قال : رويننا بإسنادنا عن معاوية بن حكيم في كتاب أصله عن أبي عبد الله (يعني الوصي السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام) انه قال : « في السماء أربعة نجوم ما يعلمها الا اهل بيت من العرب ، وأهل بيت من الهند يعرفون منها نجما واحداً ، فبذلك قام حسابهم » .

والظاهر انه عليه السلام قصد من أهل بيت في العرب أوصياء النبي الامي صلى الله عليه وآله وسلم وعترته الذين امتازوا بحفظ أسرارهم وحمل علومه .

ويؤيده ما في كتاب النجوم أيضا وكتاب دلائل الخيري بأسانيد صحيحة

(١) وقريب من هذا خبر علي عليه السلام للشامي في أسماء السماوات وألوانها فانه قال : « واسم السماء السادسة عروس » . وانما جعلها سادسة لأنك ان حسببت نبتون أولا ونزلت كانت ايروس سادسة .

والعجيب الغريب ان عليا عليه السلام يخبر باسمه مع ان الذي سماه بعد ألف سنة حسب مشتبه نفسه ، وهذا والله علم الغيب الذي لم يوفق اليه الا المقربون الى المبدأ الاعلى ، فكأن عليا عليه السلام لم يكن مالك عين ويت السبكترية وحدها ، بل كان مالك قلبه أيضا .

عن الوصي السادس عليه السلام انه قال في ضمن خبر له : « ليس يعلم النجوم الا اهل بيت من قريش وأهل بيت من الهند » .

ومعلوم انه لم يكن في قريش قديما أهل بيت يحملون العلم والفلسفة غير أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ، فالامام عليه السلام حصر العلم بالنجوم الأربع في آل محمد صلى الله عليه وآله وخص بعض الهنود بمعرفة واحدة من تلك الأربعة .

والسما جهة العلو ، كما قال اللغويون : « كل ماعلاك فهو سماؤك » ، وقد مر ان السماء يطلق في شرعنا بالاشتراك على ثلاثة : السكرة البخارية ، والأجرام السامية ، وجهة العلو - فتدبر .

ثم الظاهر كون المقصود من هذه النجوم هي سيارات شمسنا دون الكواكب الثابتة لقراءن في الكلام ، مثل تحديدها بالأربعة مع ان الكواكب الثابتة المجهولة في تلك العصور كانت اكثر من المعلوم منها ، اذ القدماء لم يرصدوا من الثوابت غير ألف ونيّف وعشرين ، ولقد بلغ المرصود من الكواكب الثابتة المبصرة في عصورنا المتأخرة قريبا من ستة آلاف كوكب .

وأیضا تخصيص بعض الهنود بمعرفة الواحدة من الثوابت أمر في غير محله ، لأن كثير من الثوابت كانت معروفة عند جمع ومجهولة عند آخرين ، اذ لم يكن بين الراصدين وسائط أو روابط ولا مراسلة أو مواصلة ، فلا يطلع أحد من حکماء الفرس أو اليونان أو الهند أو مصر أو غيرها على ما استخرجه الآخر إلا بعد قرون متطاولة .

وهذا بخلاف عصرنا الزاهر الذي تبلغ أخبار كل راصد الى البقية في الساعة ، سواء كان في أمريكا أو فينا أو في الجرمان أو في فرنسا أو في بريطانيا أو في اليابان أو غيرها .

وأیضا حکم الامام عليه السلام باستقامة حساب أولئك الهنود بسبب معرفة

نجم واحد من تلك الاربعة يناسب كونها من السيارات لامن الثوابت ، اذ الشائع من المحاسبات انما هو للسيارات أولا وارتباط حساب كل واحد منها بالآخرى ثانيا خصوصا على النظام الجديد . فيختل حساب جملة لو جهل حساب البقية ويستقيم بمعرفتها - كما لا يخفى على الفلكي ، ودوران الاحكام النجومية على دوران السيارات ثالثا ، فيحتاج حكم المنجم بشيء ان يعرف زمان دور السيارات ومكانها ومقابلاتها ومقارناتها والاجتماع والتزبيح ، الى غير ذلك من الاطوار الحاصلة لها في الأدوار ، فتعين كون المقصود من هذه الانجم الاربعة سيارات شمسنا .

وأما تطبيق هذه النجوم الاربعة على سيارات شمسنا فواضح في الجملة ، حيث ان الوصى عليه السلام يخبر عن نجوم سيارة في عالمنا غير معلومة للناس ، والذي كان معلوما لديهم من السيارات السماوية خمسة ، مع قطع النظر عن أرضنا التي كانوا على ظهرها ، وتلك الخمسة هي : الزهرة ، عطارد ، المريخ ، المشتري ، زحل . والثلاثة التي اختص علمها بهم هي : فلكان ، نبتون ، السيارة الخفية التي لم تنكشف لنا حتى الآن وقد ذكرناها في تنمة المسألة الرابعة .

وانما اختص علمها بهم - عليهم السلام - اذ لم يتمكن من ادراكها بصر مجرد من الآلات ، وهي لم تكن في عصرهم عليهم السلام قطعاً وانما اخترعت في حدود الالف الهجري ، فالمجموع مع الاراضى تسعة .

وأما الواحدة التي عرفها بعض الهنود فهي (أرانوس) التي كانت ترى كسجين من القدر الخامس بين النجوم ، فيجوز ان يكون بعض الحكماء الهند (وحدة أبصارهم معروفة) قد راقبها ورصدها حينما كان علم الفلك بين الهنود راقياً ذا أهمية ، فعرف كونها من السيارات وقوم حسابها .

وعدم شيوع تلك المحاسبات بين الناس قد يكون لانقرض ذلك البيت

أو لعروض الحوادث التي تعرض على أكثر العائلات .
 وبعض الاخبار - كما سيأتى في صدر الخاتمة - يشهر بكون أرانوس
 مرصوداً عند بعض الحكماء من غير العرب ، حيث يستعظم الوصى عليه السلام انكار
 السائل لنجمة ارانوس ويقول : « أفأسقطهم نجماً برأسه » ، فبضميمة ارانوس
 يكون المجموع عشرة ، وبإضافة الفليق - اعنى السيارة المتفسخة بين المريخ
 والمشتري - يكون المجموع احد عشر - كما أفادته الآية السابقة والخبر المتقدم .
 وانما لم يذكر الوصى عليه السلام نجمة الفليق في هذا الخبر لانه لم يكن في صدد
 بيان جميع سيارات شمسنا ما كان منها وما هو كائن . بل كان عليه السلام في صدد
 ذكر الموجود من السيارات الخفية والنجوم التي لا يعرفها أصحابه عليه السلام ، وعندئذ
 لا يكون عليه ان يذكر الفليق لانه في زمان نطق الوصى عليه السلام لم يكن نجماً
 لشمسنا ، بل كان منحللاً الى نجيمات ومتفسخاً قطعاً ، ولا عليه ان يذكر غير
 الانجم المعروفة .

« المسألة الثانية عشر »

(في وجود جنس الحيوان في السيارات)

نسمع بعض الحكماء المتأخرين يقصرون علينا أعاجيب عن الكرات السماوية ، من قبيل ان كل واحدة منها كأرضنا هذه ذات جبال وبحار وهواء وبحار وليل ونهار ومخلوقات حية من جنس الحيوانات الارضية ، فهل يوافقهم شرع الاسلام على هذه العقائد والمقالات أو يخالفهم كالمقدمين أو هو ساكت عن مطلق النفي والاثبات لمصالح خفية كسكوت باقي الديانات ؟ .

(الجواب)

قد اعتقد السالفون من الفلاسفة وغيرهم انفراد جرم الأرض - كما ذكرته مراراً - وان الطبائع المتفاعلة والعناصر المتقابلة مختص بعالم الأرض ، وهذا الاختصاص ينتج بتأ اختصاص وجود الحيوان الكائن الفاسد الناسي المتحرك المغتذى بهذه الأرض ، فان وجوده كبقائه مشروط بهذه الأمور ولا توجد في غير أرضنا ، فيختص وجود الحى المغتذى بها قطعاً . وكذلك سائر العناصر ولوازم المعيشة لا تكاد توجد في غير أرضنا ضرورة انها مشروطة جميعاً بتفاعل العناصر الاربعة والسكون والفساد . فاذا اقتصت الشروط بأرضنا يختص المشروط بها أيضاً ، وتكون

النتيجة حينئذ ان لا يكون غير أرضنا أرضاً ولا غير ما هو حول أرضنا من الماء والهواء والبخار والبحار والحيوان والنبات شيء من أمثالها .
نعم ، كان المليون منهم يثبتون مخلوقات جوهرية كاملة كالملائكة من غير جنس الحيوان والبشر ، لاعتقادهم مجرد أولئك الجواهر من الطبائع والعناصر وعلى أى حال لم يذكر احدهم هذا المعنى المذكور في السؤال .

* * *

وأما الحكماء الغرب فقد اتفقوا ظاهراً في ان السكرات السيارات حول شمسنا أراض كأرضنا ذات رمال وجبال وهواء وبخار وليل ونهار وفصول وأقمار ، كما فصلته في غرة المسألة الثالثة ، وذكرت المقالات الوافرة المتواترة عن نبي الاسلام وأوصيائه - عليهم السلام - المصرحة بهذا الرأي الجديد .
وذكرت هناك أيضاً ان وجود هذه الامور المسلمة لديهم لو صح في السيارات لكان اطلاق اسم الأرض عليها صحيحاً بالحقيقة لا بالتجاوز .
وأما وجود الحيوان والكائنات النامية المغذية المدركة فلم يستند فيه أحد حتى الآن الى حسه المسلح بأكمل النظارات فضلاً عن الحس المجرد .
نعم ، حكم الحدس من جماعة من الاواخر بوجود الكائنات الحية في الأجرام السماوية ولم يحصل عليه الاتفاق ، بل لم يزل النزاع فيهم على ساق ، وانما حدثت تلك الجماعة من وجهين وجيهين وأيدهم بعد حدسهم شواهد قوية :

الوجه الأول

هو انا نقطع بوجود الجبال في تلك السكرات ، فان الجبال وأشباهاها تظهر في النظارات ، ولا تتكون الجبال الا من صخور ورمال - كما نطقت به مباني علم الجيولوجيا - فيتعين كون أراضى السيارات مثل أرضنا ذات جبال

ورمال تصلح للغرس والزرع ونمو النبات .
 وأيضاً تقطع بوجود السكر البخارية لكل سيارة من البراهين والأدلة
 القوية ، كإكسار النور وشهود الشفق والظواهر الجوية وغيرها ، وكيف تكون
 السكر البخارية والظواهر الجوية والسحب والهواء واختلاف الفصول ونحوها
 من دون الأمطار والتلوج وهبوب الرياح ، فان نظام السكون لا يحتل والطبيعة
 لا تحرق نوااميسها ، والمعلول لا يتخلف عن علمته ، فلا يحصى من هطلان الأمطار
 بتردد السحب حول البحار بهبوب الرياح بتغير الفصول ، وحصول المد والجزر
 هنالك اكثر من أرضنا لكثرة الأقمار وسرعة دورانها وشدة اقترابها ، وهذه
 الامور بأسرها لا تنفك عن تكون النباتات المختلفة في هاتيك البقاع القابلة
 للأسباب المذكورة .

ثم ان الشجر والخضر متفرقة أو مجمعة في الآجام والسواحل لا تنفك
 عن الحيوانات الخلقية التكوينية كالحشرات والحوام ، وهي لا تنفك عن الحيوانات
 النسلية برية وبحرية ، لاسيما على مذهب النشو وارتقاء الانواع وانتخاب الطبيعة

الوجه الثاني

هو ما اعتمد عليه في موافقة أصحاب هذا الحـدس بعد اعتمادى على
 مقالات هداى المعصومين - عليهم أفضل الصلاة والسلام .

وذلك ان الامور الخمسة المسلمة عند الفلاسكيين المتأخرين اذا تمت وزال
 عن افقها الريب فلا يبقى هنالك مانع حسب القوانين العلمية يمنع عن وجود
 المخلوقات الحيوية ، وتكون موادها وماهيتها في تمام القابلية والصلاحية ، وعندئذ
 يستحيل قصور فيض الوجود عنها ، اذ المبدأ للوجودات عندنا في غاية الجود
 والسخاء يفيض بالوجود على كل ماهية بلغت حد قبول الوجود ، فيوجد كل

شيء حسب قابليته ، ولا يخل عن الفيض أبداً تعالى شأنه .

ومع ما قدمت كيف يجوز على المبدأ الفيض على الإطلاق ان يهيء في موطن كل المعدات وجميع لوازم العيش والحياة ثم لا يوجد من يستعملها وينتفع بها من الحيوان والنبات ، ولا يخلق ثمرة من يعرفه ويعبده ويستكمل بفيوضاته ومواهبه مع قابليته للوجود وصلاحيته للخلق - جل شأن الحكيم عن ذلك .

أقوال الحكماء في مسكونية السيارات

والأحرى بمقامنا هذا أن نذكر آراء المتأخرين ومرئياتهم في السيارات ثم نفصل الآيات والروايات الموافقة لهم ، فنقول :

قال العلامة فاندريك في أصول هيئته في الزهرة : ان من من نقصان النور بالتدريج نحو الخط الفاصل وبعض الكلف ظهرت لها كرة هوائية وبخارية . وقد حسب علو بعض جبالها ٢٧ ميلا ، غير أن ذلك تحت الشك من صعوبة رصد هذا السيار لشدة لمعانه . . .

وقال في المريخ ان حول قطبيه مساحة بيضاء تزيد في الشتاء وتصغر في الصيف يزعم انه الثلوج القطبية ، والسبكترسكوب أيضاً يدل على بخار ماء فيه ، والأقسام المصفرة اللون محسوبة برأ والمخضرة بجرأ ، والبر فيه أكثر من البحر عكس ما في الأرض ، ولم يكشف عن تسطيح قطبي هذا السيار ، وليس لهذا السيار قمر معروف ، فلا نعرف مادته الا تقريباً .

يقول المؤلف هبة الدين الحسيني : استكشف الأستاذ (اساف هال)
قرين للمريخ سنة ١٢٩٤ هـ بعد طبع اصول هيئة فاندريك ، ولأجل ذلك ذكرهما
فاندريك في سائر كتبه المتأخرة .

وقال فاندريك في المشتري : وبواسطة نظارة قوية يرى على وجهها مناطق
توازي خطه الاستوائى مختلفة العرض ، والألوان غير ثابتة على هيئة واحدة
وتارة تتغير تحت نظر الراصد . . . الى ان قال : ذكر (صوت) بقعة طولها
بالأقل ٢٢٠٠٠ ميل تلاشت في نحو ثلاثين دقيقة ، وذلك دليل على حدوث
ظواهر وتغيرات على سطحه من قبل مياه وغيوم وأمطار وأبخرة وهواء وما
يشبه ذلك .

وقد زعم بعضهم ان هذه الظواهر ليست من فعل الشمس به بل من
حرارته الذاتية والتغيرات الحادثة على سطحه في أبخرته كثيرة جداً ، حتى انه
شوهد قر من أقماره يختفي وراءه ثم يظهر عند المحل الذى اختفى فيه ، وذلك
من قبل تمدد الكرة الهوائية أو البخارية المحيطة بالسيارة ثم تقلصه .
أما نواحى خطه الاستوائى فغالباً أنور من باقى سطحه وقد يرى على سطحه
حلقات غير ثابتة وحدود المناطق المشار إليها غير واضحة ، وهى مزرقة اللون
تمتاز بسهولة عن لون جرم السيار . . .

وقد قال فى زحل : وزعم هرشل وجود كرة هوائية فى زحل ، وان
فصوله تشبه فصول المريخ . . .

وقال أيضاً فى أبواب طيف السيارات : ومن رصود (سكى) و (جانس)
ترجح وجود البخار المائى فى المشتري وزحل كليهما .

وقال فى النقش فى الحجر فى المريخ : وحول كل قطب من قطبيه قطعة
بيضاء تضيق مساحتها فى صيفه وتوسع فى شتائه ، واذا صغرت الواحدة تتسع

الأخرى ، مثل الثلوج حول قطبي الأرض .

وقال : المناطق والمعالم على سطح المشتري تدل على انه محاط بالسحب والمناطق اثلام في سحبه يرى فيها جرم السيار نفسه ، وتلك المعالم غير ثابتة على حال بل سريعة التمدد والتجمع والتقلص والانفصال والاتصال ، وذلك برهان كونه سحبا عائمة فرقه .

وقال في زحل : والظاهر من المناطق والمعالم على سطحه انه شبيه بالمشتري في كونه محاطاً بالسحب والبخار .

وقال في كتاب ارواء الظاء في عطار : وقد حكم بأن له كرة هوائية كثيفة تجعل الحد بين القسم المنور والقسم المظلم منه غير واضح ، وزعم بعضهم بوجود جبال فيه .

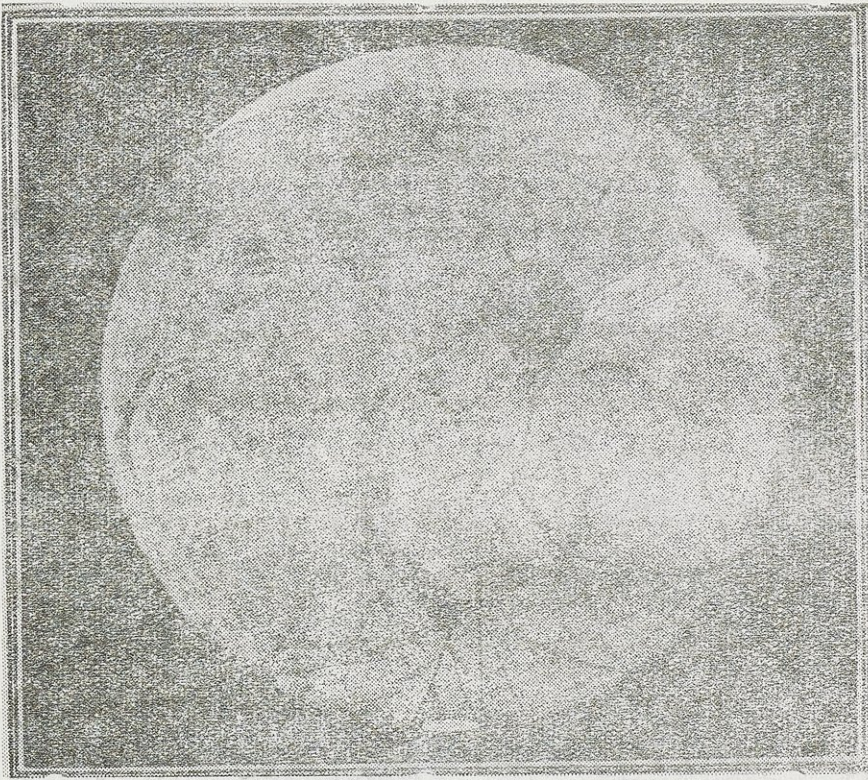
وقال في المريخ : وقد صنع بعضهم خارطة سطح المريخ ، وعينوا الأقسام اليابسة والمياه أسماء ، مثل قارة ميدلر وقارة سكي وجزيرة لوكير وبحر كنو بل وخليج برتن وبوغاز داوس وبحيرة سكييا برلى وبوغاز اراكو وغيرها . . الى ان قال : وان وجود مياه وجليد في المريخ يستلزم وجود كرة هوائية . ثم قال : وظهر بواسطة السبكستر سكوب ان السكرة البخارية للمريخ شبيهة بما للأرض .

أقول : ان الذي صنع الخارطة الخيالية للمريخ هو الفيلسوف الشهير الاستاذ (لول) كما تراها في شكل (١٤) .

وقال في المشتري بعد ذكر ظواهره الجوية : وكل هذه المناظر دالة على كرة هوائية وبخارية . . .

وقال فلاديميرون الفيلسوف الفرنسي الشهير في كتابه مامعناه : ان جبال عطار : أعظم من جبال أرضنا وارتفاع ، واكثر أحجارها معدنية ، وان كرة زهرة مثل الأرض الا انها أخف من الأرض بقليل واكثر أحجارها معدنية

وان الغيم ينقص حر الشمس في هواجر صيفنا ، وقد وجدنا الغيوم كثيرة
الترام في هواء اتمسفر عطار دأئماً ، فيجوز ان يكون ذلك لاعتدال الحرفيه



(ش - ١٤)

صورة المربخ كما رسمها الاستاذ لول وتظهر فيها ترعه المختلفة

وعليها سلاسل جبال ممتدة ومبسوطة ، والغيوم قد تترام فى هوائها الاتسفر وهى من جميع الجهات صالحة للسكنى والحياة . واحتمل ان يكون سكانها اناسا متمدنين وفيهم فلاسكيون يرصدون ارضنا كما نرصد ارضهم او تكون لهم ادوات اكل من ادواتنا .

وقال فى المريخ ان فيها اناسا متمدنين كاملين فى الصنائع عرف تمدنهم من استخراج ترع وكناللات عظيمة عرضها مائة ألف متر وطولها خمسة ملايين امتار فى مواضع مفيدة لدفع فساد مياه البحار عند المد .

وفى دائرة المعارف فى الزهرة : قد تحقق ان لها كرة هوائية محيطة بها ، كشفها مثل كثافة الكرة الهوائية للأرض ، وبعضهم حكم بأن قوتها على تكسير النور اقل من تلك القوة لهواء الأرض ، وحكم بعضهم بأنه اكثر ، وزعم بعضهم بأنه رأى ثلجا على قطبي الزهرة كما يظهر فى المريخ .

وقال ميخائيل فى مشهد الكائنات فى المريخ : وفى جو هذا السيار غيوم وضباب من ابخرة ماء كما شوهد ذلك بالمنظر الطيفى ، ومن هذا يستنتج الجوابه ان فى المربخ انهر آتجرى فيها المياه المتساقطة من هذا البخار واودية وجبالا ومجارى هوائية ، فيكون جوها كجونا مركبا من مواد واحدة ، وبره كبرنا أهلا بخلائق تنمشى على سنن خلائق ارضنا .

وقال فى هامشه : فاكشفوا على كثير من بقاعه وخطوط اقارانه ورسوموا بحاره وبجيراتاه وسموها بأسماء خاصة ، اما لونه الاحمر فقد ذهب الاكثرون إلى انه خاص بترتبه .

ثم قال فى المشتري : وفى المشتري حلقات موازية لخط استوائه ، منها نيرة ساطعة ومنها مظلمة كالحة سريعة التنقل ، لأن جو هذا السيار كشاف كثير الأنوار وكشافته تضارع كثافة الماء .

وفي حدائق النجوم قال في عطار : واطول جباله احدى عشر ميلا
بريطانياً ، وقد يعرض على وجه عطارده شبه السكف والشامة من ظلال جباله
وحدوث السحب في جوه .

وقال : جزم هرشل والحكيم دن وغيرهما بوجود كرة بخارية لزهرة
ارتفاعها خمسون ميلا جغرافياً ، والميل الجغرافي ٢٩٨٢ ذراع بريطاني .
ونقل عن كتاب ميكريين المؤلف سنة ١٧٩٢ م ان (شرطر) رصد
بنظارة هرشل جبلا في كسرة زهرة علوه خمسة اميال ، وقد ثبت ان طول
جبال زهرة ٢٢ ميلا بريطانياً .

واما المشتري فعلى سطوحه الاستوائية كلف وشامات تتغير وتنعدم
بأسرع من الشامات القروية من نراحي قطبيها فهي سحبها والغيوم التي يغيرها
افراط الحرارة في الحدود الاستوائية من سرعة حركته الوضعية ، ودوام
محاذات الشمس بسمت الرأس من تلك السحب .

وقال ايضاً : وارتفاع الكرة البخارية في زحل يقرب من ألف ميل .
وفي مجلة الهلال المصرية المجلد الحادى عشر ص ٨٧ : ان الاستاذ
(هوف) الامر يكائى ألقى خطاباً من عهد قريب في اعتقاده ان المريخ والزهرة
وعطارده أهلة بالناس وسائر الأحياء ، وان سكانها ارتق من سكان الأرض
بدناً وعقلاً .

قال : ولما كان المريخ اكبر سنا من الأرض وقد جمده وبرد قبل الأرض
بأزمان فالانسان وجد فيه قبل وجوده في الأرض وارتقى اكثر من
ارتقائه فيها .

وفي تقويم المؤيد لسنة ١٣١٩ هـ لمحضره الفاضل محمد مسعود أفندى
ما خلاصته : « ان الحكماء اختلفوا في مسكونية الكواكب ، والمشهور عدمها

وذهب هرشل واراغو من اكبرهم الى مسكونية الجميع حتى الشمس بذاتها ومرجع المشهور فى عدم المسكونية هو الرصد واستبعاد العقل ، اللهم اذا كان بعض شروط الحياة وافرة فى بعض النجوم فالأمر تحت الشك . والقمر خلو من الجو والماء وعناصر الحياة وشروط المعيشة ، ولكنهم يهتمون السكنى فى المريخ اذ الجوفيه متشبع ببخار الماء وسائر شروط الحياة كافية فيه ، ولو اختلف سكانها مع سكان الأرض فانما هو فى الشكل .

« المقرر الآن ان زهرة وعطارد نظراً لحدائث عهد وجودهما بالنسبة الى ارضنا غير قابلتين للسكنى ، ولو وجد فيهما فهم كسكان الأرض قبل خلق الانسان » .

« اما المشتري فجوه مشحون بالسحب واغلب سطحه سائل ، فلو كان مسكوناً فسكانه من الحيوانات البحرية » .

« واما زحل وارانوس ونبتون فلا يحكم عليها بشىء ، لبعدها المانع عن الرصد وضعف النور والحر فيها ، اذ هما فيه كجزء من ٩٠٠ جزء مما فى الأرض وطول مدة الفصول . ورأى الحكماء فى المريخ خطوطاً فزعوا أنها ترع وبحار وقالوا : ان الثقل فى المريخ ثلث ما على الأرض فيختص سكانها بالخفة والرشاقة » .

وقال الكاتب (برناردن دوسان بيتير) ان سكان الزهرة يشبهون سكان الأرض وبعض رعاة الأغنام والماشية على قمم الجبال والبعض الآخر يقيمون على ضفاف الأنهار ، اذ يقضون اوقاتهم فى الرقص ومد الموائد والتغنى والتسابق فى السباحة .

وقال فونتنل عن سكان عطارد : انهم يسكنون اصغر المنازل لصغر اجسامهم ، وانهم لشدة حر الشمس مصابون بالجنون .

وقال آخر في كتابه المطبوع سنة ١٧٥٠ بعنوان (سياحة عطار) ان
العطارد بين كالملائكة لهم اجنحة يطايرون بها في الجو وان جسومهم اصغر
من جسومنا .

وقال السير همفري دلفي : ان سكان زحل يتنقلون في الفضاء بواسطة
ستة اغشية رقيقة ، وان ألوان جلودهم اما سنجابية واما وردية ، وان غذاءهم
العناصر الغازية ، وهم كبار الجسم يتوغلون في الفضاء ويجلون حول السحب
كالمناطيد الجوية اذا حلت في السماء .

وقال الفيلسوف الألماني (وولف) ان المشتري أو ما بعده لا يصلها من
نور الشمس كثير ، فلا بد ان تكون اعين سكانها كبيرة لا سيتفاء حاجتهم
من النظر .

وقال : ان سكان المشتري يبلغ ارتفاع الواحد منهم خمسة امتار ،
وسكان نبتون سبعة عشر متراً .

وذكر الكاتب (نيقولا كليميوس) عجائب في هذا الباب في رواياته
عن الانسان النباقي . . .

اقول : وبعض هذه المنقولات مناسب لما ورد في اخبارنا الشارحة

لاحوال الملائكة وسكان السماوات (١)

وقال الحرر المذكور ايضاً في عطار : ان جباله مرتفعة وجوه سخابي
وقال في الزهرة بمشاهدة اراض وبحار على سطحها وجو كثيف وجبال شاهقة
والانتقال بها من فصل الى فصل دفعي لا تدريجي ، وفي المريخ ان به بحار
وانهار وجزر وثلوج وجو كجو الارض ، وفي نبتون ان جوه غازي يختلف
عن جو الارض . . .

(١) لا يظن احد مما جاء في هذه المسألة وسائر مسائل هذا الكتاب -

وفى المقتطف صفحة ٨٣ من المجلد الثانى بعد شرح المشتري قال ! فقد

— اننا نريد تصحيح الآثار الاسلامية المقدسة بعرضها على آثار الفلاسفة
العصرين وعلماء العصر الحاضر وبالنتيجة نثبت حقاينة الشريعة الاسلامية
الغراء بواسطة الاستمداد من عقائد هؤلاء ومكتشافتهم الحديثة ، لأننا اذا
صنعنا هذا نكون كمن يريد اثبات وجود الشمس المضيئة المتلألئة فى كبد السماء
بوجود نجمة خافية لم ترها العين بل لم يثبت وجودها خارجاً بعد .

نحن نؤمن ايماناً قوياً لا يشوبه شك ولا ريب بديننا القويم ، ونقطع
بأن الاخبار والآثار الصادرة حقاً عن النبي والأئمة عليهم السلام كلها مطابقة للواقع
ومبينة للحقيقة .

وعلى هذا ليس لنا ان نزيل يقيننا بما يتموله فيلسوف لا نعرف شخصيته
ولا حقيقته ، بل ولم تثبت وجوده الخارجى ، ولم نعلم - على فرض وجوده -
مبلغ حظه من العلم ومقدار تنزهه عن الكذب والافتراء وتشويه الحقائق .
ان أبعد غرضنا من نشر هذه المعلومات انما هو تحرير أفكار أولئك
السنج الذين يتبعون آثار القدماء خطوة خطوة ويقلدون الفلاسفة المتقدمين
تقليداً أعمى .

اننا نريد ان تتحرر أفكار هؤلاء فيتعلموا أكثر من ذى قبل فى الاخبار
والآثار الاسلامية وينظروا اليها بنظر استقلالى لا اتكالى حتى يستفيدوا منها
الحقائق الحقبة بلا تشويه أو تبديل .

نريد ان لا يكون هؤلاء كالمقدمين مقيدى محددين ، والذين حاولوا بما
أوتوا من حول وقوة ان يوفقوا بين ما تلى به الشرع الاسلامى الحنيف
ومعتقدات الفلاسفة الأقدمين ، فكانما الشارع الاسلامى المقدس كان
مبعوثاً من جانب بطليموس وأصحابه الآخرين .

ظهر مما ذكر ان هذا النجم الذى تراه العين صغيراً هو عالم كبير فيه هواء وماء — وبعبكس هؤلاء جماعة من المتحمسين للفلسفة الغربية المعاصرة ، حيث انهم اتبعوا آثار الغربيين اشد اتباع وتركوا كل ما هنالك من التراث القديم واستسلموا للفلسفة الجديدة استسلام العميد للسادة ، فطفقوا يخطون خطاهم طابق النعل بالنعل ، انهم يجدون ويحتشدون بكل امكانياتهم ان يوفقوا بين الآثار الاسلامية وآراء الغربيين ، ويجعلوا الشارع الاسلامى المقدس رهيناً لما يتفوه به هرشل وكبلر وغاليله وغيره .

وعلى ما ذهب اليه اتباع الفلسفة القديمة وماير نشئه أصحاب الفلسفة الجديدة فليس للاسلام فلسفة ومبدأ يخصه ، بل انه يتبع الآراء ويميل مع الأهواء ويوافق الفرضيات الخيالية بأى شكل يفرضه الناس .

حاشا وكلا : إن هذا أخذ جانب الافراط وذاك اتبع جانب التفريط ، وكلاهما مال عن طريق الهداية وسبيل الحق والحقيقة وانحرف عن الصراط المستقيم ، وليس هذا الامن نتأج عدم الاستقلال فى النظر وسلب حرية الفكر والا فليس للشارع الاسلامى وآرائه اتكال على ما يقول بطليموس وكوبرنيك وغيرهما .

يجب على الرجل الذى له الاستقامة فى عقله والحرية فى فكره ان يتدبر فى كل كلام يرد عليه غاية التدبر بلا اتكاء ولا اتكال على كلام غيره حتى يظهر على حقيقة الموضوع وواقعه ويجد ضالته المنشودة .

وغرضنا من هذه التعليقة الطويلة ان نقول للقارئ الكريم : ان المقصود من نشر هذه المعلومات ليس الا تقوية النظر الاستقلالى فى محبى العلم والحقيقة ، واخراج الآثار والأخبار الاسلامية من تحت ضغط النظريات الاتكالية التى سبقت وان وقعت تحت ضغطها .

وغيوم وأمطار ... الى ان قال : من يفكر في كبر المشتري وفي خلق أربعة أقمار له (١) ويتدبر حكمة خالقه الظاهرة في كثير من تفاصيله قلها يشك في كونه مسكوناً بخلائق حية كأرضنا هذه الصغيرة بالنظر اليه ، بل لو حاول غيره ان يبرهن له خلوه من المخلوقات لضحك منه ، اذ المرء يستغرب ان يرى في الكون عالماً كبيراً كالمشتري مخلوقاً عيشاً ، وهو يعلم ان الباري سبحانه لم يخلق شيئاً في هذه الأرض الا لقصد و منفعة .

وفي المقتطف أيضاً صفحة ٥١٥ من المجلد الرابع والثلاثين وضع الأستاذ (لول) الأمريكي كتاباً عن المريخ وترعه سنة ١٩٠٦م بعد ان بحث فيه بحثاً علمياً دقيقاً واستنتج انه مسكون بمخلوقات عاقلة ، يخالف بذلك الدكتور ولس الذي كتب سنة ١٩٠٣ مرجحاً ان الأرض هي الجرم الوحيد المؤهل لسكنى الانسان ثم كتب ولس مبيناً ان المريخ لا يصلح للسكنى لأنه خال من الماء ، لسكن المستر سيلفر أثبت بالبحث السبكترسكوبي وجود بخار الماء في المريخ ، فاذا كان فيه ماء فليس ما يمنع وجود الحياة فيه . وقد وضع الأستاذ لول كتاباً آخر الآن عن المريخ كمقر للحياة اقام فيه الأدلة على انه مسكون بمخلوقات بالغة درجة

— ان هذه التطبيقات غير جائزة الا في حقيقة ظهرت كالشمس في رابعة النهار وجاء حديث اسلامي مطابق لتلك الحقيقة ، فهناك تظهر المعجزة النبوية وتزيد في نشاط المسلمين واطمئنانهم وتنبيه المخالفين وترشدهم الى الصراط المستقيم - (ف) .

(١) ذكر ذلك قبل اكتشاف بقية أقماره ، فكيف به لو كان يعلم بأن حول المشتري تسعة أقمار او اكثر .

عالية جداً من الارتقاء العقلي والصناعي (١) .

أقول : وعمدة استبعاد الحكماء وجود الحيوان في السكرات القريبة من الشمس كعطارد وفلكان وبعيدة عنها كزحل وارانوس ونبتون انما هو من جهة افراط الحر في الأولى من كثرة الاقتراب من الشمس وافرط البرد في الثانية من كثرة البعد عنها . وترى نسبة قرب السيارات وبعدها عن الشمس في شكل (١٤) .

ولرفع هذا الاستبعاد عندي وجوه من القول :

(الوجه الأول) ان ذلك يناقض حياة حيوان فيها يماثلنا في الطبع والمزاج ولا يناقض وجود حيوانات فيها توافقنا في الحقيقة والحياة وتخالفنا في الطبع والمزاج وبعض الشكل ، كما ان الله تعالى خلق في أرضنا بشرآ في نواحي الخط الاستوائي قوى الجسم غليظ الجلد يتحمل من الحر مالا نتحملة ، وخلق في أرضنا بشرآ في حدود القطبين على خلاف الخلق الأول ويتحملون من البرد مالا نتحملة ، ولو

(١) نشر كتاب الاستاذ لول المذكور هنا في المقتطف يناير سنة ١٩٠٨ ص

١٢ وقد جاء فيه بتسع وثلاثين شاهد على وجود الحياة في المريخ ، وهاك أصنافها :

(منها) تشابهه مع أرضنا في اليوم وميل محوره .

(ومنها) ثلوج قطبيه التي تتغير حسب فصوله ومداره قلة وكثرة .

(ومنها) كرتة البخارية المحيطة بجوه وتغيراتها حسب فصوله وأحواله .

(ومنها) وجود الشفق والنور والعناصر في جوه .

(ومنها) التغيرات الشبيهة بالغيوم والكاف والغبار في جوه .

(ومنها) شواهد النبات والبحار والجبال فيه .

ولو استشهد بالأقمار أيضا لأكمل أربعون شاهداً .



(ش - ١٥) نسبة بعد السيارات عن الشمس

بقى الخلق الأول في مكان الخلق الثاني يوماً لهلك من شدة البرد ، كما ان الخلق الثاني لو بقي في مكان الخلق الأول يوماً لهلك من شدة الحر ، وهذا التفاوت العظيم نجده في باقي الحيوانات الموجودة في أرضنا أيضاً .

وحسبك المنقول عن السمندل وتعيشه في النار من دون ان يحترق ، وكذا بعض الدود الذي يتولد في الثلوج العتيقة ويموت بأدنى حرارة يمسه .
(الوجه الثاني) ان مجرد القرب والبعد عن الشمس لا يكون دليلاً قاطعاً

على شدة الحر أو البرد ، اذ قد يمتزج القرب المفرط من الشمس بأمور تستوجب البرد ، وكذلك البعد المفرط عنها قد يمتزج بما يستوجب الحر من لطافة الهواء أو كشافتها ، كما نرى في أرضنا ان جبال هماليا مع ارتفاعها المفرط وكونها في أواسط المنطقة الحارة لا تنفك رؤوسها أبداً عن الثلوج المتراكمة فيها ، ولا يطاق البرد هنالك ، مع كونها أقرب نطاق الأرض الى الشمس .

وأما أوهاد تلك الجبال وسواحل البحار وحصباء العرب وقفار الهند فلا يطاق حرها مع كثرة بعدها عن الشمس ، فأسباب الحر والبرد غير محصورة في مجرد القرب أو البعد عنها .

فلم لا يجوز اقتران قرب عطارد ونحوه بسرعة تبدل الفصول وبمياه جارية واهوية مساعدة وخواص اخرى ، كما سمعت عن فلامريون الفرنسي أنفأ ، فيضعف الحر فيه أو خلق طبائع أهله وامزجتهم على نحو يتحمل ذلك وكذلك بعد زحل ونحوه فانه قد ينجر بشدة حرارة مادة أرضه وكشافة جوه وكثرة أبقاره وصقالة بطحائه واستعداد أهله .

(الوجه الثالث) ان افراط القرب يقوى تأثير الحر في الحدود الاستوائية لاني الحدود القطبية ، وافراط البعد بعكس ذلك .

فلم لا يجوز سكنى سكنة عطارد ونحوه في حدوده القطبية الضعيفة فيها حر الشمس وسكنى سكنة زحل ونحوه في حدوده الاستوائية المجتمعة فيها الحارات .

(الوجه الرابع) ان الأغذية المفرطة في البرودة وكذلك الأغذية المفرطة في الحرارة قد يجبران الحر والبرد الشديدين ، فيجوز على سكنة عطارد ونحوه المعالجة بواقيات الحر ما كلاً وملبساً ومسكناً ، وكذلك على سكنة زحل ونحوه ان يعالجوا بالبرد بالدوافع وما يقي عنه في الأكل والملبس والمسكن - فتفتن

ولنطرى اكناف المقال اذ قرب الخروج من وضع الكتاب ، ولقد ذكرنا لك خلاصة مذهب القدماء وآراء المتأخرين وأقوالهم المستغربة ، ورفعنا استبعادها بوجوه صحيحة . فالواجب علينا الآن نقل الظواهر الشرعية التي نحسبها موافقة لآراء المتأخرين ، فنقول :

أما الظواهر الشرعية الاسلامية في هذه المسألة فكثيرة جداً ، ذكرنا جملة منها في مسألة تعدد الأرضين كالمقالة الرابعة والعاشرة والحادية عشر والرابعة عشر والخامسة عشر والسادسة عشر - فراجعها وخذ البقية ههنا :

١ - قال سبحانه وتعالى : ﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بينهما من دابة ﴾ (١) وهذه الآية ظاهرة في وجود الخلق والدواب في السماوات مثل ما في الأرض ، لأنه لم يفرق بين الأرض والسماوات ، اذ قال تعالى : ﴿ بث فيها من دابة ﴾ .

والدابة ظاهرة عرفاً ولغة فيما يدب على وجه الأرض ويمشى عليها حتى الانسان ، كما قال تعالى في آية أخرى : ﴿ ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾ (٢) والمراد بـ ﴿ الذين لا يعقلون ﴾ هم المشركون ، ويؤيده الموصول المخصوص لذوى العقول ، واتفق المفسرون أيضاً - كاللغويين - على ان الدابة كل ما يدب ويمشى على وجه الأرض من انسان وحيوان غير الطيور ، كما قال سبحانه : ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم أمثالكم ﴾ (٣) .

وقد ذكرنا فيما سبق أيضاً أن السماء اسم لكل جوهر علوى ، وان كل

(١) سورة الشورى آية ٢٩ .

(٢) سورة الأنفال آية ٢٢ .

(٣) سورة الأنعام آية ٣٨ .

ماعلاك فهو سماؤك ، حسبما اتفق عليه اللغويون .

ومن الايات المؤيدة لفحوى هذه الآية السكرية قوله تعالى : ﴿ والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة ﴾ (١) وعطف الملائكة يدل على ان تلك الدواب هي غير الملائكة ، ويحتمل ان يكون الكلام قد جرى على ترتيب اللف والنشر المشوش ، بأن تكون الملائكة هي ما في السموات والدابة هي ما في الأرض .

فاذا أورد في الشرع كلمتا الأرض والسماء معا مفردين كان الظاهر من الأرض أرضنا ومن السماء مطلق ماعلاها من الاجرام والهواء والفضاء ، واذا ورد لفظ الأرض مفردا مع لفظ السموات مجموعة كان الظاهر من الأرض أرضنا ومن السموات الاجرام العالية والكرات السامية كما في هذه الآية ، واذا ورد لفظ الارضين مع لفظ السموات مجموعتين كان الظاهر من الارضين الاراضى السبع السيارة الشاملة لأرضنا والسموات كراتها البخارية المحيط بكل من تلك الارضين وهذه القاعدة قليلة التخلف في ظواهر شرعنا الاقدس ، وعليك بالاستقراء . وبناء آ عليها يكون المقصود من السموات في هذه الآية السكرات السامية والدواب فيها اشارة الى ما يدعيه المتأخرون من وجود الكائنات الحية فيها . وقد ورد هذا المعنى في اكثر الاخبار صريحا كما ستبلى عليك .

والمفسرون اذ لم يتعقلوا وجود الدواب فيما عدا الأرض تأولوا في الآية بما وسعه عليهم وصرفوا ألفاظ الآية عما كانت ظاهرة فيه ، ولست كنهم مع ذلك اعترفوا بظهور الآية في وجود الحيوان في السكرات السامية ، ونفى الخشري والبيضاوي وغيرهما استبعاد ان يخلق في السموات حيوانات يمشون فيها مشى الاناس على الأرض ، وقالوا : سبحانه الذي خلق ما نعلم وما لا نعلم من

من اصناف الخلق - انتهى .

فلو صحت الآراء الأخيرة اخذنا بظاهر الآية وفاقاً للمتأخرين ، ولو ظهر بطلانها واستحالتها وافقنا القدماء في تأويل هذه الظواهر وصرف وجودها إلى معان مناسبة .

٢ - قوله سبحانه : ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجا ﴾ (١) فان جمعاً من المفسرين اخذوا البروج في هذه الآية بمعناه اللغوي - اعنى القصر والبناء الرفيع - لا بمعناه الاصطلاحي الحادث بعد النبي (ص) ، اعنى به منزل الشمس من فضاء النجوم المحدودة اثني عشر . وقال الرازي : « البروج هي القصور العالية » .

فعلى هذا يجوز ان يكون اشارة إلى الآراء الحديثة من وجود الأهالي والأبنية والقصور والمدن في السموات السامية .

وتكثير البروج في الآية مؤيد لعدم كونها اشارة الى منازل الشمس المعروفة الاثني عشر ، اذ لو كان لفظ البروج اشارة اليها لكان الأنسب تعريفها حسب كونها معبودة بين الناس .

٣ - في البحار والكافي للكليني والوافي للعلامة محمد محسن الفيض وبصائر الدرجات والانوار النعمانية وغيرها بالاسانيد إلى عجلان بن ابي صالح قال : دخل رجل على ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) فقال له جعلت فداك هذه قبة آدم (عليه السلام) ؟ قال : « نعم ، والله قباب كثيرة ، ان خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثون مغرباً ، ارضاً بيضاء مملوءة خلقاً يستضيئون بنوره (ها خ ل) لم يمضوا الله تعالى طرفة عين ، ما يدرون خلق آدم (عليه السلام) ام لم يخلق ، .

اقول : كأن هذا السائل كان مسبوفاً بخبر القباب الذى شاع عن محمد الباقر عليه السلام والد جعفر الصادق عليه السلام فقصد سماعه من الصادق ايضا ، وسنروى خبر القباب فى باب تعدد العوالم وانه عليه السلام نظر الى السماء وقال : هذه قبة ابينا آدم عليه السلام والله سواها كذا وكذا قبة .

وقوله عليه السلام : « ارضاً بيضاء » ظاهر فى كونه بياناً للغرب ، فيكون الغرض - والعلم عند الله - بيان كثرة الاراضى فى الفضاء وامتلاء الكل خلقاً كما يراه جملة من المتأخرين . والضمير فى بنوره راجع الى الله ، ونور الشمس ايضا نور الله تعالى وفيضه المقدس الاشرافى .
والسر فى تنزيه اوائل المخلوقين عن المعصية نذكره فى اجوبتنا عن المسائل المتفرقة .

وفى كتاب (فلك السعادة) للفاضل اعتضاد السلطنة ابن الخاقان فتح على شاه القاجار قال ما معناه : انى عرضت هذا الخبر على بعض حكماء اوربا فقال - بعد استغرابه - : لو كنت على يقين من صدور هذا الكلام من وصى نبيكم لآمنت به واسلمت .

اقول : وانما يحجز الفاضل المذكور من توضيح صحة اسناد هذا الخبر لأجل انه لم يكن ذا حيلة بأسانيد الأخبار ، ولا كان كثير الاطلاع على الكتب . وحسبك ان هذا الخبر المستفيض نقل فى كتب الحفاظ - كما ذكرنا بعضاً منها - ولم ينقله هذا الفاضل الا من كتاب غير معروف ، اذ صرح فى فلك السعادة بأنى وجدت هذا الخبر فى كتاب نظام الدين احمد السكيلا فى تلميذ سيد الحكماء محمد باقر الداماد .

فلو اطلع على وجود هذا الخبر فى الكافى فقط لكفاه فى اتمام الحجة على من اراد ، لتواتر كتاب الكافى بين المسلمين ووفور نسخه العتيقة جداً .

وأما نحن فبفضل من الله تعالى ورحمته ننقل أكثر هذه الأخبار من الكتب الشهيرة والنسخ المتقدمة تاريخها على الأعصار الأخيرة ، ومن شاء الثقة وتكميل الحجة فليراجعنا وله الفضل .

٤ - في ينابيع المودة ص ١٦ من طبع بمبي عن أحمد بن حنبل وعن ابنه وعن الحريري في فرائد السمطين وعن الحاكم وعن الصواعق وعن نوادر الأصول ، وهؤلاء الستة بأسانيدهم عن علي بن الحسين وعن ابن عباس وعن أنس وعن جابر وعن أبي سعيد الخدري وعن سلمة بن الأكوع وعن أبي موسى الأشعري ، وهؤلاء السبعة عن النبي ﷺ أنه قال : « النجوم أمان لأهل السماء ، فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض ، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض » .

وهذا الخبر دليل على وجود الأحياء العاقلة بل على البشر في السموات السامية ، بقرينة وحدة السياق في أهل السماء وفي أهل بيته ﷺ ، وبقرينة أن المراد من أهل السماء لو كانوا هم الملائكة الذين سموهم الفلاسفة ارواحاً مجردة لزم الكذب ، لأن النجوم ليست أماناً للملائكة بل الملائكة هم أمان للنجوم .

وفي هذا الخبر المستفيض بل المتواتر اشعار بالجاذبية العمومية أيضاً بين اجرام السماء كما لا يخفى على من تدبر .

٥ - في البحار للمجلسي والأنوار النعمانية للسيد نعمة الله الجزائري وكتاب الفتوحات المكية لشيخ العرفاء محي الدين المتوفى سنة ٦٣٨ في الباب الثامن عن عبد الله بن عباس صاحب النبي ﷺ وابن عمه في حديث الكعبة « أنها بيت واحد من أربعة عشر بيتاً وإن في كل من الأرضين السبع خلقاً مثلنا ، حتى إن فيهم ابن عباس مثلي » .

وهذا الخبر صريح في وجود البشر في الكرات السماوية ، وإن لله تعالى امثال هذه الكعبة المشرفة غيرها ، قد جعلها مطافاً لعباده في سائر الاراضي السيارة ، وليس هذا بمستبعد وليس على الله تعالى بعزير .

٦ - روى الشيخ رجب البرسي في مناقبه المؤلف سنة ٨٠٠ والشيخ ابراهيم الكفعمي من علمائنا في القرن العاشر والعلامة المجلسي في البحار بالاسانيد عن الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ان جبرئيل قال للنبي (ص) والذي بعثك بالحق نبياً ان خلف المغرب ارضاً بيضاء فيها خلق من خلق الله تعالى يعبدونه ولا يعصونه ، قد تمزقت لحومهم ووجوههم من البكاء . قال امير المؤمنين علي عليه السلام : قلت يا رسول الله ليس هنالك ابليس او احد من بني آدم؟ فقال عليه السلام : « والذي بعثني بالحق نبياً ما يعلمون ان الله خلق آدم ولا ابليس ، ولا يحصى عددهم الا الله تعالى » .

اقول : وهذا الخبر الشريف يدل ايضاً على وجود الكائن الحي في غير ارضنا من نوع البشر لاختصاص البكاء بالانسان واللحم بالحيوان والعبادة ونفي العصيان وعدم العلم بشيء خاص بأسرها متفرعة على العقل والقدرة . وقد ذكرنا مراراً ان اخبار الامامية ومختار جملة من علمائنا المتقدمين يقتضي عدم انحصار مبدأ البشر بآدم عليه السلام بل هو ابونا فقط ، وستأتي الاخبار المصروفة بتعدد امثال آدم في كل عهد وعالم .

٧ - روى الشيخ محمد الحر العاملي في الصحيفة الثانية السجادية عن الامام السجاد علي بن الحسين السبط عليه السلام في صلاته على آدم انه قال : « فصل عليه انت وملائكتك وسكان سماواتك وارضك » .

فان عطف سكان السماوات على الملائكة ظاهر في مغايرتهما على ما هو مقتضى العطف ، واذ لا يوجد حي بعد الملائكة غير امثال الكائنات الارضية

الحية افاد المطلوب ، وهو وجود الحيوان في الكرات السماوية .

٨ - في بحار الانوار للجليلى والدر المنثور للسيوطى عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن الارض مثلهن ﴾ قال : « سبع ارضين فى كل ارض نبى كنيكم وادم كآدمكم ونوح كنوحكم و ابراهيم ك ابراهيمكم وعيسى ك عيسى » . وبهذا وأشباهه ندفع كثيراً من الشبهات الدينية المستحدثة ، ولما كان الالتفات إليها خارجاً عن نظام هذا الكتاب ذكرناها فى غيره من اجوبتنا للاستئلة التى ترد علينا ورسائلنا الخصوصية .

٩ - فى معجم البلدان لياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ مسنداً الى عطاء ابن يسار وفى دائرة المعارف ايضاً ناقلاً عن الشيخ سراج الدين فى عجائب المخلوقات (١) ايضاً عن عطاء وهو من تبعة اصحاب النبى (ص) فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن الارض مثلهن ﴾ قال : « وفى كل ارض آدم مثل آدمكم ونوح مثل نوحكم و ابراهيم مثل ابراهيمكم » .

١٠ - فى تفسير سورة الصفات من تفسير القمى وفى المجلد الرابع عشر من البحار بسند صحيح الى على امير المؤمنين (عليه السلام) انه قال : « هذه النجوم التى فى السماء مدائن مثل المدائن التى فى الارض ، مربوطه كل مدينة بعمود من نور ، طول ذلك العمود فى السماء مسيرة مائتين وخمسين سنة » .

وروى هذا الخبر بعينه الشيخ فخر الدين الطريحي المتوفى سنة ١٠٨٧ هـ فى مجمع البحرين فى لغة (كوكب) مرسل عن على (عليه السلام) ، الا انه روى فى آخر الخبر قوله (عليه السلام) : « ان كل مدينة منها مربوطه بعمودين من نور » . وعلى اى تقدير فظاهر الخبر يرشدنا الى وجود مدن وعمران فى الكرات السماوية ، وهو مستلزم لوجود الاهالى والسكان المتمدنين - كما ظهر

(١) الظاهر انها خريدة العجائب كما سيأتى دون عجائب المخلوقات .

ذلك للمتأخرين في نجمة مريخ ، فتذكر ما قدمناه .

وقوله عليه السلام : « مربوطة بعمود من نور » قد يكون اشارة إلى تأثير جاذبية الشمس في حفظ نظام السيارات ، واتصال حامل الجاذبية بالنجوم على نحو الخط العمودى - كما اتفق عليه الحكماء المتأخرون اجمع .

وقوله عليه السلام في الرواية الأخرى : « بعمودين من نور » يمكن ان يكون اشارة الى ما تقرر أخيراً ان نظام السيارات تحفظه قوتان من الشمس : أحدهما قوة جذب الشمس لها ، والثانية قوة اندفاعها عن الشمس بسبب التحرك الدورى . فلوانفردت الأولى في التأثير ولم تكافئها الثانية لهوت جملة السيارات في كورة الشمس ، ولو انفردت الثانية ولم تكافئها الأولى لرميت النجوم الى خارج نظام الشمس من انفضاء الوسيع .

وانما استقرت السيارات في أفلاكها المعينة وانضبط نظامها بواسطة ارتباطها مع الشمس بعمودين وانقيادها بين جاذب ودافع والعلم عند الله تعالى واوليائه عليهم الصلاة والسلام (١) .

١١ - فى البحار عن مفاتيح الغيب للرازي محمد نحر الدين المتوفى سنة ٦٠٦ قال : قال رسول الله (ص) : « ليلة اسرى بي الى السماء رأيت فى السماء

(١) هذان تفسيران وجيهان للعمود والعمودين وجالبان للنظر جداً
ولكن ببق اشكال فى تحديد على امير المؤمنين عليه السلام طول كل عمود بمسيرة مائتين وخمسين سنة لم ينتحل بعد ، ووجه الاشكال من جهتين :

(الأولى) يلزم ان يكون بعد كل سيارة عن الشمس مسيرة مائتين وخمسين سنة ، وهذا التحديد لم يقل به أحد حتى الآن .

(الثانية) مساوات كل السيارات فى بعدها عن الشمس ، مع العلم ان بعد السيارات عن الشمس يختلف كثيراً - (ف) .

السابعة ميادين كميادين ارضكم هذه .

وروى هذا الخبر ايضاً الحافظ الشيخ رجب البرسي من ابناء المائة الثامنة عن الرازي في مفاتيح الغيب انه قال : « في السماء الرابعة » بدل السماء السابعة - فتدبر .

وعلى أى تقدير فظاهر هذا الخبر يدل على مشابهة السكرات السامية لأرضنا ووجود الميادين عليها لجولان كائناتها الحية .

١٢ - في البحار والدر المشور عن بعض أئمة الكوفة - والظاهر انه الامام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) - عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) في شرح الأرض البيضاء خلف مغربنا الى ان قال (عليه السلام) : « فيها خلق من خلق الله لم يعصوا الله طرفه عين ، فقيل : يا نبي الله أهم من ولد آدم ؟ فقال (عليه السلام) : « ما يدرون خلق آدم أم لم يخلق » قيل : يا نبي الله فأين ابليس عنهم ؟ قال (عليه السلام) : « ما يدرون خلق ابليس أم لم يخلق » .

وقد ذكرت ما يتعلق بهذا الخبر في شرح الخبر الخامس وغيره ، فراجع تنتفع .

١٣ - في كتاب الفقيه أبي الليث السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٣ هـ عندي نسخة منه عتيقة جداً عن النبي (صلى الله عليه وآله) انه قال : « خلق الله تعالى أرضاً بيضاء مثل الدنيا ثلاثين مرة الى ان قال : « محشوة خلقاً من خلق الله لا يعلمون ان الله تعالى يعصى طرفه عين » قالوا : يا رسول الله أمن ولد آدم هم ؟ قال (عليه السلام) : « لا يعلمون ان الله تعالى خلق آدم أم لم يخلق » قالوا : يا رسول الله فأين ابليس عنهم ؟ فقال (عليه السلام) : « ولا يعلمون ان الله تعالى خلق ابليس » ثم قرأ (عليه السلام) قوله تعالى : ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾ .

١٤ - في تفسير الفاضل النيسابوري عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن

الأرس مثلن ﴿ناقلا : ان في كل أرض منها خلق . قال : حتى قالوا إن في كل منها آدم وحواء ونوح وإبراهيم وهم يشاهدون السماء من جانب أرضهم ويشهدون الضياء منها أو جعل الله تعالى لهم نوراً يستضيئون به .

وذكر النقاش في تفسيره فضلا في خلائق السماوات والأرضين وأشكالهم وأسمائهم أضربنا عن إيرادها لعدم الوثوق بمثل تلك الروايات - انتهى .

١٥ - الحديث المتواتر عن النبي ﷺ انه قال : « ان النجوم أمان لأهل السماء ، وان أهل بيتي أمان لأهل الأرض » .

وهذا الخبر مشعر بأن السماوات آهلة بالخلائق ، فيكون معنى أمان النجوم لهم انها كالسفينة قرار لهم ومسكن ، ولولاها الساخوا في بيداء الفضاء أو غاصوا في أعماق جو بعيد الانتهاء ، كما ان أهل بيت النبوة أمان لنا وسفينة لنجاتنا من الغرق في بحر الظلمات ، وقد قال ﷺ في خبر آخر : « مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق » .

أقول : ليس عدم وثوق العلماء بمثل هذه الأخبار من جهة خلل في اسنادها ، إذ فيها أخبار صحيحة السند قوية النسبة أيضاً ، وانما ضعف وثوقهم بأمتالها من جهة غرابة مضامينها ومخالفتها للقواعد الفلسفية التي كانت مسلمة لديهم في العصور المتقدمة - كما حققناه في المقدمة الرابعة .

ولقد كان المحققون من علمائنا يستكشفون من نقل هذه الاخبار ويرون نقلها وهناً للدين في أنظار عقلاء عصرهم .

نعم كان بعض الحفاظ والمحدثين يحدثون بجميع ما وصل اليهم تعبداً بأوامر الشريعة وتجمداً على ظواهر ما جاء منها .

ونسأل الله تعالى ان يجازيهم أحسن الجزاء ، ونحمده جل ذكره حيث

أنعم علينا في هذه العصور برفع الخجل والفشل عنا من كشف أسرار بعض
أخبار حجبنا الاطهار بسبب ارتقاء الكمالات والعلوم ونمو فن الهيئة والنجوم
فظهرت لنا حقائق الكون ودقائق الطبيعة واختمت المستكشفات الحديثة أحسن
ترجمان للقرآن والحديث ، وخير نظارة تبصر بها أسرار شرعنا المقدس ،
وأفصح لسان ينطق بصحة الدين والمذهب - ولله المنة وهم الشكر .

« المسألة الثالثة عشر »

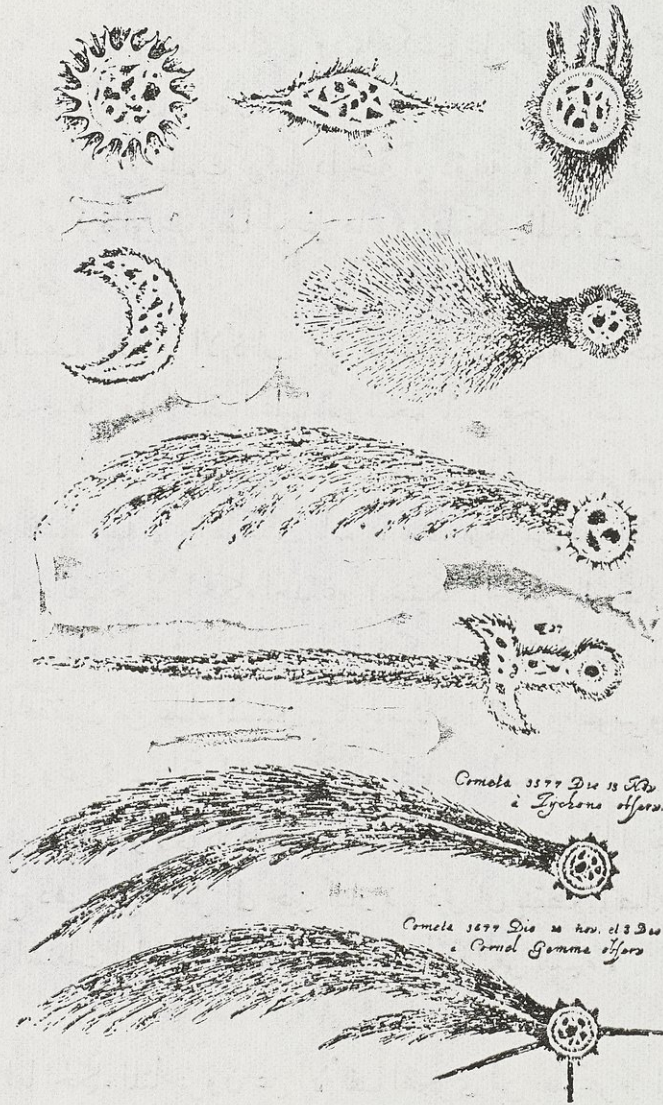
(في الشهب والمذنبات وأحجار الجو)

قد بدل البحث والتدقيق رأى الحكماء في حقيقة ذوات الاذنبات والرجوم فقد كان القدماء منهم يعتقدون جميعاً ان الرجوم والمذنبات ليست من مقولة الانجم والفلكيات بل هي من حوادث جونا المتكونة من الابخرة والادخنة ، وهم اليوم متفقون ظاهراً على ان المذنبات والرجوم بأسرها من مقولة الكواكب والنجوم .

وتحقيق هذه المسألة - ولو لم يكن من وظيفة الدين - لكننا نحب العلم بأن الشريعة هل وافقت المتأخرين أو القدماء ، أو اتخذت كسائر الشرائع سكوتها مغنياً ؟

(الجواب)

أعلم ان الشعلة الحادثة ليلاً في جو السماء المشابهة للشهب والسهام الثاقبة لا يرتاب أحد في وجودها ، وانما قام الخلاف بين الحكماء في مادتها ومنشأ حدوثها فالفلاسفة السالفون كأرسطو وأتباعه وبطليموس ومن بعده زعموا أن الدخان اللزج الدهني اذا تصاعد من أرضنا واقترب من الكرة النارية المتصلة بفلك القمر ولم تنقطع مادته عن هواء الارض أخذت النار تشتعل وتسرى فيه الى آخر مادته ، فيرى كالخيط المشتعل أو كالشهاب المنفصل . فاذا كانت مادة



(ش - ١٦) صور المذنبات من الكتب القديمة

الدخان لطيفة كانت عند الاشتعال ناراً صرفة غير مبصرة ، وإذا كانت كشيعة بقيت مبصرة بعد الاشتعال ، وربما مكثت على غرائب الأشكال على اختلاف مواد الدخان وصوره .

قالو : وربما شابها كوكباً ذا لحية أو ذؤابة أو قرون أو ذنابه أو شكل تنين أو كرة أو مخروطياً أو غيرها ، وربما تكثر المادة فتضىء باشتعالها وجه الأرض .

فالشهب وذوات الأذنان بأسرها عندهم كائنات من أدخنة الأرض وحوادث جوها ، ولوا أطلقوا عليها اسم النجم نادراً فتجوز بعيد .

وانما لم يجوز وأعدّها من الفلكيات لوجود الميل المستقيم فيها وتطرق السكون والفساد اليها ، والفلكيات بأسرها لديهم منزهة من هذه الأمور .

ولم يخالف هؤلاء الحكماء أحد غير (سنيكا) الحكيم الروماني ، فأنه انكر على أرسطو رأيه في المذنبات واحتمل كونها من مقولة السيارات .

والمحققون من علماء المسلمين - كابن سينا والرازي والطوسي والجرجاني والتفتازاني وغيرهم - وافقوا الفلاسفة من ادعائهم بأصولهم .

وقد أوجز الرازي كلامه في مباحثه الشرقية فقال : « إذا ارتفع بخار دخان لزج دهني حتى وصل إلى حيز النار من غير أن ينقطع اتصاله عن الأرض اشتعلت النار فيه نازلة فيرى كأن تنيناً ينزل من السماء » .

* * *

وأما الحكماء المتأخرون عن الألف الهجري فمن بعد تحرير الأفكار وأرسالها جوالّة في كل مضمار مع موافقة الأسباب ومساعدة الأدوات اجمعوا ظاهراً على أن الشهب والمذنبات من مقولة السيارات ، وإن مادة الكل واحدة وليس شيء منها ناشئاً عن ادخنة الأرض ، وإنما هي أجرام سيارة

في جو السماء مستقلة كأجرام السيارات العظام مادة ومنشأ .
 واول من قاس بعدها عن الأرض هو (جون مار) الفلكي الألماني
 الملقب برجيو منتانوس في القرن الخامس عشر الميلادي ، فوجد ان زاوية
 اختلاف المذنب الذي ظهر سنة ١٤٧٢ م نحو ستة درجات .

ويظهر من حقائق النجوم وغيره أن تينخو براهيه الدانيمركي المتوفي
 سنة ١٦٠١ م هو اول من علم بكون المذنبات سيارة في خارج فلك القمر
 بسبب اختلاف منظرها اليومي ، لكنه زعم ان فلكها مستدير .

ثم من بعده اعلن تليذه الأستاذ (كبلر) الجرمانى القائم سنة ١٦٥٤
 بأن المذنبات هي كالحيتان الصغار والكبار تسبح في بحر الفضاء الواسع وتسير
 في خط مستقيم ، قد نراها من القرب أو الكبر وقد لا نراها من البعد أو الصغر .
 ثم تلاه درفل ونيوتون فبرهنا على ان افلاكها بيضية كالأنجم السيارة
 ذاتاً وفلكاً ، ولكنها تتفاوت عن السيارات المصطلحة المعروفة بفروق اربعة :
 (الأول) ان السيارات تدور حول الشمس ، والشمس متوسطة في
 مداراتها البيضية أو في احد السكونين المحترقين (الفوكزين) واما المذنبات
 فتدور غالباً والشمس في ناحية من افلاكها المستقيمة .

(الثاني) ان احد القطرين في افلاك السيارات لا يقصر غالباً عن القطر
 الآخر بأكثر من رבעه ، واما المذنبات فيقصر غالباً احد قطري فلكها
 عن الآخر بأكثر من ذلك جداً .

(الثالث) ان اجرام السيارات جامدة فعلاً غير مذابة متبردة غير
 حارة ، واما المذنبات فشدة الحر والاحتراق في جرمها قد جعلتها في الأكثر
 مشتعلة ملتتهبة ترشح بالغاز والبخار حول نفسها ، قطر الارتفاع منه اثني
 عشر مثل قطر الجرم نفسه بل اكثر .

وقدر الأستاذ نيوتن حرارة مذنب سنة ١٦٨٠ أكثر من حرارة الحديد المحمرة بألفى مرة ، فاستبراد مثل هذا الجرم يقتضى أن يمر عليه ألوف من السنين . ومن هنا زعم البعض - كما فى حدائق النجوم - أن المذنبات جسيم المذنبين والمذنبات .

(الرابع) أن افلاك السيارات مرتبة على نظام متطابق لا يخرق فلك احدها فلك الأخرى ، وأما المذنبات فإن افلاكها مرتبة على غير نظام افلاك السيارات ، ولاجل ذلك يخرق كل فلك منها افلاك السيارات بل هى تخرق افلاك انفسها ايضا .

فالمذنب فى سيره يخرق فلك نبتون مثلاً عند نزوله ثم يخرق فلك ارانوس ، وهكذا يخرق افلاك السيارات حتى يطوف حول الشمس ثم يصعد راجعاً فيخرق فلـكاً فلـكاً حتى يخرج من فلك نبتون .

وهذا الفرق هو حسن فروق المذنبات عن السيارات وقد ذكره على عليه السلام ، فراجع الدليل الثامن من هذه المسألة .
واكثر فروق الاثنجم المذنبية عن الاثنجم السيارة وصفى لا جوهرى ولذلك تكون المذنبات من النجوم حقيقة .

* * *

وأما المنشأ لحدوث المذنبات فمختلف فيه الأقوال وملخصها :

- ١ - أنها بقايا شمس تفسخت بعد قيام قيامتها وموتها .
- ٢ - اجزاء سيارة متفسخة بتأثير بعض علل كونية لا يعلمها غير بارئها تعالى .

- ٣ - اجرام مستقلة تسبح فى بحر الفضاء كسيح السيارات ، غاية الأمر مع اختلاف فى نظامها .

٤ - هي أقمار سيارة عظيمة أبعد من نبتون بأكثر من بعده عن الشمس
بألفي مرة . الى غير ذلك من الآراء .

ولكن المشهور هو القول الثالث ، وان أصل المذنب هو جرمه المتلألئ
السكرابي المسمى (نواة المذنب) ويحيط بها ضباب غازي ينشأ منها عند اقترابها من
الشمس ، ويسمى ذلك الضباب ذنباً ، ويكون على أشكال غريبة كاللحمة والقرون
والذؤابة والذنب وغيرها بحسب أوضاعه من . مقابلة الشمس - كما ترى في
شكل (١٧) .

وتقع أشعة الشمس في ذلك البخار فيضيء فيوهم انه ذنابة أو ذؤابة ،
ولذلك تراه مستطيلاً دائماً الى خلاف جهة الشمس يطول بالقرب منها ويقصر
بالبعد عنها حتى ينعدم .

وجميع المذنبات خاضعة لقوانين الجذب ، فالكبير منها يؤثر في سير
السيارات اذا اقترب منها ، والصغير منها يتأثر بها في سيره ، وربما ينحرف عن
مجره بسبب انجذابه للسيار .

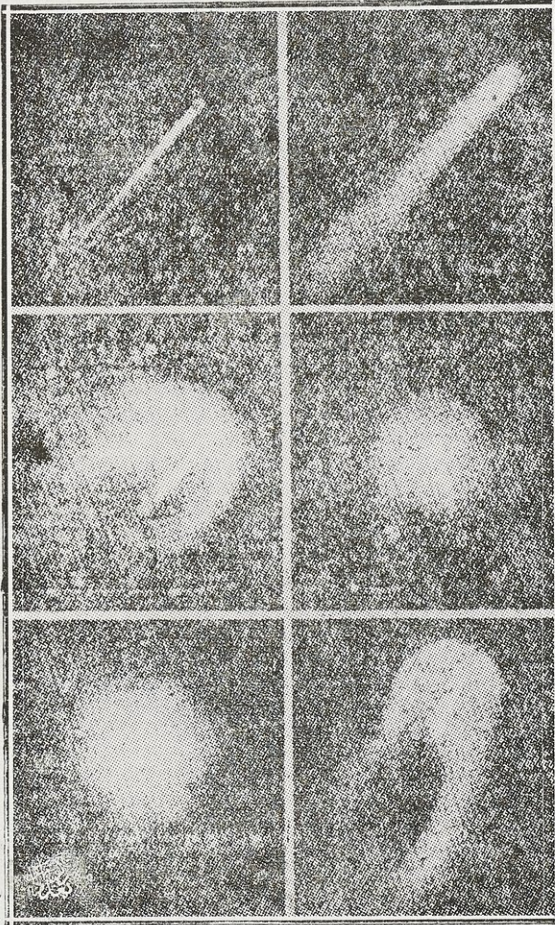
وقد رصد الفلكيون حتى الآن زهاء ١٢٠٠ من المذنبات وضبطوا
حركاتها ومداراتها فيخبرون عن ظهورها ثم لا يكذبون ، ولا يأمن الحكماء دائماً
من تصادم أرضنا ببعض المذنبات حال المسير ، فيحدث في ثراها أو مائها ضرب
من التغيير .

أقوال الحكماء في الشهب والنيازك

واذا استفتت شرحاً من حقيقة المذنبات ومنشأ حدوثها فاستمع الى

أقوال المتأخرين في حقيقة الشهب والنيازك ومنشأ حدوثها :

١ - بعض منهم يعتقد أنها أحجار وقطع نارية ترمىها وتلفظها أفواه براكين
كرة القمر ، فتخرج من حدها عن حيطه جذب القمر وكروسيه فيدخل في



(ش=١٧) أقسام المذنبات والشهب

حيطة جذب الأرض .

٢ - وبعضهم يعتقد انها قطع وأجزاء من سيارة متفسخة منفلة اندكت ببعض العلل الكونية .

٣ - وبعضهم يقول بكونها مستقلة في الخلق والنظام ، فهي توافق السيارات في الحقيقة والمادة وتفرقها في الأوصاف والنظام .

٤ - ومنهم من يعتقد انها قطع وأجزاء من مذنبات متفسخة انفلقت وتحملت بأسباب طبيعية يعلمها صانعها المتعال .

ففي آيات البينات : والشهب - على ماذهب اليه كثير من متأخري الفلكيين - قطع من أذنان النجوم التي تجذبها الأرض عند اقترابها .

وفي المقتطف السنة الثانية ص ٦٧ : ان الحجارة التي تساقط من الجو هي نيازك دائرة حول الشمس تقرب الأرض اليها أحياناً وتبتعد عنها أخرى فاذا قاربتها بحيث تغلب الشمس في جذبها اليها ، وان النار الحادثة من التقاء المجاري الكهر بائية بمواد في الجو تلهب وتسقط الى الأرض ناراً .

وقال فانديك في باب النيازكات من النقش في الحجر : الحجارة الجوية والنيازك أجسام دائرة حول الشمس ، وعندما تقرب الى الأرض بحيث تغلب جاذبيتها جاذبية الشمس تنحرف عن أفلاكها وتنجذب نحو مركز الأرض ، ومن سرعة حركتها تولد بمرورها في الهواء الكروى حرارة كافية لاحتراق الصغار منها تماماً وتحمى الكبار منها الى درجة اللعان ويحترق بعضها وينتهي الى الأرض قبل ما يحترق كلها (١) .

(١) وعليه نفس قوله تعالى في سورة الرحمن : ﴿ يرسل عليهم كمشواظ من نار ونحاس ﴾ والشواظ جمع شظية بمعنى القطعة المنفصلة من الحديد الحماة عندما تصير تحت المطرقة ، فما أجود تشبيهه الرجوم بشواظ من النار والنحاس الملهب -

وقد أوضح الاستاذ (سكياپرلى) من ميلان ان أفلاك بعض النيازك توافق أفلاك بعض المذنبات .

وفى هامش مشهد الكائنات : ان المسيو بارفيل ذكر أخيراً فى جريدة صباح الأفرنسية ان المسيو سكياپرلى الايطالى قد كشف سر الرجوم ، فعرف (أولاً) ان خط مسير بعض المذنبات يوافق الخطوط التى كانت تتبعها بعض الرجوم ، وهذا حملة على القول بأن الرجوم والمذنبات ليست سوى طائفة واحدة وذلك لأن المذنبات هى كواكب تتحلل بسهولة من تأثير السيارات التى تمر بجوارها فتفتت النواة وتنقسم الى ألوف من الأجزاء التى تجتمع أو تنفرد وتتقارب أو تتباعد على مسافات طويلة تابعة كلها نفس الخط الذى يسلكه المذنب الذى تولدت منه .

وقد استشهد المسيو بارفيل على صحة قوله بمذنب بيال ، فان هذا المذنب البادى دائماً للعيون فى أيامنا قد تقسم الى مذنبات صغيرة لاعدادها (١) الى رجوم تسير جميعاً فى خط مسير المذنب الاصلى والخط المذكور يقطع مسير الأرض فى احدى النقط وتمر الأرض فى شهر تشرين الثانى ... الى ان قال : ولا شك ان تساقط الرجوم الكثيرة فى ليالى تشرين الثانى ماهى الا زيادة ووداع من الرجوم المتولدة عن مذنب (بيالا) . . . الى ان قال : ولكن كم من هذه

— ولقد حللوا الشهب المرجمة اليوم فوجدوا فيها النحاس والحديد وأقسام الفلز ، والآية بمناسبة سابقها : ﴿ يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والأرض ﴾ نص فى الشهب المرجمة لشياطين الجن .

(١) هذا صدق لقوله تعالى فى سورة الجن : ﴿ وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً ﴾ ولو كانت الشهب أدخنة أرضنا لم يصح امتلاء السماء منها - فافهم .

المذنبات المتوارية قد تحللت وتفككت وعادت فزارتنا بصورة شهب فقط .
وقد حسب المسمى (كالندرو) فلكى مرصد باريس ان المذنبات ذات
الدوائر الشلجمية هى التى تتحلل بسهولة ، وعنها ينتج ما نراه بعض الليالى من
الرجوم الكثيرة .

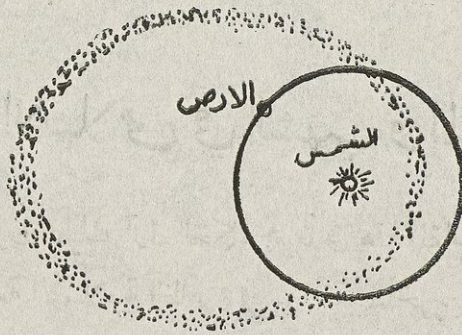
الى أى الاسلامى فى الشهب والمذنبات

وبعد ما تلوت عليك آراء الحكماء جميعاً فى هذا المقام أتلو عليك الأدلة
الواردة فى الشريعة الاسلامية الظاهرة فى موافقة المتأخرين ومخالفة الأقدمين:

الدليل الأول

قوله تعالى : ﴿ انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظاً من كل
شيطان مارد . لا يسمعون الى الملاء الأعلى ويقذفون من كل جانب .
دحوراً ﴾ (١) فان الظاهر من سياق الآية يعطى ان الكواكب التى بها زين الله
السماء الدنيا هى التى بها قد حفظها عن الشياطين المفسدين وبها يرميهم .
ولا يرتاب من استأنس بمقالات الشرع ان الشياطين لا يرمون الا
بالييازكات فقط ، ولذلك تسمى شهباً ورجوماً ونيازكا .

وبعد النظر الى هاتين المقدمتين - أى كون النيازكات رجوماً للشياطين
وكون رجوم الشياطين هى الكواكب المزينة للسماء الدنيا - ينتج كون الرجوم
الشهبية من مقولة الكواكب والنجوم ، وان المادة فى الجميع واحدة ، وهورأى
المتأخرين فقط



(ش - ١٨) مجموعة من الشهب على فلك اهليلجي وهى مع فلك الأرض

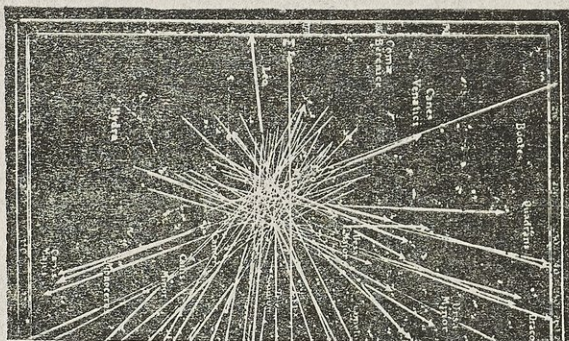
فان قلت : السكواكب التى بها زين الله تعالى السماء هى الأنجم الثابتة والرجوم هى النيازكات .

قلت : نعم اعتقاد هذا الأمر هو الذى أوقع قدماء المحققين والمفسرين فى قيل وقال ، فانهم كانوا لا يطلقون السكوكب الا على الأجرام الفلكية ، وكانت النيازكات والمذنبات عندهم من الحوادث الأرضية كما سبق ، ولذلك أضحوا حيارى ، اذ لو فسروا السكوكب بمعناه الظاهر الحقيقى وقعوا فى محاذير : (ومنها) دخول الشهب والرجوم فى الأجرام الفلكية مع انها حوادث أرضية عندهم . (ومنها) كون السكواكب فى السماء الدنيا مع انها فى السماء العليا عندهم .

فالأحرى بنا هو الأخذ بظاهر الآية على رأى المتأخرين والقول بأن
النجوم المزيّنة هي الأنجم الشهبية المرجمة (١) .
وقد عرفت صحة إطلاق النجم والكوكب على الرجوم حقيقة .

* * *

فان قلت : الزينة انما تحصل بالسكراب الثابتة لا بغيرها .



(ش - ١٩) من مناظر الشهب والنيازك

(١) ولقد وجدت هذا الرأى فى البحار أيضا فانه قال عند تفسيره آيات
السموات من باب أخبار السماوات وكيفيتها من كتاب السماء والعالم من موسوعة
بحار الانوار مانصه : (الوجه الرابع) ان يكون المراد بالسكواب فى الآية
الكريمة - يعنى آية ﴿ وزينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ - الشهب المنقضة قريبا
منها ، ولما كانت ترى حسا على سطح السماء فهى زينة لها ، وتؤيده تنمة
الآية ٠٠٠ الخ .

قلت : تحصل الزينه بها وبغيرها ، بل الزينة الكاملة هي التي تحصل من الشهب الثاقبة الملتببة والرجوم المتعاقبة والنيازكات المتقاطعة يمينا وشمالا وذوات الازناب والذوائب المظهرة في السماء منظرأ جميلا ومشهدأ معجبا . كما ترى في شكل (١٩) .

ولذلك ترى الفرس يعبرون عن هذه الحالة بـ (چراغبانی جهانی وآتش بازی آسمانی) . وسنحقق السماء الدنيا عن قريب .

الدليل الثاني

قوله تعالى . ﴿ وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (١) وكلمة ﴿ حفظاً ﴾ منصوبة بفعل مقدر ، اي وزينا الدنيا بمصابيح وحفظانها بها حفظاً .
وتقريب ظهور الآية في المطلوب تقدم في الآية السابعة .

الدليل الثالث

قوله تعالى : ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ﴾ (٢) وهذه الآية الكريمة صريحة في ان المصابيح التي بها زين الله تعالى السماء الدنيا هي الشهب التي يرحم الله الشياطين - كما حققته فيما سبق .
واما السماء الدنيا التي تظهر زينة الشهب والمذنبات فيها لأبصار العباد فهي الكرة البخارية المحيطة بأرضنا .

وقد قدمت الأدلة الواضحة في المسألة السادسة على انها هي السماء الاولى

(١) سورة فصلت آية ١٢ .

(٢) سورة الملك آية ٥ .

فراجع البتة .

وقد صرح فاندريك الأمريكى وفلامريوت الفرنسى وفيليكس ورنه وغيرهم ان الشهب لا تشع ولا تظهر للعيون الا في مرورها في كرتنا البخارية . فظهرت - والله الحمد - حقائق ما ورد في القرآن العظيم من كون الرجوم من مادة النجوم ومن كونها في السماء الدنيا ومن كونها زينة للناظرين . وسأشرح في غير هذا الكتاب معنى كونها رجوماً للشياطين - وبه نستعين .

الدليل الرابع

في اواخر مدح البلدان من كتاب البحار ج ١٤ وكتاب الخصائص وكتاب اقاليم البلدان في ضمن مسائل عبد الله بن سلام اليهودى انه سأل النبي الأُمى (ص) عن النجوم كم جزء (قسم) هي ؟ فقال النبي (ص) : « ثلاثة اجزاء : جزء منها بأركان العرش يصل ضوؤها الى السماء السابعة ، والجزء الثانى بسماء الدنيا كأمثال القناديل المعلقة وهى تضىء لسكانها وترمى الشياطين بشررها ، والجزء الثالث معلقة فى الهواء وهى ضوء البحار وما فيها وما عليها » .

اقول : ظاهر الخبر يقسم الأجرام السماوية الى ثلاثة اقسام : (الأول) الكواكب الثابتة الكائنة فى خارج عالم شمسنا ، وقد اشرنا الى ان الشرع يطلق العرش غالباً على محدد نظام الكون بأسره المحيط بالشمس والعوالم ، كما يطلق الكرسي على محدد نظام عالمنا الشمسى ، فالكرسى يسع السماوات والأرضين من عالمنا والعرش يسع الكرسي وعوالم اخرى . فقوله عَلَى الْعَرْشِ : « بأركان العرش » اى فى خارج عالمنا الداخل تحت بواطن العرش . وقوله (ص) : « يصل ضوؤها الى السماء السابعة » اى لا نرى

ضوءها القوى أو مطلق ضوئها في أرضنا من شدة بعدها .
نعم نراها بأبصارنا المجردة لو صرنا في السماء السابعة - أعني كرة زحل -
أو فوقها ونراها في الأرض بأقوى النظارات .
ولا يخفى عليك ان المبصر من الثرائب اذا قيس بغير المبصر منها كان
اقل نسبة من الواحد بالنسبة الى الآف الملايين .
(القسم الثاني) هو النجوم الشبيهة والرجوم النيازكية التي تظهر لنا في
السماء الدنيا - اى كرتنا البخارية - كأمثال القناديل المعلقة (بتخفيف اللام)
اى المسرجة ، من اعلمت النار الحطب . فهذه النجوم تضىء سكان الكرة
البخارية فقط ، وهم اهل الارض او مخلوقات جوههم .
(القسم الثالث) النجوم السيارة الممتازة عن القسمين الثوابت والرجوم
في اوصافها لا في مادتها ، والنجمة السيارة مطلقا معلقة (بتخفيف اللام) اى
مسرجة منيرة في جوف هوائها الكروى ، كما قال (ص) : « الثالثة المعلقة في
الهواء » ، أو بتشديد اللام من التعليق اى مربوطة ومعلقة في هوائها الكروى
كما يراه الأواخر - غير مركوزة في ثخن الفلك كازعمه المتقدمون .
وجميع ما سمعت من مضامين هذا الخبر الشريف منطبق على الآراء
المستحدثة ، لكن ما يناسب هذا المقام انما هو قوله (ص) الجزء الثانى الى
قوله الجزء الثالث .

الدليل الخامس

قول على امير المؤمنين عليه السلام في حديثه الطويل المروى في البحار ج ١٤
وتفسير الفرات ومن جملته : « وجعل في كل سماء شهاباً معلقة » بتخفيف اللام
او تشديدها كما مر آنفاً ، فيدل على وجود الشهب والرجوم في سماء كل ارض

اى فى كل كورة بخارية محيطة بالأجرام السامية ، وهو الرأى المختار عند المتأخرين ، فانهم لا يخصصون سماء ارضنا بالشهب والنيازكات بل يدعون انها اجرام تسبح كالحيثان الصغار فى البحر الفضاء ، فقد تصادف ارضنا أو سيارة اخرى فتتحرق كرتها البخارية بصورة شهاب لا مع .

وليت شعرى ما كان يصنع المتقدمون بأمثال هذا الخبر غير الطرح أو التأويل البعيد الذى لا يساعده شاهد ؟

فهذا الخبر يخالف ترتيب القدماء خلافاً واضحاً اشد من وضوح موافقته لنظامنا السديد ؟

وفى بعض خطب على ﷺ المروية فى نهج البلاغة كلمات تناسب هذا المقام . مثل قوله ﷺ فى وصف السماء الدنيا : « ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الشواقب » .

وقد تلونا عليك فى هذه المسألة كثيراً مما يؤيد ترتيبنا المذكور فى المسألة السادسة ، فارجع البصر هل ترى من فطور .

الدليل السادس

فى بعض اخبار البحار والدر المنشور : « ان القمر والنجوم والرجوم فوق السماء الدنيا » .

اقول : وظاهره يناهى مباني القدماء ، لأن السماء الدنيا عندهم فلك القمر ويستحيل لديهم وصول الرجوم اليه فضلاً عن النفوذ فيه أو التفوق عليه ، ليكون الرجوم من حوادث ارضنا والفلك مطلقاً منزله لديهم عن الارضيات ولكن البانى على مباني الهيئة الجديدة يمكنه الأخذ بظاهر ذلك ، فان الرجوم سباحة فى الفضاء الواسع وجمهورها فوق كرتنا البخارية - اى السماء الدنيا - غاية الامر انها غير ظاهرة لأبصارنا ، وانما تظهر لنا عند ما تحرق سماءنا

لامعة مشعشة حتى تخرج من الطرف الآخر أو تسمى الأرض فلا تفارقها ،
فجميع النيازكات غير الظاهرة فوق السماء الدنيا .

الدليل السابع

في البحار ج ١٤ باب السماوات والنجوم واعدادها وكتاب النجوم لابن
طاوس مسنداً الى الوصى الثانى الحسن السبط عليه السلام انه قال في خطبة وصف
النجوم : « ثم اجرى في السماء مصابيح ضوؤها في مفتتحه وجعل شهابها
من نجومها الدرارى المضيئة التى لولا ضوؤها ما انفدت ابصار العباد في ظلمة
الليل » .

اقول : كأن هذا الخبر القدسى يشير الى ما نقلته عن (سكيارلى)
وغيره ان الشهب النيازكية اجزاء المذنبات المنحلة ، وتفصيل ذلك ان
المصابيح التى ضوؤها جميعاً في مفتتح منها انما هى المذنبات بحسب الظاهر اذ هى
كمصباح مستطيل ، وعمدة ضوء المذنب في رأسه ومفتتحه المسمى (نواة المذنب)
وقوله عليه السلام : « وجعل شهابها من نجومها الدرارى » اى جعل شهب
السماء من نجوم تلك المصابيح ، فالمذنب كمصباح مستطيل له رأس - اعنى
اصل النجمة - وذيل - اعنى البخار المتصل بتلك النجمة .

والخبر دل على ان الشهب تتكون من نجوم تلك المصابيح ونواتها
عند تفتتها وتفككها لا من غير النواة ، وهو الرأى المختار جديداً بعينه .

وقوله عليه السلام : « الدرارى المضيئة » يجوز ان يكون توصيفاً لنجوم
المصابيح أو لنفس المصابيح . ونحن لا نجزم بهذه التفاسير وان كانت
ظاهرة ، لجواز ان يكون هناك تفاسير تفضل عليها

الدليل الثامن

فى كتاب العلل لابن بابويه والبحار ج ١٤ وتفسير البرهـان والآنوار النعمانية للسيد الجزائرى مسنداً عن امير المؤمنين على (ع) انه سئل عن (الطارق) الذى فى القرآن؟ فقال: «هو احسن نجم فى السماء وليس يعرفه الناس، وانما سمي الطارق لانه يطرق نوره سماءاً سماءاً إلى سبع سموات، ثم يطرق راجعاً حتى يرجع الى مكانه». وفى نسخة من علل الشرائع: «ثم يطرق سماءاً سماءاً راجعاً حتى يرجع الى مكانه».

اقول: وهذا الخبر ظاهر فى تعريف المذنب من جهات:

(منها) قوله عليه الصلاة والسلام: «احسن نجم فى السماء» فان النجوم ثوابتها وسياراتها فى مرتبة واحدة فى الحسن والشكل لا يفوق بعضها على بعض الا فى مقدار الضوء ومقدار الجسم لا فى حسن الشكل بخلاف المذنب فانه ممتاز من جميع نجوم السماء فى حسن الصورة وبهجة المنظر وطرافة الشكل مع ذوائب مرسلّة او اذنان مخرّوطيّة أو غير ذلك، فهى لدى الانصاف اذا قيسـت بأنجم السماء كانت احسنها من كل الوجوه. والعجب عن فسر الطارق بنجمة زحل مع انها ليست بأحسن النجوم قطعاً لو لم تكن بأسوأها.

(ومنها) تسميته بالطارق، فانها تشعر بشدة السير والطروقة بغتة وغفلة، وذلك مختص بالمذنب.

(ومنها) قوله (ع): «وليس يعرفه الناس» فالمذنب كما عرفت - لم يفتن احد من الخلق بأنه نجم سماوى حتى ظهر تيخو براهه بعد الألف الهجرى، فكان على (ع) اول من وصفه للناس وتيخو براهه اول من برهن امره، وكان السابقون عليه يعدونه من حوادث العصر، حتى فى عصر النبي وقبـله وبعده، فهو حق بهذه الصفة من غيره.

(ومنها) قوله عليه الصلاة والسلام : « يطرق نوره سماء آ سماء آ الى سبع سماوات ، ثم يطرق سماء آ سماء آ راجعا حتى يرجع الى مكانه » فان هذه الصفة مختصة بالمذنب كما ذكرته في الفرق الرابع في صدر هذه المسألة .

وطروق نوره كناية عن اصل جرمه المنير ، والا فنفس النور من كل جرم ينفذ في جميع جهاته - ثابتا كان او سيارا او مذبنا .

ولعمري ان المتأمل في مطاوى هذا الخبر الشريف يجده كافلا لشرح المذنب بأوجز بيان وأقرب به ، ناطقا بصحة النظام الجديد وصدق هذا الشرع السديد ﴿ ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ .

« المسألة الى اربعة عشر »

(في تعدد العوالم والنظامات)

بلغنا عن حكماء عصرنا مقالة غريبة خلاصتها : ان هذه الثوابت على كثرتها وبعدها البعيد شمس مستقلة عظيمة ، حولها سيارات كبرى اكثر من سيارات شمسنا منظمة الحركات ذات حيوان ونبات ، فهل نطق شرع الاسلام بما يوافق هؤلاء او خالفهم كالقدماء أو سكت كأكثر الشرائع ؟ .

(الجواب)

قد مر غير مرة ان القدماء من الفلاسفة والحكماء ذهبوا الى ان العالم الجسماني كرة واحدة منضدة من ثلاثة عشرة كرة تسعة منها افلاك كلية واربعة طبقات العناصر الاربعة ، وارضا هذه مركز الحركات ثابتة في وسط العالم الجسماني تحيط بها الكرات الاثنتي عشرة .

وزعموا أن الكواكب التي نسميها (الثوابت) اجرام عظام مظمة في نفسها وانها اجمع تكسب النور من شمسنا المبصرة ، وجميع تلك الاجرام مركوزة بأسرها في ثخن الفلك الثامن (١) وليس في الفلك التاسع جرم ، ولذلك يعرف بالاطلس ، فانه غير منقوط الاسم ولا بمنقوش الجسم ، واقاموا

(١) كان القدماء يحددون اجرام الثوابت بمقادير حقيرة جداً ، كما نقل

عن البرجندی عن ابرخس وبطلیموس فی ص ۲۲ من زیج اصفهان .

البراهين على ان العالم الجسماني منحصر الفرد بما هو في جوف هذا الفلك ،
وانه يستحيل وجود عالم غيره .

ووافق هؤلاء جمع من علماء المسلمين ، ففسروا بالاطلس عرش الله
تعالى الوارد اسمه في شرعنا وبفلك الثوابت كرسية المحيط بالسموات والارضين
واما حكماء الهيئة المصرية فقد ثبت لديهم ان سيارات شمسنا واقارها
تكتسب الانوار طرأ من شمسنا وان سعة عالم شمسنا المحدود بمدار نبتون
ألف وخمسمائة مليون فرسخا ، فترى شمسنا العظيمة عند نبتون كنجمية
صغيرة بقدر الجوزة ، ومقتضى ذلك اضمحلال نورها فيما بعد نبتون .
وعلى هذا يستحيل ان تكتسب الكواكب الثابتة انوارها من شمسنا
اذ هي في منتهى البعد البعيد عن نبتون .

ألا ترى ان بعض المذنبات يتبعد عن شمسنا اكثر من بعد نبتون
بأربعة عشر مرة ، وهو مع ذلك مجذوب لشمسنا لا تغلب عليه جاذبية
كوكب آخر لكثرة ما بقى من البعد بينه وبين الكواكب الأخرى .
وحسبك النظارات التي تكبر زحل مع بعده البعيد في منظرنا اضعاف
ما يبصر بألف مرة لا تتمكن من تكبير الثوابت عما ترى بالبصر ، غاية الامر
تجليها وتظهر خافيتها لكثرة البعد البعيد .

قال فانديك في ارواء الظلماء : ان اقرب الثوابت الى نظام شمسنا بعيد
عنا اكثر من بعدنا عن شمسنا بتسعمائة ألف مرة .

وفي مجلة الهلال المصرية ص ٤٧٨ من سنة ١٩٠٩ : ان اقرب الثوابت
الى ارضنا هي « دلفا » (١) وهي بعد الدقة الأكيدة تتخذ رقفا في موقعها باختلاف

(١) لعل (دلفا) كلمة عربية ، وهي بفتح الدال وآخرها الف مقصورة
بمعنى القرية ، من « دلف » و « از دلف » بمعنى قرب وتقرب ، حيث ان

— هذه اقرب الثوابت الى عالمنا الشمسي .

ففي ارواء الظاء : ان النجم من القدر السادس عشر لا يكون بعده عنا أقل من ثلاثمائة وثلاثة وستين مثل بعد الشعري : فينتهى نوره اليينا في خمسة آلاف سنة - انتهى .

أقول : فما ظنك بالنجم من القدر الثامن والعشرين .

فاذا عرفت بعد الثوابت عنا هذا البعد العظيم قلنا : فكيف يمكن أن تكتسب أنوارها عن شمسنا التي يتلاشى نورها بعد مدار نبتون فلا محيص من الالتزام بأن الثوابت منيرة بذاتها مستقلة بنفسها عن عالم شمسنا ، وإذا ثبت أنها منيرة بالذات تشع النور والنار بنفسها نحو الجهات ثبت كونها شمساً مستقلة أصغرها أعظم من شمسنا بألف مرة .

ولأجل اثبات كبرها نقول : ان شمسنا العظيمة ترى عند نبتون كنجمية صغيرة ثم يضمحل نورها بعده فلا ترى أبداً مع انها لم تتبعد بمليون مليون فرسخاً ، وعليه فما تقول في نجمة (دلفا) التي يقرب بعدها عنا نحو عشرة أضعاف بعد الشمس عن نبتون ونراها مع ذلك جلية ؟

ثم ان دلفا يصل نورها اليينا في ثلاث سنين ، فما تقول في الشعري التي تصل اليينا نورها في اكثر من عشرين سنة ، وهكذا فما تكون شمسنا عند هاتيك الشموس الاحبة خردل عند الجبل (١) .

(١) جاء في المقتطف المجلد ٤٥ ص ٣١٠ مقالا بعنوان (نور النجوم)

وفيه :

قال الدكتور ديزون في خطبة تلاها في المعهد العلمى بمدينة لندن : انه يظهر في مقابلة أبعاد النجوم بمقدار اشراقها أو النور الواصل منها اليينا ان في الفلك بيننا وبين ما بعده عنا مائة برسك (برسك اسم لمسافة مائتى الف مرة -

وبالجملة قد غدى اليوم مسألة كون الثوابت شمساً عظيمة عند الحكماء تعد

— كبعدها لأرض من الشمس) نجومياً يختلف عددها واشراقها حسب ما ترى في
الجدول التالى :

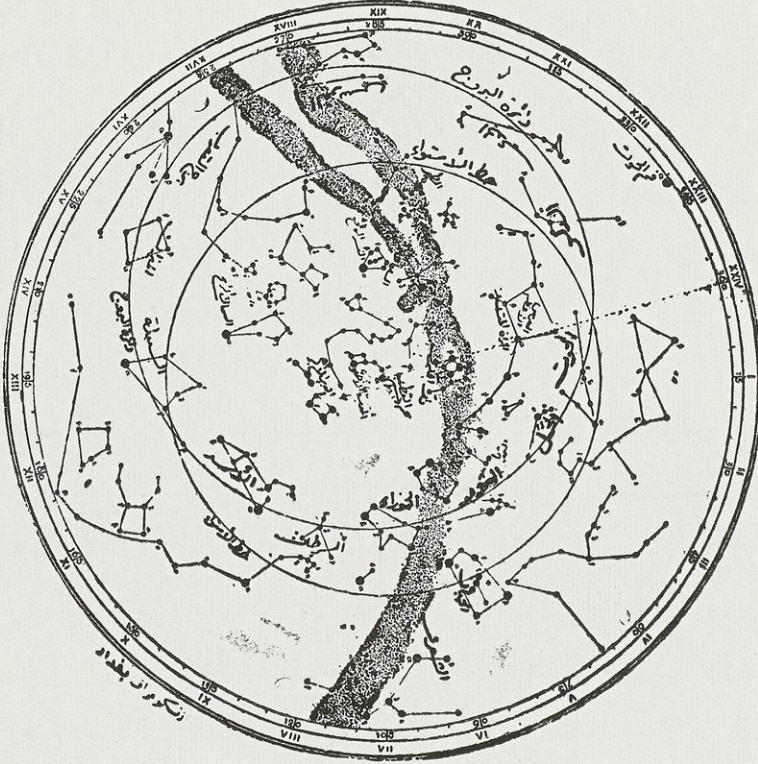
٢٤	نجماً اشراق كل منها مثل ١٠٠ شمس
٣٤٠	» » » » » ٥٠ »
١٣٥٠	» » » » » ٢٥ »
٤٨٤٠	» » » » » ١٠ »
٢٣٢٠٠	» » » » » شمس واحدة
٩٢٣٠٠	» » » » » ١٠/١ شمس

فنجم القطب من النوع الاول لأن بعده عنا عشرون برسكا أى أربعة ملايين مرة كبعد الشمس من الأرض فلو كان بعده عنا مثل بعد الشمس فقط لظهر لنا مشرقاً كمائة شمس مثل شمسنا وهو الآن من القدر الثانى .

وفى السماء نجوم أبعد من نجم القطب وأشد منه اشراقاً فى ذلك ٢٦٩ فى النجوم الحمراء اللون بعدها عنا الف برسك أى ٢٠٠ مليون مرة كبعد الشمس عن الأرض فلو كانت الشمس بعيدة عنا كذلك لظهرت لنا مثل نجم بين القدر الخامس عشر والسادس عشر وإمكن هذه النجوم بين القدر ٢/١ والقدر الحادى عشر ولذلك فاشراقها أشد من اشراق شمسنا ٢٥٠ مرة الى ٦٣ مرة .

وتختلف كثافة النجوم باختلاف بعدها عنا فإذا حسبنا كثافة التى على مائة برسك منا واحداً فالتى على خمسين برسكاً كثافتها ١,٣٠ والتى على ٢٠٠ برسكاً كثافتها ٠,٧٠ والتى على ٣٠٠ برسكاً كثافتها ٠,٤٨ والتى على ٤٠٠ برسكاً كثافتها ٠,٣٢ والتى على ٥٠٠ برسكاً كثافتها ٠,٢١ .

والنجوم الصفراء اللون هى أقرب النجوم إلينا غالباً والعشر منها بعده عنا —



(ش - ٢١) البروج الاثني عشر ونجوم المجرة

— أقل من مائة برسك والعشر منها بعده عنا أكثر من ٥٠٠ برسك والثمانية
الاعشار الباقية بين ٠٠ و١٠٠. وإذا تقدمنا من النجوم التي لونها أصفر إلى النجوم
التي لونها أزرق أو برتقالي رأيناها تزيد بعداً عنا ١٠٠ إلى ٩٥ في المائة في
النجوم أشد أسراقاً — انتهى .

من المسائل الواضحة ، وان شمسنا المبصرة أيضاً لنجمة من الثوابت اذا كثرت ابتعادك عنها .

ففي كتاب النقش في الحجر في الفصل الرابع عشر : « الشمس انما هي نجم من النجوم وهي انور النجوم وأكبرها (أى في نظرنا المجرد) لأنها أقرب إلينا من سائر النجوم ، والنظام الشمسى انما هو عدة أجرام باردة دائرة حول جرم حام ، وأرضنا مثال السيارات الباقية والشمس مثال النجوم الدارارى المائلة للكون الواسع على أبعاد لا تدركه عقول البشر ، سواء منها صور النجوم أو نجوم البروج الاثنى عشر ونجوم المجرة التى تشبه درب التبانة من تلاقق نجوم الصغار - كما في شكل (٢١) .

« وقد قالوا : ان هذه النجوم المتلاصقة بعيد كل منها عن الآخر بأكثر من بعد شمسنا عن ماوراء نبتون » .

« وكل نجم من النجوم الثوابت شمس تدور حولها سياراتها كما تدور سيارات شمسنا حولها . أما تلك السيارات فلا تظهر لنا لكونها اجراماً مظلمة وتظهر شموسها لكونها أجراماً نيرة مثل شمسنا » - انتهى .

وفى دائرة المعارف : « وهذه الثوابت يبعد أقربها عن أبعد السيارات بعداً شاسعاً وكل نجم منها نراه فى السماء فى ليل صاف هو شمس نورها ذاتى يضىء على عوالم ونظارات كما تضىء شمسنا على العوالم فى نظامها » .

أقول : هذا مطلب يتفرع على كون الثوابت شموساً - أعني به وجود سيارات أخرى تدور حول الثوابت بنظام يشبه نظامنا وعالم يشبه عالمنا ، فى حين ان بعض الثوابت لا تزال فى دورها السدى على شكل لولبي ، كما ترى فى شكل (٢٢) . وتعد هذه شموساً غير ناضجة ، لكونها الناضج منها شمس نيرة دوارة على نفسها كشمسنا هذه ، ولم يهتد الحكماء اليه بعد الا بالحدس والظن ، لاسيما على



(ش - ٢٢) السديم اللولبي

المذهب المتقرر في مبدأ تكوين الشمس والسيارات ، راجع مبحث تكوين العالم وأجرامه ، فإن الخصائص والعوالم التي أثرت في شمسنا اثر خلق الأرض والاقمار وتكوين الحيوان والنبات في تلك الأرض هي بالظن القوى موجودة لباقي الشموس ، فلا يبعد أن يكون لها نظمات كنظامنا وعوالم كعالمنا . وهذا الظن موافق لمقتضيات حكمة الخالق تعالى وفضله .

وحيث أن الله تبارك وتعالى لم يترك شمسنا هذه مهمة الوجود معطلة الفيض بل استعمل ما أودع فيها من القوى والطبائع والأنوار والحرارات وخلق منها أراض كثيرة كبيرة سيارة حولها تستعطي من فواضلها واستولد من ذلك أصناف المواليد والمواد وأنواع الحيوانات والجهد بما يعجز الناس عن

بيانه ، فاستخرج هذه الثمرات الوجودية من شمسنا الحقيرة ولم يتركها كبر معطلة اذا لم يخلقها سدى .

ومن سنة الله تعالى شأنه ان لا ييخل من الفيض اذا صار المورد قابلا له صالحاً . فاذا كانت سنة البارى تعالى على هذا مع أرضنا الحقيرة وشمسنا الصغيرة التى ليس لها قدر محسوس بالنسبة الى سائر الاراضى والشموس فكيف يترك الله تعالى تلك الشموس الكبيرة والكواكب الكثيرة مهملة الوجود معطلة الطبيعة (سبحانك ما خلقت هذا باطلا) .

كيف يدعها وليس لديها اجرام تتكامل من خيراتها ولا يتربى حى فى حجرها بعواطف تأثيراتها (نحاشى فضل الله وحكمته عن ذلك) ، فظهم بوجود نظامات حول الكواكب الثابتة قريب بعد اثبات كونها شمساً تشبه شمسنا وقد تأكد ظنهم المذكور بعد ما اكتشفوا سيارة حول كوكب الشعرى - كما ادعاه فيليكس ورنه الفرنسى - وسيارة اخرى فى برج السنبله سموها (اونوريا) كما فى هامش مشهد الكائنات ص ٧٦ ، وهى كمنجمة من القدر الثانى عشر اكتشفها الحكيم باليزا فى مرصد فينا .

ثم حد سوا من هذه المباني والتى ذكرناها فى مسألة وجود الحيوان فى السيارات ان سيارات تلك الشموس ايضاً ذات نبات وحيوان وادارات معاش كامل ، وان حيواناتها تختلف مع حيواناتها تختلف مع حيوانات أرضنا كمية وكيفية وشكلا وغير ذلك بحسب فضيلة شمسها على شمسنا

* * *

وأما الديانة الاسلامية فتعاليتها ظاهرة فى موافقة الهيئة العصرية ، بل صريحة فى ان الكون لا ينحصر بعالم واحد أو نظام فرد لشمس واحدة ، بل الله تعالى قد خلق بفيضه الكامل شمساً كمنه الشمس المبصرة لها مخلوقات حية كمخلوقات

شمسنا لاعلم لهم بنا كما لاعلم لناهم لفقد الروابط ، وان الكون مؤلف من عوالم ونظامات غير محصورة كل عالم منها يشتمل على أراضى وسماوات وحيوان ونبات كما قرره الحكماء المتأخرون عن الألف الهجرى .
وهذه المقالات الاسلامية كثيرة متوافرة نكتفى بسردها بعضها فنقول :

المقالة الأولى

فى الخصال والبحار ومنتخب البصائر والمختصر والأنوار النعمانية وشرح الصحيفة السجادية للجزائرى وتفسير نور الثقلين وغيرها من كتب قدماء الامامية باسناد قوى الى الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال : « ان لله عز وجل اثني عشر ألف عالم كل عالم منهم اكبر من سبع سماوات وسبع أرضين ما يرى عالم منهم ان لله عز وجل عالماً غيرهم » .
وانطبق هذا الخبر واضح على رأى المعاصرين القائلين بأن الكون مؤلف من عوالم تنوف الألوف ، كل عالم منها عبارة عن سماوات وأرضين أكبر من عالمنا المؤلف من سماوات وأرضين .
وفى هذا الخبر اشارات الى اشتمال تلك العوالم على كائنات حية عاقلة :
(منها) ارجاع ضمير ذوى العقول الى العوالم باعتبار من فيها .
(ومنها) نفي الرؤية الخاصة والعلم المخصوص عن أهل تلك العوالم . فان ذلك لا ينبغى الا فيمن هو شأنه العلم والرؤية - كما لا يخفى .

المقالة الثانية

فى الاحتجاج والاختصاص ومنتخب الاختصاص والبحار ج ؛ وبصائر الدرجات بسند صحيح عن ابان بن تغلب عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال

للعالم اليماني : « يسير عالم المدينة (يعني نفسه) في ساعة من النهار مسيرة الشمس سنة حتى يقطع اثني عشر ألف عالم مثل عالمكم هذا ، ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم ولا ابليس . »

اقول : احتمل بقريته ما في المقالة الثالثة ان يكون المراد من هذا السير السير الروحاني دون الجسماني ، فتجول نفسه القدسية في اعماق الكون وتحيط بعوالم غير متناهية ، واحتمل ان يراد بمسيرة الشمس سنة غير هذه السنة المعروفة للشمس ، بأن يراد سير الشمس بنفسها سنة كاملة بصحابة اطفالها حول مركزها المجهول بالحركة الانتقالية في الفضاء المجهول .
ويعلم باقى ما يتعلق بالخبر بما في المقالة الاولى .

المقالة الثالثة

في البحار وشرح الصحيفة السجادية وبصائر الدرجات ومنتخب الاختصاص وغيرها مسنداً إلى الامام الرابع على بن الحسين السجاد عليه السلام انه قال لمنجم : « هل ادلك على رجل (يعني نفسه) قد مر منذ دخلت علينا في اربعة عشر عالماً كل عالم اكبر من الدنيا ثلاث مرات لم يتحرك من مكانه ؟ ، قال : من هو ؟ قال : انا . »

اقول : تطلق الدنيا على ارضنا تارة وعلى عالمنا اخرى ، وعلى كلا الفرضين - سيما الأخير - يشعر الخبر بكثرة عوالم وسيعة منتظمة خارجة عن سعة علمنا .

وفي قوله عليه السلام : « لم يتحرك من مكانه » دلالة على ان مرور الامام (ع) في هاتيك العوالم بسير معنوي - وسفر روحاني - كما اشرت اليه في المقالة الثانية .

المقالة الرابعة

في تفسير القمي والبحار مسنداً عن ابن عباس صاحب النبي ﷺ في تفسير ﴿ رب العالمين ﴾ قال : « ان الله عز وجل خلق ثلاثمائة عالم وبضعة عشر عالماً خلف قاف وخلف البحار السبعة لم يعصوا الله طرفه عين قط ولم يعرفوا آدم ولا ولده ، كل عالم منهم يزيد من ثلاثمائة وثلاث عشر مثل آدم وما ولد » .

اقول : قد ذكرت في مسألة تعدد الأرضين كون قاف اشارة الى مخروط ظل الأرض القافي لنور الشمس ، وان البحار السبعة هي المجارى المتوسطة بين مدارات المحيط بها والسيارات الممتلئة من جوهر (اتر) المائع الموج ، وتسبح السيارات في هاتيك البحار كالحيتان - على ما حققته وشرحته هناك ، فراجع حتى يتضح لديك ما اقول .
وبناءً على ذلك تكون هذه العوالم خارجة عن نظام شمسنا من وراء سماواتنا .

وفي قوله : « كل عالم منهم يزيد ثلاثمائة وثلاث عشر مثل آدم وما ولد ، دلالة قوية على ان تلك العوالم خارجة عن عالمنا ، وان المبدأ الاول لأناسيهم غير آدمنا المعروف ، فان مدلول هذا الكلام انك لو جمعت جميع من ولده أبونا آدم ﷺ في طرف من بدو الخلقة إلى آخرها ثم جمعت عالماً واحداً من تلك العوالم في طرف لزيد هذا العالم الواحد على آدم وبمجموع من ولده آدم بأكثر من ثلاثمائة مرة .

فكيف يجوز بعد ذلك أن تأخذ أولئك الأناسي من ولد ابينا آدم ؟
والاخبار في شريعتنا متواترة في تعدد مثل آدم ابى البشر وان لا افراد الانسان مبادئ غير منحصرة .

المقالة الخامسة

في البحار وشرح الصحيفة السجادية للسيد الجزائري وكتساب المحتضر
للشيخ حسن بن سليمان مسنداً الى الامام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام انه
قال : « ان لله خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء ، فبالخضرة منها خضرة السماء ،
قلت : وما النطاق ؟ قال : « الحجاب . والله عز وجل وراء ذلك سبعون
ألف عالم عددهم اكثر من عدد الجن والانس . »

وقد بينت في رسالة جبل قاف تطبيق هذا الحجاب على ظل الأرض
المخروطي وشباهته بالزبرجدة الأخضر (١) وان المراد من وراء ذلك وراء
نظام شمسينا ، والعوالم هي النظومات الشمسية التي اوضحتها ادوات العلوم
العصرية ، وهي فوق الاحصاء كثرة ، ولذلك ورد عددها في شرعنا
على اختلاف حسب اختلاف المقامات .

وقوله عليه السلام : « اكثر من عدد الجن والانس ، مبالغة في الكثرة ،
بمنزلة ان يقول : اكثر مما لا يرى ومما يرى .

(١) ان هذا التفسير مخالف لمنطوق الخبر حيث يقول : « خلف هذا
النطاق زبرجدة خضراء ، فالزبرجدة غير النطاق والنطاق غير الزبرجدة ،
ولكن سماحة المؤلف في تفسيره هذا يريد ان يبين أن النطاق هو ظل الأرض
المخروطي والزبرجدة ايضاً ذلك الظل المخروطي الذي اكتسب الخضرة من
الجاورة واختلاط النور والظلمة - أي ان النطاق والزبرجدة شيء واحد لا
شيئين - والحال ان الخبر يقول بتعددتهما واختلافهما كما قلنا . وبالنتيجة لم
يتبين معنى النطاق ولا معنى الزبرجدة ، وربما يراد من الزبرجدة في هذا الخبر
احدى السيارات الشمسية - (ف) .

المقالة السادسة

في البحار وفرج المهموم لابن طائوس عن كتاب الأنبياء والأوصياء
لمحمد بن علي أن الامام الرابع علي السجاد عليه السلام قال للنجم فيما قال : « هل
أدلك على رجل قد مر منذ دخلت علينا في أربعة آلاف عام » .

المقالة السابعة

في كتاب الشيخ أبي الليث السمرقندي أن النبي صلى الله عليه وآله قال : « أن
لله تعالى جده ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد » .
ورواه السيد زعمة الله الجزائري في شرحه على الصحيفة بزيادة قوله صلى الله عليه وآله
« الدنيا من مشرقها إلى مغربها عالم واحد » .

ورواه الشيخ سراج الدين ابن الوردي في كتاب خريدة العجائب عن
أبي سعيد الخدري صاحب النبي صلى الله عليه وآله : « أن الله تعالى أربعون ألف عالم الدنيا
من شرقها إلى غربها عالم واحد » .

وعن تفسير ابن شهر آشوب عنه صلى الله عليه وآله : « أن الله ثمانية عشر ألف
عالم واحد الدنيا » .

واختلاف بعض الألفاظ كاختلاف العدد محمول على عوارض مقامية
أو شخصية كما مر مراراً .

ولعمرك أن عدد العوالم في غاية الاختلاف في مقالات الشريعة : ففي
بعضها أربعة عشرو في ، بعضها أربعون ، وفي بعضها سبعون ، وفي بعضها
ثلاثمائة وبضعة عشر، وفي بعضها برواية سعيد بن المسيب ألف عالم ، وفي بعضها
أربعة آلاف وفي بعضها سبعة آلاف وفي بعضها عشرة آلاف وفي بعضها اثني عشر
ألفاً وفي بعضها ثمانية عشر ألفاً كما رواها وهب بن منبه وإبي بن كعب وهما من

اصحاب النبي ﷺ ، وفي بعضها أربعون ألفاً ، وفي بعضها سبعون ألفاً كما رواها ابن عباس ايضاً ، وفي بعضها ثمانون ألفاً عن مقاتل بن حيان ، وفي بعضها مائة ألف ، وفي بعضها ستمائة ألف ، وفي بعضها ألف ألف ، وفي بعضها كلمة (ما لا يحصى) .

فاذا رأينا ذلك كله علمنا ان المتكلم لم يقصد بذكر هذه الأعداد تشخيص المعدود ، بل كان غرضه مجرد بيان كثرة المعدود والمبالغة فيه ، لا سيما على القول بأن العدد لا مفهوم له - كما اختاره جمع من الفقهاء واللغويين - أو نقول في ذلك : ان الصحيح عدم تنأهى عدد العوالم كما اشار اليه بقوله : « ما لا يحصى » ، لكن السامعين يختلفون في تحمل الغرائب وتصديق العجائب فكان الامام عليه السلام ونحوه يلقى الكلام على حسب استعداد المخاطب ويذكر له عدداً يطبق سماعه - كما مر في آخر المقدمة الرابعة انهم (ع) امرؤا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم واحوالهم ، أو لجهات غير ذلك ذكرت بعضها في المقالة الاولى من المبحث الخامس من مسألة صفات الشمس .

المقالة الثامنة

في الكافي والوافي لمحمد بن الفيص والبخار وغيرها بسند قوى عن ابي حمزة الثمالي قال : قال لي ابو جعفر محمد الباقر عليه السلام وانا عنده ونظر الى السماء فقال : « يا ابا حمزة هذه قبة ابينا آدم ، وان لله عز وجل سواها تسعة وثلاثين قبة فيها خلق ما عصوا الله طرفه عين » .

وهذا الخبر الشريف مشهور بحديث القباب ، وارجح حمله على الاراضى المتعددة المنتشرة في الفضاء الواسع جملة منها تتبع الشمس وجملة اخرى تتبع نظائرات اخرى غير عالمنا ، وحول كل ارض منها سماء غازي محيط به كالقبة .

وقد تقدم في مسألة ترتيب السماوات السبع في حديث الرضا عليه السلام ان
سماء كل ارض محيط بها كالقبة فوق الشيء - والله اعلم .

المقالة التاسعة

في البحار والأنوار النعمانية والاحتجاج وشرح السيد الجزائري على
الصحيفة السجادية وفرج المهموم للسيد ابن طاوس بأسانيد قوية عن أمير
المؤمنين عليه السلام انه قال للنجم الفارسي (سرفيل الدهقان) : « في البارحة
سعد سبعون ألف عالم وولد في كل عالم سبعون ألفاً والليلة يموت مثلهم » .
اقول : هذا الاحصاء قريب من الاحصاءات الأخيرة في عصرنا على
ما قاله الفاضل جورجى زيدان في ص ٦٦٨ من اهلة سنة ١٣١٥ : انه
يموت على وجه ارضنا كل ليلة تسعون ألفاً .
فيظهر من هذا الخبر ان لله تعالى سبعين ألفاً من العوالم كعالم ارضنا -
(وهو رب العالمين) .

وروى ابن طاوس هذا الخبر ايضاً بسند آخر ، وفيه : « ان ألف
ألف من البشر يولدون اليوم والليلة ويموت مثلهم » . وفي خبر آخر :
« كلهم مولدون في يوم واحد ومائة ألف من البشر كلهم يموتون الليلة وغداً ،
الى ان قال عليه السلام لسرفيل : « ولو علمت ذلك لعلمت عدد كل قصبة في هذه
الأكمة ، وكانت عن يمينه اكمة قصب » .

المقالة العاشرة

في التوحيد للصدوق والخصال وبحار الأنوار والأنوار النعمانية وشرح
الصحيفة ونور الثقلين وغيرها مستنداً عن جابر ان الامام الخامس محمد الباقر (ع)

قال له : « ولعلك ترى ان الله تعالى انما خلق هذا العالم الواحد او ترى ان الله عز وجل لم يخلق بشراً غيركم ؟ بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم ، وانتم في آخر تلك العوالم واولئك الآدميين . »
وهذا الخبر المقدس صريح في المقصد محقق المضمون بالايان والمؤكدات وقوله عليه السلام : « في آخر العوالم » ليست الاخرية مختصة بالتأخر في الزمان ، بل تستعمل كثيراً في التأخر الشأني والطبعي والمكاني وغير ذلك . يقولون : زيد في آخر قومه عصرأ او مجلسأ او شأنأ او رتبة .

المقالة الحادية عشر

في البحار ومشارك الانوار للحافظ البرسي عن ابي حمزة الثمالي عن الامام الرابع علي السجاد عليه السلام انه قال : « أتظن ان الله تعالى لم يخلق خلقاً سواكم ، بلى والله لقد خلق الله ألف ألف عالم وألف ألف آدم ، وانت والله في آخر تلك العوالم » .

المقالة الثانية عشر

في كتاب بحار الأنوار عن ابن عباس في حديث طويل عن النبي (ص) فيما وراء السماء انه قال عليه السلام : « ومن وراء ذلك ظل العرش وفي ظل العرش سبعون ألف امّة ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم ولا ولد آدم ولا ابليس ولا ولد ابليس ، وهو قوله تعالى : ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾ . »
وهذا الخبر الشريف صريح في ان الله جلّت قدرته خلق من وراء ارضنا وسماواتنا - اعني خلف عالم شمسنا - مخلوقات كثيرة وأما اقراماً حية ناطقة هم في ظل العرش أي تحت احاطة العرش .

والعرش في الشرع كناية عن محدد عوالم الكون ، كما ان الكرسي كناية عن محدد عالم شمسنا خاصة .

* * *

وانى بعد الخوض في بحار مقالات شرعنا الأقدس ظهر لى - والحمد لله - وفاقاً للهيئة العصرية ان الله عظمت قدرته جعل ما ينتظم به امر معاشنا في كرة الأرض وفي كرتنا البخارية ، وسمى ما يحيط بالجميع سماءاً فهو المحدد والمنتهى لنظام أرضنا . ثم جعل أرضنا واخواتها السيارة حول شمسنا وما يلود بهامن الأقار والرجوم في سعة هذا الجو المستدير من مركز الشمس إلى وراء نبتون بكثير .

فكما ان لجرم أرضنا هواء لطيف إلى بعد خاص تجرى فيه السحب والرجوم كذلك لجرم شمسنا هواء ألطف منه يسمونه (جوهراتر) . وقد ذكرته في المقالة السابعة من مسألة تعدد الأرضين .

وتجرى السيارات واتباعها في افلاك جو هذا الهواء كالسحب في افلاكها والذي يحيط بهذا الجو المحدد لنظام الشمس يسمى في شرعنا (كرسياً) و (سرادقاً) وهو كالسقف والفسطاط للسموات والأرض .

وقد تكرر في كلام على ﷺ والآئمة من بنيهم : « ان الله جعل السموات لكرسيه عماداً » وفي القرآن . ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾ . قال في حقائق النجوم ما معناه : « ان ارساد الثوابت من القدر الأول ارشدتنا الى وجود دائرة تشبه اللب ، وعرفتنا ان الشمس محاطة بمثل ما يحيط السيارات من الأبخرة اللطيفة لكن في لطافة تقربها من العدم ، وتنتهى إلى حيث يجرى حكم الشمس وتؤثر عوامله الجاذبة والقاهرة » .

فنسبة الكرسي إلى مجموع النظام الشمسي كنسبة الاتمسفر إلى الأرض

وكذلك نسبة العرش إلى الجميع .

ثم خلق الله تعالى شمساً ونيرة وجعل لكل منها سيارات ونظاماً يخصه ، ونحن نسمى تلك الشمس كواكباً ثابتة - اى فى نظرنا العاجز - مع انها سياحة وسيارة ايضاً فى بيدااء الفضاء الواسع حول مراكز لم تعرف حتى الآن والمحدد الحقيقي لجميع هذه العوالم المادية يسمى فى الشرع (عرشاً) كما ورد فى الشريعة « ان السماوات السبع فى الكرسي كحلقة تلقى فى فلاة والكرسي فى العرش كحلقة تلقى فى فلاة » وظل العرش (اى سلطته وحيطته) منبسط على جميع الأجرام والنظامات القاطنة فى بطنان العرش السابحة فى بحار فضائه حاملة بأمر الله تعالى عباده على كواهلها وظهورها تنتظر احكامه التكوينية .

فاتضح بعد هذا البيان مقصود نبينا محمد ﷺ من قوله : « ومن وراء السماوات ظل العرش ، وفى ظل العرش سبعون ألف أمة ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم ولا ولده » .

المقالة الثالثة عشر

ما اشتهرت روايته عن النبي ﷺ انه قال : « خلق الله العرش وللعرش سبعون ألف ساق كل ساق كاستدارة السماء والأرض » .

وقد روى هذا الخبر العلامة المجلسي فى البحار ج ١٤ باب العرش الكرسي عن وهب بن منبه صاحب النبي ﷺ

وفى تفسير العلامة فخر الدين الرازى : « ان العرش له ستمائة ألف سراق وطول كل سراق وعرضه وسمكه إذا قوبلت به السماوات والأرضون وما فيها وما بينها فانها كلها تسكون فيها شيئاً يسيراً وقدراً صغيراً » .

وفى النهاية لابن الأثير : السراق كلها احاط بشىء - من خباء او حائط .

اقول : هذه الظواهر بأسرها تحكى لما ماتتضيه الهيئة العصرية ، وهى برمتها مخالفة لأراء القدماء والهيئة البطلمية وسية . وقد ذكرت قبيل هذا أن الظاهر من مقالات شرعنا الأقدس هو أن لله عظمت قدرته سماءاً تحيط بأرضه .
واما ما يحيط بجميع سماواته وأراضيه ويحدد نظام شمسنا فهو الكرسى ويعبر عنه بالساق والسرادق والحجاب والركن والقائمة وغيرها ، بحسب اختلاف الملاحظات ، والمراد واحد والألفاظ شتى .

ولا يحصى عدد هذه السرادقات الا الله تعالى ، وجميع هذه السرادقات ممهدة تحت العرش فى ظله المنبسط ، والعرش هو المحدد لجميع العوالم التى لا غاية لها ولا نهاية بالنظر إلى وجدانا العاجز ، ويختص معرفة حدوده والعالم بخصوصيات وجوده بالخالق الحق ، فانه ايضا غير متناه فى ذاته العظمى وصفاته الحسنى ، وهو المحيط بعرش العوالم لا غيره ((الرحمن على العرش استوى)) ولا تذهب عنك لطيفة فى قوله ﷺ : « كل ساق كاستدارة السماء والأرض ، فافهم واسلك سبيل الحق لترقى .

المقالة الرابعة عشر

فى البحار ومناقب ابن شهر اشوب عن الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال : « ان بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير عشرة آلاف عام .

وفى شرح السيد الجزائرى على الصحيفة السجادية والبحار وروضة الواعظين عن الامام الرابع على بن الحسين السجاد عليه السلام انه قال فى حديث طويل : « ان بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع ألف عام ، وفى نسخة « عشرة آلاف عام ، والعرش

يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور ، الى ان قال : « ان الله مليكا يقال له (خرقائيل) له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح الى الجناح خمسمائة عام ، فخطر له خاطر هل فوق العرش شيء فزاده الله تعالى مثلها اجنحة اخرى فكان له ستة وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح الى الجناح خمسمائة عام . ثم اوحى الله تعالى اليه : ايها الملك طر ، فطار مقدار عشرين ألف عام فلم ينل رأس قائمة من قوائم العرش . ثم ضاعف الله تعالى له في الجناح والقوة وامره ان يطير فطار مقدار ثلاثين ألف عام فلم ينل ايضا ، فأوحى الله تعالى لو طرت الى نفخ الصور مع اجنحتك وقوتك لم تبلغ الى ساق عرشي . فقال الملك : سبحان ربي الأعلى » .

اقول : ومضمون هذا النبأ العظيم لا يحسمه رومان فيلسوف ماهر احسن مما اداه هذا التمثال الدقيق المحيط بلباب التحقيق .

ويكفيك في تباعد النظومات وطول المسافة بين عالم شمس وعالم شمس اخرى ان النور يسير في كل ثانية ولحظة اكثر من ستين ألف فرسخا ، واقرب الشمس الى عالمنا ما يصل نوره اليها في ثلاث سنين ، ومثل ذلك بعيد عنا بأكثر من سبعة آلاف ألف مليون فرسخا .

وقد صرح الحكماء بوجود شمس تصل انوارها اليها في خمسة آلاف سنة واكثر (جلت قدرة الله تعالى والله اكبر) .

ولعل المراد من قوائم العرش نظاماته وسراداته كما مر ، او يكون ساق العرش اشارة الى وسط دأرته التي لا حد لمحيطها ولا غاية .

واطلاق القائمة والساق على محور العرش وقطره مناسب ايضا فاستعمل النظر وآمن بعظمة الله تعالى وعلم اوليائه .

المقالة الخامسة عشر

في البحار ومناقب الحافظ الطبرسي محمد بن شهر آشوب المتوفى سنة ٥٨٨
عن ابن عباس عن أمير المؤمنين علي عليه السلام انه قال في جملة خبر الطويل : « وأما
الأربعة عشر فأربعة عشر قنديلا من النور معلقة بين السماء السابعة والحجب
تسرج بنور الله تعالى الى يوم القيامة » .

ورواه في البحار ج ٤ والاختصاص من جملة مسائل ابن سلام اليهودي
عن نينيا ، وان النبي صلى الله عليه وآله قال له : « وأما الأربعة عشر فهو أربعة عشر قنديلا
من نور معلقاً بين العرش والكرسي طول كل قنديل مسيرة مائة سنة » وفي
بعض النسخ « ثمانية عشر حجاباً والطول مائة ألف سنة » .

أقول : القنديل في العرف اسم سرج ومصباح على شكل البيضة خصوصاً
إذا اعتبرت خيوطها وسلاسلها التي تعلق بها . وبناء أعلى هذا يكون القنديل شبيهاً
بالنظام الشمسي من جهة الشكل ، حيث انه يضيئ كالنظام الشمسي .

ومن جهة تظمينه لجسم ناري في وسطه يشع بذاته نوراً وناراً كالنظام
الشمسي المتضمن للشمس في وسطه وهي تشع بذاتها نوراً وناراً ، فيصح اطلاق
القنديل على النظام الشمسي تشبيهاً ومجازاً .

وأما تطبيق هذه المضامين المقدسة المفهومة من هذه الألفاظ الكريمة على
تعدد العوالم فيقويه :

(أولاً) قوله عليه السلام : « معلقاً بين العرش والكرسي » فانا ذكرنا في المقالة
الثانية عشر ان العرش كناية عن محدد نظمات العوالم جميعاً ، والكرسي كناية
عن محدد نظامنا ومحيط عالم شمسنا ، فيكون ما بينهما فراغ يبداء الفضاء الذي
تهم في سفسافه شمس كبرى بتوابعهن ورايات حجورهن .

(وثانياً) قوله عليه السلام : « طول كل قنديل مائة ألف سنة ، بناءً على بعض النسخ ، وانت تعلم سعة كل نظام شمسي ، وان شمسنا الصغيرة تفوق طول القطر من نظامها على ألف مليون فرسخ .
وقوله عليه السلام : « معلقة » يجوز قراءته بسكون العين وتخفيف اللام بمعنى مسرعة ومشعلة ، فيقوى كونها شمساً نيرة بنفسها ، ويجوز بفتح العين وتشديد اللام من التعليق بمعنى وضعها في الفراغ غير مركوزة في ثخن جرم ، فيتصف عندئذ بها كل جرم سماوي حسب المباني الجديدة .

* * *

وبعد ذلك يجوز أن يكون الخبر إشارة إلى المذنبات العظيمة القابلة للابصار ويؤيد ذلك من ألفاظ الخبر جمل :
(منها) قوله عليه السلام : « أربعة عشر قنديلاً » فان المذنبات العظام التي يجوز بصارها وإخبار الشرع عنها في خطابه لا يبعد أن تكون أربعة عشر أو الكائن كذلك في عصره .

(ومنها) تسميته قنديلاً ، فانها تشبه القنديل في شدة الضوء والاشتعال والحرارة حسب ما شرحت في مسألة المذنبات ، مضافاً إلى مشابهتها في الشكل بالنظر إلى ذواتها أو ذنابها التي قد تبلغ ١٣٣ مليون ميل .
(ومنها) قوله عليه السلام : « طول كل قنديل مائة سنة » على بعض النسخ ، فان عظام المذنبات لا تقصر أقطارها عن ذلك ، واذا صحت نسخة مائة ألف سنة فيجوز حملها أيضاً على سعة فلك المذنبات البيضوية الشبيهة أيضاً بالقناديل . ولا نشك في كثرة اتساعها .

(ومنها) قوله عليه السلام : « بين السماء السابعة والحجب » اذ المراد من ذلك - كما مر مراراً - هو ما بعد نظام شمسنا خلف ارنوس ونبتون إلى أن ينتهي

الى حدود سائر النظمات الشمسية الآخر المعبر عنها بالساقات والسرادات والحجب .

وأنت تعلم ان مجال المذنبات هي ما بين هذه الفسحة المتسعة ، وتعلم أيضاً ان المذنبات العظام تبعد في سيرها من فلك نبتون الى مثل بعد نبتون عن الشمس أربعة عشر مرة ثم ترجع لتشكل فلك اهلياجي أو يوضوى في مدة ستائة سنة تقريباً ، ومذنب سنة ١٨٨٢ م يتم دورته في ٨٠٠ سنة .

وبناءً عليه فكم تقدر سعة أفلاك المذنبات التي تكمل دورها في ألفين سنة أو ثلاثة آلاف سنة ؟ فانظر الى تقاصي سائر النظمات الشمسية الآخر وكال بعد دارها عنا ، اذ لا تلقف بجاذبيتها هذه المذنبات الهائمة في هي جاذبية نظام شمسنا ، ولا ترسل من جذبها شيئاً الى حدود سلطنة شمسنا فتختلس نقر آمن شوارد رعاياها .

وانظر الى سعة ملك شمسنا المنبسط في أنظاره عوامل جذبها وقهرها وطول المسافة من حدود رعايتها وكرسى سلطتها (جل ربنا العظيم الذي وسع كل شيء ولا آله سواه) .

المقالة السادسة عشر

في الأنوار النعمانية وشرح الصحيفة السجادية للحافظ السيد نعمة الله الجزاىرى بعد كلام له ينبيء عن جموده الممدوح على ظواهر السكتاب والسنة قال : وقد روى عن الطاهرين - يعنى النبي وأوصيائه المعصومين - : « ان الله تعالى خلق مائة ألف قنديل وعلقها بالعرش والسموات والأرض وما فيها حتى الجنه والنار كلها في قنديل واحد ، ولا يعلم ما في القناديل الباقية الا الله سبحانه » .

اقول : وقد اشرت وسأشير إلى مشابهة النظام الشمسى بالقنديل من
وجوه عديدة :

(منها) ان القنديل شكله بيضوى وكذلك النظام الشمسى عند المتأخرين
بمجوعه بمدارات سياراته بيضوى الشكل .

(ومنها) ان القنديل يتضمن جسماً لطيفاً في وسطه يتوقد ناراً ويشع
نوراً ، وكذلك النظام الشمسى عند المتأخرين في وسطه كرة الشمس اللطيفة
التي بذاتها تثير النار وتشع الأنوار .

(ومنها) ان القنديل مربوط في الهواء وليس بمركز في ثخن جرم ،
وكذلك النظام الشمسى مربوط عند المتأخرين بجاذبية الثوابت وليس بمركز
في ثخن جرم كما كان القدماء يزعمونه .

(ومنها) ان الجرم المضئ في القنديل ليس في وسطه الحقيقي بل هو
اقرب إلى حد منه عن الحد الآخر ، وكذلك النظام الشمسى عند المتأخرين
ولذلك تراهم يقولون في دوران السيارات حول الشمس : والشمس في
احد المحترقين .

قال في حدائق النجوم ما معناه : ان المركز الحقيقي لعالمنا هو غير
مركز الشمس وانما هو مركزه التقريبي ، بل المركز الحقيقي لعالمنا خارج عن
الشمس بمقدار النصف من قطر الشمس تقريباً .

* * *

وبعد ما ظهرت لك مشابهة النظام الشمسى مع القنديل ينطبق هذا
البناء العظيم على النظام الجديد دون القديم ويكون ناطقاً بوجود ألوف من
العوالم والنظومات الشمسية الحاوية لأراضى سيارة واقمار دوارة وعمار وديار
وجنة ونار ونحوها من لوازم المعاش والمعاد .

وفي قوله ﷺ : « والسموات والأرض وما فيها حتى الجنة والنار كلها في قنديل واحد » دلالة واضحة على ان كلا من عوالم تلك القناديل يسع السموات والأرض ، كما هو شأن النظام الشمسى عند المتأخرين خاصة .
وقوله ﷺ : « معلقة بالعرش » يناسب رأى الأواخر على ماشرت اليه فى المقالة الخامسة عشر ، سواء قرأنا المعلقة بتشديد اللام بمعنى الربط من التعليق أو بتخفيفها بمعنى التسريح والاشعال .

والعرش كما فسرته مراراً محدد جميع نظمات الكون ومحيط عوالمه الوافرة وقوله ﷺ : « ولا يعلم ما فى القناديل الباقية غير الله سبحانه » واضح على مباني المتأخرين ايضاً ، فان البعد البعيد والفضاء المديد المبين فيما سبق مانع من اطلاع الحواس على ما فى تلك العوالم ، بل ولا تحس بمبادئ امور فيها حتى تعيين قوة الحدس ايضاً .

وحسبك ان البعد وفقد الروابط والوسائط مانعان من اطلعنا على ما فى سيارات شمسنا التى تبعد عشرة ملايين فرسخاً ، فضلاً عما فى شمس بعدت عنا بألاف ألوف ملايين الفراسخ وعما فى سياراتها الخفية ، ولا سيما فى عصر صدور هذا الخبر ، اعنى به زمان النبى محمد ﷺ واوصيائه ﷺ اذ لم يكن وقتئذ ذكر من هذه الخواطر ولا اثر من هذه الحقائق فى الدفاتر ، ولم تكن من ادواتنا الكشفية يومئذ شبح ولا سيما ولا اسم فضلاً عن المسمى .

ان العلم كان يومئذ كجنين فى رحم ظواهر الشريعة الاسلامية المقدسة مثلما هى اليوم كطفل يرضع من ثدى الكتب والصحف لينمو فى حجر الجمعيات الفاضلة ذو الأدوات والأسباب الكاملة ، وسوف يدرج مدارج السكال ويبلغ مبالغ الرجال فى مستقبل الأجيال - والله العالم بحقائق الأحوال .
فانظر إلى قوة انظار اولياء الحق وامناء الاسلام وصفاء قلوبهم ،

وانطباع اسرار الكون وحقائق العوالم القاصية فى مرآت نفوسهم المقدسة بالوحى والالهام من الرب العلام .

فاذا ظهر صدقهم فى هذه المقالات الغيبية التى لا يدركها حس ولا يهتدى اليها عقل فقد استراح القلب واطمئن فى صحة سائر دعاويهم ومقالاتهم المربية للنفوس والطباع والمبكرة لنظامات الصحة والاجتماع المطلوب منها حفظ الأشخاص مع الأنواع (هذا هو الدين القيم فلا تبغ غير الاسلام ديناً) .

« خاتمة الكتاب »

(في مقالات اسلامية توافق الهيئة العصرية)

المقالة الأولى

في روضة الكافي والوافي وبحار الأنوار وغيرها بسند قوى عن
الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام في خبر يسأل فيه منجماً عراقياً من اصحابه
على سبيل الامتحان : كم السكينة من الزهرة جزءاً في ضوءها ؟ قال المنجم :
هذا والله نجم مسمعت به احداً من الناس يذكره . قال الامام عليه السلام : « سبحان
الله العظيم أفاسقطتم نجماً بأسره فعلى ما تحسبون ؟ » . ثم قال : فكم الزهرة من
القمر جزءاً في ضوءه ؟ فقلت : هذا شيء لا يعلمه الا الله تعالى . قال : فكم
القمر جزءاً من الشمس في ضوءها ؟ قلت : ما اعرف . قال : صدقت . الخ .
وفي باب تحريم النجوم من البحار ج ١٤ عن الكافي عن العدة بسند
صحيح وفي غيره عن روضة الكافي والوافي عن عبدالله بن سياه عن الصادق (ع)
انه قال : اتدرى كم بين المشتري والزهرة من دقيقة ؟ قلت : لا والله . قال : او تدرى
كم بين الزهرة وبين القمر من دقيقة ؟ قلت : لا والله . قال : او تدرى كم
بين الشمس والسكينة من دقيقة ؟ قلت : لا والله ما سمعته من احدهم المنجمين
قط . قال : اتدرى كم بين السكينة وبين اللوح المحفوظ من دقيقة ؟ قلت :
لا ما سمعته من منجم قط .

قال السيد ابن طاوس : وروى هذا الحديث اصحابنا في المصنفات والأصول ، ورواه محمد بن ابي عبد الله في اماليه ، ورواه محمد بن عيسى اخو مقلس عن حماد بن عثمان .

اقول : يفيدنا ظاهر هذين الخبرين الشريفين ان نجمة السكينة هي من جملة السيارات وليست من مقولة الثوابت ، وتنطبق بحسب الامارات على سيارة (ارانوس) المبصرة كنجم من القدر الخامس ، اكتشفها سروليم هرشل سنة ١١٩٥ هـ ١٨٧١ م . ويشهد على ما استفدته امور ظاهرة : (الامر الأول) تكرارها في اخبار الأئمة (عليهم السلام) في عداد السيارات ، كالقمر والمشتري والزهرة - كما لا يخفى على المطلع .

(الأمر الثاني) مقايضة ضوئها مع ضوء الزهرة ، وذلك انما يناسب كونها من سنخ واحد يتفاضلان في النور والضياء ولا يناسب مقايضة تفاضلهما في الضياء مع كون احدهما سيارة مظلمة والاخرى ثابتة وشمسا من الشموس النيرة بنفسها ، بخلاف ما لو كانا من سنخ واحد بأن تكون نجمة السكينة اشارة إلى ارانوس لأصبح التناسب في المقايضة في أجلى ألبة الوضوح ، فانها جميعاً ارضان سيارتان مختلفتان في الضياء والبرق اختلافاً ظاهراً ، بحيث نرى الزهرة اشد السيارات ضياءً وأجملها منظرأ ، ونرى ارانوس اشدّها خفاءً وظلاماً . فيكون في مقابلة ارانوس بالزهرة كمال المناسبة ، بحيث لا تحصل هذه المناسبة بمقابله مع غيرها .

(الأمر الثالث) قوله (عليه السلام) في هذا الخبر وفي غيره : « أفاسقطم نجما بأسره فعلى ماتحسبون » ، فان المحاسبات النجومية واحكام السعادة والنحوسة والشرف والهبوط والمقابلة والاجتماع وغيرها متعلقة بالسيارات من حيث الحالات والحركات والأدوار والأطوار ولا تتعلق بالثوابت ، اذ لا يظهر

فيها شيء من ذلك ولا ارتباط لبعضها ببعض حتى يحتاج الى ضبط حالة او حركة أو يخل جهل احدها بأحكام البقية بخلاف السيارات .

فلو كانت نجمة السكينة بناءً على هذا من الثوابت لم يبق موضع مناسب لشدة تعجب الامام (ع) من محاسباتهم بقوله : « فعلى ما تحسبون » بعد اسقاط نجم بأسره ، واما إذا كانت هذه النجمة من السيارات وقع تعجب الامام (ع) في انسب مواضعه - كما لا يخفى .

(الأمر الرابع) قوله (ع) : « سبحانه الله العظيم أفاسقطتم نجماً بأسره » فهذا الاستعجاب العظيم من الامام انما يناسب كونها سيارة لا ثابتة ، حيث لا موضع لا يستعجابه من اسقاط نجمة ثابتة ، اذ الكواكب الثابتة التي ترى بالابصار المتعارفة يربو عددها على ألفين كوكب عند المتقدمين والمتأخرين ولم يرصد المتقدمون ولم يمينوا منها غير ألف ونيّف وعشرين كوكب ثابت ففي عصر الامام (ع) كان الساقط عن الحساب من ثوابت النجوم المبصرة بقدر ما رصده كثرة .

وبناءً على هذا لا يبق موقع مناسب لتعجب الامام (ع) من اسقاط واحد منها والجال انه يمانله المئات بل الألوف في السقوط وعدم الضبط ، واما اذا عدت نجمة السكينة من سائر السيارات صار لاستعجاب الامام (ع) موقع مناسب جداً .

فان الحكماء السالفين بذلوا أعز الأموال والأعمار في مراقبة الأنجم السيارة حتى حصروها في سبعة وضبطوا حركاتها على اكمل ضبط ، وعينوا مواضعها وأفلاكها وترتيبها وبنوا على ذلك قواعدهم وأحكامهم النجومية جميعاً فمع هذه المراقبة لو غفلوا عن سيارة واحدة مرئية بالابصار المعتدلة ولم يتفطنوا بها ولا بأحكامها كان تعجب العاقل من هذه الغفلة العظيمة مناسباً وفي

محله وصح قوله ﷺ : « سبحان الله العظيم أفاسقطم نجما بأسره » .
ويظهر من المقالة الثالثة من الطائفة الثانية في مسألة عدد السيارات ان
نجمة (ارانوس) كانت قديما مرصودة ومعروفة عند بعض حكماء الهند ، ومن
رصدهم اياها استقام حسابهم في فن النجوم والفلك .

(نكتة)

كما تدل شدة تعجب الامام ﷺ من اسقاط السكينة على كونها من
السيارات كذلك تدل ايضا على كونها السيارة المعروفة اليوم بأرانوس ، وقد
استفدت هذه الدلالة الثانية من جهات :

(الأولى) ذلك التعجب العظيم من اسقاط نجمة السكينة عن الحساب ،
اذ نحو هذا التعجب انما يقع من العاقل مناسبا وفي محله اذا كانت النجمة صالحة
للرؤية . وأما اذا كانت غير مبصرة لم يصح من الغفلة عنها ، اذ الحكيم لا يعرف
الأنجم بالوحي ونحوه حتى تعد غفلته من خفايا الأجرام عجبا بل يعد اطلاعه
عليها في غاية الغرابة .

وإذا وجب على هذا كون النجم المغفول عنه سيارة مبصرة تعين كونه
(ارانوس) ، إذا النجوم الصالحة يؤمذ للرؤية انما هي ستة من سيارات
شمسنا فقط ، وهى : ١ عطارد ، ٢ الزهرة ، ٣ المريخ ، ٤ المشتري ، ٥
زحل ، ٦ ارانوس . وليس المغفول عنه من بينها غير الأخير فقط - اعني
ارانوس ، وأما الخمسة الباقية فقد كانت مرصودة ومعروفة عند الجميع بالخمسة المتحيرة
فتنحصر اشارة الامام ﷺ الى ارانوس لا غيره .

(الجهة الثانية) مقابلته في المقايسة مع الزهرة - كما مر في الأمر الأول حيث ان السيارات ليس لها حسبها نشاطا أضوا من الزهرة حتى انها قد ترى في النهار ، كما انه ليس فيها حسبها نراه اخفى من سيارة ارنوس حتى انها قد لا ترى في الليل ، ولا يفوز كل بصر باصباره لتناهيته في الظلمة والصغر .

(الجهة الثالثة) تسمية الامام عليه السلام هذه النجمة بالسكينة التي هي في العرف تلازم بقاء الحركة وهذوء السير ، وليس في سياراتنا المبصرة ابطاً سيراً من (ارنوس) حيث يكمل الدور في اكثر من ثمانين سنة ، فكأنه يمشى بسكال السكينة ونهاية الطمانينة - (والحق اعلم بالحق) .

المقالة الثانية

في البحار ج ١٤ وفرج المهموم للسيد ابن طاوس قال : رويناه بالاسانيد عن الحسين ابن الغضائري ونقلته من خطه من الجزء الثاني من كتاب الدلائل لعبد الله بن الحميري باسناده عن بياع السابري قال : قلت لأبي عبد الله (يعني الامام جعفر الصادق) : ان لي في النظرة في النجوم لذة . . الى ان يقول له الامام : كم تسقى الشمس القمر من نورها ؟ قلت : هذا شيء لم اسمعه قط ! فقال الامام (ع) : فكم تسقى الشمس الزهرة من نورها ؟ قال : قلت : ولا هذا . فقال (ع) : فكم تسقى الشمس من اللوح المحفوظ ؟ قلت : وهذا شيء لم اسمعه قط . فقال الامام (ع) : هذا شيء اذا علمه الرجل عرف اوسط قصبة في الأجمة ، ثم قال (ع) : « ليس يعلم النجوم الا اهل بيت من قريش واهل بيت من الهند » .

اقول : وقد استفدت من هذا النبأ القدسي معنى لطيفاً يوافق الهيئة العصرية ، وهو ان السيارات مظلمة بالذات وتكتسب الانوار من الشمس كالقمر وفاقا للمتأخرين ، فانهم متفقون على ان اجرام السيارات والاقيار

أراض كأرضنا ذات رمال وجبال لا تقتضى النورانية بذاتها ، فلا بد لها من ان تستعطي وتكتسب الأنوار من الشمس حتى تضيء ، بخلاف الثوابت فانها شمس نيرة كشمسنا لا تحتاج الى اكتساب الشعاع من الشمس (١)

* * *

وأما قدماء علم الفلك فالتقل المشهور عنهم من لدن بطليموس الى الألف الهجرى هو استغناء جميع السيارات من الشمس فى الضوء والنورانية ما عدا القمر (٢) وقد حكى ذلك عنهم فى حدائق النجوم وغيره .

ونقل العلامة تان المجلسى فى البحار والشيخ البهائى فى الحديقة الهلالية عن المنجمين ان القمر يختص بخواص لا توجد فى غيره من الكواكب واشهر

(١) إذا كان اكتساب النور دليلاً على الظلمة الذاتية - كما يقول به سماحة المؤلف مستفيداً ذلك من الخبر حيث جعل كسب القمر والزهرة النور من الشمس دليلاً على الظلمة الذاتية - فاللازم ان تكون الشمس أيضاً مظلمة بالذات ، لما جاء فى ذيل الخبر : « فكم تسقى الشمس من اللوح المحفوظ » ونستنتج من سياق هذا الخبر ان القمر والشمس والسيارات كلها تكتسب النور من غيرها وكلها مظلمة بالذات على حد سواء ، فاذن لا بد من التأمل فى قول المؤلف : « بخلاف الثوابت فانها شمس نيرة كشمسنا . . . » ، وهذا القول مناقض مع كيفية الاستدلال - (ف) .

(٢) هذا ضد ما اختاره محي الدين واضرابه ، فكأن القدماء كانوا بين قولين لا ثالث لهما : احدهما استضاءة العموم من الشمس حتى الثوابت وثانيهما استغناء العموم عن الشمس حتى السيارات ما عدا القمر . واما الهيئة الجديدة فاتخذت مسلكاً وسطاً وقالت باستغناء الثوابت عموماً واستضاءة السيارات عموماً . وهذا هو مذهب الشرع المحمدى .

تلك الخواص ستة : سرعة الحركة ، واختلاف تشكلاته ، واكتسابه
النور من الشمس . . . الخ .

فاستعطاء الضياء من الشمس كبقاى الخواص كان لديهم مخصوصاً بجرم
القمر فقط ، واضحى اليوم هو كبقاى الخواص مشتركاً بين جميع السيارات
عند المتأخرين ، وإن الجميع مظلمة ذاتاً لو لم تسقى الشمس سطوحها من
فيض اشعتها .

وهذا الخبر القدسى المعنون يشير بظاهره الى مذهب المتأخرين ، وإن
الشمس تسقى من فيض ضوئها جرم القمر كما هو المسلم بين من تقدم وتأخر ،
وكذلك تسقى بقية السيارات بما افاض الله تعالى عليها ، فسقى الزهرة مثلاً
من انوارها مقداراً لا يعلمه الا الله تعالى واولياؤه . واللوح المحفوظ كناية عن
حقيقة خفية فى عالم الوجود نشرحها فى بقية كتبنا انشاء الله تعالى والشمس
تستقى منها بل كل ما فى عوالمنا مستفيض من بحار جودها (والله اعلم بما خلق
وهو اللطيف الخبير) .

وقد ذكر الامام (ع) فى هذا الخبر القدسى استضاءة الزهرة والقمر
من قرص الشمس وانها مقدرة بمقدار خاص ، اى يستضىء القمر من
الشمس قدرأ معيناً ، وكذلك الزهرة تأخذ من الشمس مقداراً معيناً من النور
وهذه التقادير معينة فى نفس الامر ولكن لا يعلمها الا الله تعالى واولياؤه
المقربون اليه .

وقد بذل المتأخرون همماً ناهضة واموا الا باهضة حتى عرفوا بمهونة
الآلات الدقيقة على سبيل التقريب مقدار ما تستفيده السيارات من نور
شمسنا ونارها ، فقالوا : ان الزهرة تكتسب من نور شمسنا ثلاثة اضعاف
ما تقيضه على الارض ، ويكتسب منها عطارد ثمانية اضعاف ما تقيضه على

الأرض ، واختصت القناعة بالسيارات العليا (والقناعة شأن الأعلون) فتكتسب نجمة زحل من نور الشمس كجزء من تسعين جزء مما تفيضه على الأرض ، ويكتسب ارانوس منه كجزء من ثلاثة وستين جزء مما تفيضه على الأرض ، ويكتسب نبتون منه كجزء من تسعمائة جزء مما تفيضه على الأرض على ما صرح به فلا مريون الفرنسي .

وعرفوا أيضاً مقدار شكل الشمس في عين الناظر اليها من كل سيارة فقالوا : ان الشمس تتراعى كدائرة قطرها شبر لمن في أرضنا ، وشبر ونصف لمن في الزهرة ، وقدمان لمن في عطارد ، ونصف قدم لمن في المريخ ، وكرمانه لمن في المشتري ، وكسارنجمة لمن في زحل ، وكبيضة لمن في ارانوس ، وكجوزة أو لوزة لمن في نبتون على ما قدره كثيرون .

ومعرفة هذه الأقدار تحقيقاً وتقريباً كان في القرون الماضية من غوامض الأسرار المختصة بالله جل علمه وبمن اوحى اليه ، ولذلك قال الامام (ع) « هذا شيء اذا علمه الرجل عرف اوسط قصبة في الأجمة » . يعني ان هذه الأسرار في تلك العصور لا تعرف الا باحاطة غيبية بالمبادئ القدسية . فيكون بناءً على ذلك عرفان هذه الأقدار وعرفان بواطن الأشجار مثلاً زمان ، لكونها معلولين لعلة واحدة هي المبدأ أو المنشأ لها - اعني بها انكشاف ما في الطبيعة لدى النفس المتصلة بما فوق الطبيعة .

(تتمة مهمة)

ويقرب من مضمون هذا الخبر المعنون خبر آخر وجدته في البحار ج ١٤ والاحتجاج عن ابان بن تغلب ان الامام السادس جعفر بن محمد الصادق (ع)

قال المنجم اليماني : كم ضوء المشتري على ضوء القمر درجة ؟ فقال اليماني : لا ادري . فقال ابو عبد الله (ع) : صدقت فكم ضوء المشتري على عطارد درجة ؟ فقال اليماني : لا ادري . . . الخ .

اقول : وقد استفدت من ظواهر هذا الخبر لطائفاً :

(منها) كون السيارات المظلمة تكتسب الانوار من الشمس ، فان الامام عليه السلام ذكر عطارد والمشتري والقمر بسوق واحد وقاس بين انوارها . وقد اوضحنا في المقالة الاولى من الخاتمة ان المقايسة انما تقع مناسبة وفي محلها اذا كانت بين المتجانسات ، مثل ان يكون الطرفان كلاهما منيرين بالذات كالشوايت ، او يكون كلاهما مظلمين بالذات ويكتسبان النور من الغير كالسيارات ، فاذا كانت السيارات كالقمر تكتسب الانوار من الشمس كما في الهيئة العصرية ظهر لهذه المقايسة موقع مناسب جداً . وقد مر في الامر الاول من مسألة القمر ما يشير الى استضاءة السيارة .

(ومنها) ان ضوء المشتري فائق في نفس الامر على ضوء القمر كثيراً وان كان النظر الحسي يفوق ضوء القمر عليه ، وكذلك بالنسبة الى عطارد فان ضوء المشتري فائق عليه ، فالشريعة والفلسفة متوافقان في هذه المسألة ايضاً وإن وان خالفهما الحس البدوي .

(ومنها) ترتيب السيارات ، فان ترتيب بيان الامام (ع) وذكره لاسماء السيارات موافق للنظام الحديث الموافق للقرآن والاحاديث كما مر في الامر الاول من مسألة اوصاف القمر ، فانه (ع) ذكر المشتري اولاً ثم عد السيارات نازلاً منه ، فسمى ما هو بعد المشتري بواحد اعنى القمر ، ثم ذكر ما بعد القمر بواحد اعنى عطارد على النظام الجديد ، فيتجه لهذا الكلام نظام . بخلاف ما لو اعتبرنا الهيئة القديمة فانه لم يبق لهذا الكلام التام نظام

معه بل ينحل إلى ترتيب مشوش - كما لا يخفى .

المقالة الثالثة

في كتاب فرج المهموم للسيد ابن طاوس والبحار بأسانيد كثيرة عن امير المؤمنين على (ع) انه قال للنجم الفارسى سرسفيلى الدهقان على سبيل التهجيز والامتحان : « اخبرنى عن طول الاسد وتباعده عن المطالع والمراجع ، وما الزهرة من التوابع والجوامع ؟ » .

اقول : قد اشتهر بين المتأخرين اطلاق التوابع على الأقمار من جهة انها تابعة فى السير للكرات السيارة وفى المولد ايضاً على ما يقولون كتابعة السيارات للشمس . وقد يصفون الشمس بالجوامع نظراً الى انها هى الجامعة بنظامها شمل السيارات والحافطة بجذبها بناتها عن الشتات . ويعتقدون توسط عنوان السيارات بين عنوان الأقمار التابعة وبين عنوان الشمس الجامعة ، وان السيارات بنات الجوامع وامهات التوابع ومجذوبات لتلك وجاذبات لهذه وهكذا فى اكثر الجهات ترتبط السيارات مع الجوامع والتوابع وتتوسط بينهما فى السير وفى الجذب وفى التكوين وفى المحل وفى الحجم وفى غير ذلك . وعلى هذا يتضح معنى قول وصى النبى (ع) : « وما الزهرة من التوابع والجوامع ، اى وما نسبة عنوان سيارة زهرة من عنوانيهما .

ولو كان سرسفيلى عالماً بالهيئة العصرية لقال : نسبة عنوانها هى التوسط بين التوابع والجوامع ، اى ان نسبة الأقمار الى السيارات كنسبة السيارات الى الشمس كما فصلناه . وبناءً على هذا يكون المقصود من ذكر زهرة مطلق السيارات وكافتها . وانما خص زهرة بالذكر دون البقية لكونها اظهر افراد السيارات لدى الحواس واعرفهن بين الناس .

جبل قاف

بقلم

سماحة العلامة الأكبر

السيد هبة الدين الحسيني

الشهرستاني

عزيزي القاريء

(جبل قاف) اسم يتردد كثيراً في آثار الشريعة الإسلامية ويلوح لنا من هنا وهناك في الأحاديث النبوية وما ورد عن أهل بيته المعصومين (ع) . فهو جبل محيط بالديسا من زبرجدة خضراء عليه كنفها السماء وطوله مسيرة ألف سنة . . . الخ .

فاذن أين هذا الجبل ولماذا لم نصل إليه مع كثرة الوسائل الثقيلة ؟
ان هذا سؤال يتردد كثيراً على الألسن ويصعبه تبسم فيه شيء من التهمك والسخرية من الذين يريدون شن الغارات على الاسلام وعلى مقدساته وعقائده ، انهم يجدون طريقاً للغمز في التعاليم الاسلامية الغراء ، ذلك لأنهم لم يطلعوا على هذه الأسرار التي كانت مخبوءة لهذا العصر وما بعده حيث يتطلبان معاجز غير تلك المعاجز التي ابداهها الرسول العظيم لأهل عصره واظهرها أهل بيته المعصومين لزمانهم الذي كانوا يعيشون فيه .

ان (جبل قاف) ليس بشيء خيالي بعيد عن الواقع وانما هو ظل الأرض المخروطي المخضر من اختلاط النور والظلمة ، هكذا يفسر هذا الاسم سماحة العلامة الأكبر سيدنا السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني في رسالته هذه التي نقدمها كتكملة لكتابه القيم (الهيئة والاسلام) ، راجين من المولى جل وعلا ان يديم حياة سيدنا ليكون نبراساً نستضيء به في الظلم .

السيد احمد الحسيني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على آلائه ، والصلاة على سيدنا محمد خاتم انبيائه ، وعلى آله
وآلِهِ .

اما بعد : فان الاخبار الماثورة عن النبي والائمة من اهل بيته الكرام - عليه
وعليهم افضل الصلاة والسلام - في شأن (جبل قاف) لما كانت صادرة على
طريقة الاشارة والتمثيل ، وهى الطريقة التى قال عنها المصطفى ﷺ : « نحن
معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم » ، ومن أجله أصبحت
ظواهرها غريبة الشكل تتباعد عنها الطباع والأسماع ، وصار من اجل ذلك
يتخذ الذين فى قلوبهم مرض وزادهم الله مرضاً امثال هذه الظواهر وسيلة الى
التشكيك والتضليل والاستخفاف بالآثار الاسلامية .

ولذلك اندفعت الى تفسير تلك الظواهر الماثورة وكشف أسرارها
المستورة ، والتوفيق بينها وبين الكشفيات الجديدة عند المتأخرين من
علماء الهيئة والفلك .

فان اصبت الحقيقة فيما فسرته فذلك من فضل ربي ، وان اخطأت فان
ربي غفور رحيم .

هبة الدين الحسيني

النجف الاشرف سنة ١٣٢٧ هـ

« الفصل الاول »

(الآثار الاسلامية حول جبل قاف)

ان الاخبار الماثورة حول جبل قاف وتفسير هذا الرمز الغريب تباغ
عشرين أثراً أو أكثر نوردتها قبل الشروع في تفسيرها :

١ - ما في تفسير الحافظ علي بن ابراهيم القمي من ابناء القرن الثالث
الهجرى في شرح قوله تعالى : ﴿ حمسق ﴾ بسنده القوى عن الامام الباقر محمد
ابن علي بن الحسين عليهم السلام انه قال : « وق جبل محيط بالدنيا من زمرد اخضر ،
خضرة السماء من ذلك الجبل » - الخ . وهو مروي في البحار للبحلى وفي
البرهان للسيد البحراني وفي مفتاح الجنان للشيخ البرغانى .

٢ - ما في بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار المتوفى سنة ٢٩٠ هـ
وفي منتخب البصائر لحسن بن سليمان الحلبي : « ان الله تعالى خلق جبلاً محيطاً
بالدنيا من زبرجد اخضر ، وانما خضرة السماء من خضرة ذلك الجبل » .
وهو مروي في البحار والبرهان والمفتاح ايضاً .

٣ - ما في معاني الاخبار لصدوق المحدثين محمد بن علي بن بابويه القمي
المتوفى سنة ٣٨١ هـ مستنداً عن الامام الصادق جعفر بن محمد (ع) انه قال في
خبر طويل : « واما ق فهو الجبل المحيط بالأرض ، وخضرة السماء منه ، وبه
يمسك الله الأرض أن تميد بأهلها » . وهو مروي ايضاً في البحار والبرهان
وغيرهما .

٤ - ما في الدر المنثور للمحافظ السيوطي جلال الدين من ابناء القرن التاسع بسنده عن عبد الرحمن بن بريدة قال : « ق جبل من زمرد محيط بالدينا عليه كنف السماء » وهو مروي في البحار ايضاً .

٥ - ما في الدر المنثور وفي بحار الانوار للعلامة المجلسي محمد باقر المتوفى سنة ١١١١ هـ عن مجاهد أنه قال : « ق جبل محيط بالأرض » ، ورواه الفير وزآبادي في القاموس في مادة (قوف) .

٦ - ما في تفسير علي بن ابراهيم القمي ايضاً وفي غيره قال : « قاف جبل محيط بالدينا من وراء يأجوج ومأجوج . وهو قسم » . ورواه الطريحي ايضاً في مجمع البحرين في مادة (قوف) عند تفسير آية ﴿ ق . والقرآن المجيد ﴾ .

٧ - ما في البحار والدر المنثور عن ابن عباس (رض) صاحب النبي (ص) وابن عمه قال : « خلق الله جبلاً يقال له قاف محيط بالعالم » .

٨ - ما في مجمع البيان لأمين الاسلام الطبرسي المتوفى سنة ٥٤٨ هـ عن الضحاك وعكرمة من اصحاب النبي (ص) : « ان قاف اسم الجبل المحيط بالأرض من زمردة خضراء وخضرة السماء منها » .

٩ - المقطوعة المروية في البحار وفي كتاب الأقاليم والبلدان : « ان جبل قاف محيط بالأرض كحاطة بياض العين بسوادها » .

١٠ - ما في باب البلدان من كتاب البحار من جملة مسائل عبد الله بن سلام الاسرائيلي عن النبي (ص) فقال فيما قال : أخبرني ما بال سماء الدنيا خضراء ؟ قال (ص) : « يابن سلام أخضرت من جبل قاف » قال : صدقت يا محمد .

١١ - ما في البحار والدر المنثور عن ابن عباس قال : « خلق الله تعالى من وراء هذه الأرض بجزراً محيط بها ثم خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له

(قاف) السماء الدنيا متر فرقة عليه ، ثم خلق من وراء ذلك الجبل أيضاً مثل تلك الأرض سبع مرات ، ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها ، وهكذا حتى عد سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة اجبل .

١٢ - ما في البحار والدر المنثور أيضاً عن ابن عباس قال : دخل علينا رسول الله (ص) ونحن في المسجد خلق خلق فقال لنا : فيم انتم ؟ فقلنا : نتفكر في الشمس . . . الى ان قال (ص) : « ان من وراء قاف سبعة بحار كل بحر خمسمائة عام ، ومن وراء ذلك سبع أرضين يضيء نورنا لآهلها ، ومن وراء ذلك سبعين ألف امة » - الخبر .

١٣ - ما في باب الجبل من كتاب البحار عن بعض المفسرين « ان الله تعالى من وراء جبل قاف أرضاً بيضاء كالفضة طولها مسيرة اربعين يوماً للشمس » - الخبر .

١٤ - ما في تفسير القمي وغيره عن عبد الله بن عباس في تفسير آية ﴿ رب العالمين ﴾ قال : « ان الله عز وجل خلق ثلاثمائة عالما وبضعة عشر عالماً خلف قاف وخلف البحار السبعة لم يصبوا الله طرفة عين قط ، ولم يعرفوا آدم ولا ولده ، وكل عالم منهم يزيد من ثلاثمائة وثلاث عشر مثل آدم وما ولد » .

١٥ - ما في كتاب المحتضر (بالضاد المعجمة) وفي البحار أيضاً عن الامام الرضا علي بن موسى (ع) : « ان الله تعالى خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء ، فبالخضرة منها خضرة السماء » قال الراوى : قلت : وما النطاق ؟ قال : « الحجاب » ، والله عز وجل وراء ذلك سبعون ألف عالم عددهم اكثر من الجن والانس ، وهو مروي في تفسير البرهان أيضاً .

اقول : وانما ذكرت هذه الرواية في عداد اخبار جبل قاف مع انه لم يذكر اسمه فيها لأن الصفات المختصة بهذا الجبل قد ذكرت محمولة على موضوع

سمى بالنطاق تارة وبالحجاب اخرى ، مثل كونه من زبرجدة خضراء وكون اخضرار السماء من خضرته ، ومن وجود العوالم المتعددة خلفه ، ولا ينفى ذلك تسميته بجبل قاف ايضا اذ كل هذه الاسماء سمات وصفات بعضها اشهر من بعض كما سيتلى .

ولا يبعد ان يكون التعبير عنه بالنطاق اشارة الى كونه محيطا بالأرض - كما مر عليك في الأخبار السالفة . والنطاق والمنطقة الحزم المحيط بخضر المرء .
١٦ - ما في الدر المنثور وغيره عن كعب الأحمار في قوله تعالى في سورة ص : ﴿ حتى توارت بالحجاب ﴾ انه قال : « حجاب من ياقوت اخضر محيط بالخلاتق ، فمنه اخضرت السماء الخضراء واخضر البحر من السماء ، فمن ثم يقال البحر الأخضر » .

اقول : والاعتراض الذي اورده في الخبر السابق وارد ههنا ايضا ، كما ان جوابنا عنه هنالك نافع في هذه الرواية بالطريق الأولى - كما لا يخفى .

١٧ - ما في البحار والدر المنثور عن ابن مسعود صاحب النبي (ص) انه قال بمثل ما نقلناه عن كعب الأحمار في الحديث السالف .

١٨ - ما في البحار وكتاب جامع الأخبار المنسوب الى شيخنا الصدوق ان النبي صلى الله عليه وآله سئل عن عرض قاف وطوله واستدارته ؟ فقال (ص) : « مسيرة ألف سنة » الى ان قال : « وزجه من زمردة خضراء له ثلاث ذوائب من نور : ذؤابة بالمشرق ، وذؤابة بالمغرب ، والأخرى في وسط السماء » .

١٩ - ما رواه المحدث الفاضل الفيض الكاشاني في روضة الوافي والشيخ الصفار في بصائر الدرجات بالاسناد عن الامام الباقر محمد بن علي (ع) « ان الله تعالى خلق جبلا محيطا بالديان زبرجد اخضر ، وان خضرة السماء من

ذلك الجبل ، وخلق خلفه خلقا لم يفترض عليهم شيئا مما افترض على خلقه من صلاة وزكاة

٢٠ - ما رواه المجلسي في باب العوالم من كتاب البحار عن ابن عباس عن امير المؤمنين علي (ع) انه قال : « ان من وراء قاف عالم لا يصل اليه احد غيري ، وانا المحيط بما ورائه وعلى به كعلمي بدينكم هذه » .
ومعنى « لا يصل اليه احد غيري » ان في ذلك العصر لم يكن احد يدرك هذا العلم غيره .

(خاتمة)

قد استفاضت هذه المضامين المروية في جوامع الحديث ، فلا يضرها ضعف اسانيدھا ظاهراً ، ولكن هلم الخطب بفرابتها واستنكار العقول لجملة من ظواهرها ، لجزمها بانتفاء جبل من الصخر يحيط كالحائط بالأرض ويقدر بمسيرة ألف سنة ، وهو بعينه من زبرجد اخضر وتؤثر خضرته في السماء ، وخلفه كذا وكذا من العوالم والأقوام واشياء تما في اصول الهيئتين (القديمة والجديدة) بل تناقض مقالات السواح والرحالة .

اذن فلا مناص من توجيه الظواهر وتأويلها الى معنى صحيح يتفق مع الفن ويصدقه العيان والبرهان ، وقد خطر لي توجيهها الى مثل هذا المعنى لكنه غريب لدى الناظر اليه لأول وهلة . نعم غريب لدى النظر لكن التأمل في شواهد وفي كمال توافقه مع المضامين الماثورة المذكورة يعطى العلم احياناً بكونه المقصود لدى اصحاب تلك المقالات بطريق الاشارة والرمز .

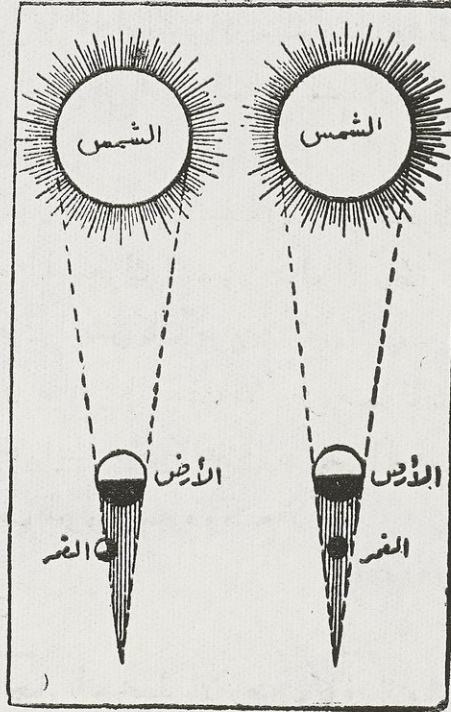
« الفصل الثاني »

(تسمية جبل قاف)

ذهب البعض الى ان (جبل قاف) هو سلسلة جبال ممتدة من نواحي بحر قزوين - بحيرة خزر - الى سواحل البحر الأسود في جنوب روسيا وشمال شرق الأناضول وشمال غربي إيران حيث الأراضي الموسومة بـ (قفقاسية) . ويؤيد هذا الزعم ان كلمة قفقاز او قوقاس منحوتة من لفظ قوه قاف ظاهراً ، واصل هذه كوه قاف ، وهي فارسية معناها جبل قاف . لكن هذا التفسير على فرض صحته لا يكفل شرح المأثورات الإسلامية التي اوردناها في الفصل السابق ، ولا ينطبق على هذا الجبل شيء من تلك الصفات التي نحن بصدد شرحها وحلها ، اللهم الا بعض تلك المأثورات كالرواية السادسة .

اذن فولّ وجهك شطر المعنى الذي يتفق مع المضامين المأثورة ووصافها المذكورة ، وهو على غرابته في بادىء النظر يفتقر الى تمهيد :
انك لو تصورت كرة الأرض مع ظلها الحادث من استتار الشمس خلفها لوجدت الظل شبيهاً مظلماً على شكله المخروطي ، قاعدته الوسيعة عند الأرض ورأسه الدقيق نحو السماوات على هيئة جبل عظيم - انظر شكل (١) .
افلا يجوز لك اطلاق اسم الجبل على هذا الشكل المخروطي العظيم على

سبيل المجاز والتشبيه لتمام الشبه بين هذا الظل وبين الجبل فى الشكل ؟ بلى
لاشك من منصف فى جوازه ، خصوصاً اذا قامت هناك قرينة لفظية او عقلية .
فيصح بناءً عليه ان يكون اطلاق الجبل على مخروط ظل الأرض فى
المقالات الاسلاميه من هذا القبيل ، لاسيما وموارد استعماله مقرونة بالقرائن
فلا مانع لنا من جهة الصدق العرفى فى هذا المقام ، وعليه فلنبحث عن
تطبيق تلك العلامات ودلالة هاتيك القرائن والصفات ، وهى عشرة :



(ش - ١) كرة أرضنا ومخروط ظلها المتولد من مقابلة الأرض لقرص
الشمس وخسوف القمر داخل ظل الأرض خسوفاً كلياً وخسوفاً جزئياً .

القرينة الأولى

توصيفه بالقاف حتى صار اسماً له ، وسيأتى ان الأرضين السبع في كل منها جبل قاف - كما مر في الرواية الحادية عشرة - فلا يكون اسم قاف علماً شخصياً لشيء كما يظن ، بل يعتبر اسم جنس متكثراً للأفراد . ويقرب ما نبتيه ذكر جبل قاف في القاموس وجمع البحرين وغيرهما في مادة (قوف) بمعنى تبع ، وجوازا خذه من قفي يققو فهو قاف بمعنى متبوع الاثر في المسير وظل الأرض يتبع اثر نور الشمس بكل سرعة وعلى الدوام .

والشمس ترسل على الدوام اشعتها الى سطح أرضنا وسطوح بقية السيارات فيستنير بها النصف النوعي من الكرة المواجه للشمس ويبقى النصف الآخر في ظلام - انظر شكل (١) .

ومعلوم ان النور الواقع على نصف الأرض متحرك دائماً من المشرق إلى المغرب ، سواء قلنا بتحرك الشمس حول الأرض كالقدماء أو قلنا بتحرك الأرض حول الشمس كالمؤخرين .

فاذا كان النور الواقع على نصف الأرض متحركاً كان الظل الحادث منه في النصف الآخر ايضاً متحركاً على اثره ومتبعاً له في سيره ، وصدق على هذا الظل انه قاف للنور في سيره ومتبوع لاثره .

القرينة الثانية

وصف هذا الجبل بأنه محيط بالأرض - كما في الرواية الثالثة والخامسة والثامنة والتاسعة - أو أنه محيط بالدنيا أو العالم ونحوه - كما في الرواية الأولى والثانية والرابعة والسادسة والسابعة والسادسة عشرة والتاسعة عشرة . ومعلوم ان مرادهم من الدنيا والعالم والخلائق هو هذه الأرض وما

عليها ، وان ظل الأرض محيط بها وبما عليها على التوالي كحاطة بياض العين بسوادها . فما ألطف هذا التشبيه الوارد في نص الرواية التاسعة ؟ في حين انه لا يوجد جبل من الصخر يحيط بالأرض او بالخلائق .

القرينة الثالثة

وصف هذا الجبل بارتفاع عظيم وانه كسير ألف سنة في المسافة - على ما في الرواية الثامنة عشرة - وان السماء الدنيا طرفاها على هذا الجبل - كما في الرواية الرابعة - مع ان اعظم جبال الأرض ارتفاعاً كجبال هميالا لا تزيد على ثلاثة فراسخ البتة .

لكن ذلك البعد المأثور صالح للانطباق على مخروط ظل الأرض ، اذ طوله عند القدماء يقرب من فلك الزهرة ، وبعد المتأخرين يقرب من ثمانمائة ألف ميل ، أى مائتي ألف فرسخ ونحو ستين ألف فرسخ . وبعد اضافة ابعاد عرضه ومساحة استدارته - كما في الخبر - يبلغ مسيرة ألف سنة او اكثر ، على ان المسير المأثور مجحول القدر من حيث الآلة والزمان واما كون السماء الدنيا طرفاها عليه فان فسرت السماء بفلك القمر - كما ارتآه القدماء - فطر فاقوس من فلك القمر ملازم لهذا الظل - انظر شكل (١) وبعد القمر عند القدماء قريب من اثنين واربعين ألف فرسخ ، وعند المتأخرين قريب من اثنين وستين ألف فرسخ .

وان فسرت السماء الدنيا بما في (الهيئة والاسلام) فانطباقه يصبح في غاية الوضوح .

القرينة الرابعة

كون هذا الجبل ذا ذوائب ثلاث من نور : ذؤابة في المشرق ، وذؤابة في المغرب ، والأخرى في وسط السماء - كما في الرواية الثامنة عشرة . وهذا الوصف ايضاً لا ينطبق الا على مخروط ظل الأرض ، فان شكله مثلث مستطيل محفوف بالخطوط النورية من كل جهة ، فلا يبرح مستثيراً وجهه الشرق ووجهه الغربى ورأس مخروطه السماوى اما بنور القمر او من احاطة الأشعة الشمسية ، فيصدق عليه عندئذ انه ذو ذوائب ثلاث من نور - انظر شكل (١) .

ولا يخفى لطافة تشبيه ذلك بالذوائب ، فان الجبال النورية والخطوط الظلامية مترسلتان كالذوائب من جوانب هذا المخروط ومشتبكتان عليه .
القرينة الخامسة

تشبيه هذا الجبل بالزمردة الخضراء كما في الرواية الأولى والرابعة والثامنة والثامنة عشرة ، وبالزبرجد الأخضر كما في الرواية الثانية والخامسة عشرة والتاسعة عشرة ، وباليافوثة الأخضر كما في السادسة عشرة والسابعة عشرة . والفظن الخبير اذا اطلع على توصيف الشيء تارة بالزمرد الأخضر واخرى بالزبرجد الأخضر ومرة ثالثة بأنه ياقوت اخضر عرف من ذلك ان المقصود انما هو توصيف ذلك الشيء بخضرة هذه الاعيان المختلفة في ذواتها والمتحدات في صفاء الخضرة ، اذ الشيء الواحد لا يكون زمرداً وزبرجداً وياقوتاً في وقت واحد ، فليس الغرض الا ان جبل قاف في الخضرة كهذه الخضروات ، لا أنه من نفس هذه الأحجار الثمينة كما يتوهم .

ولقائل ان يقول : سلمنا قصد الخضرة من وصف جبل قاف بالزمرد والزبرجد ، كما سلمنا انطباقه على مخروط ظل الأرض ، لكن هذا

الخروط ليس له لون ما حتى يوصف بالخضرة او الحمرة ؟
والجواب عن ذلك : ان العرف يصف الظل بالسواد وبغيره كما يصف
النور بالبياض وغيره ، وهذا مما لا شبهة فيه ولا شك يعتريه ، وظل الأرض
له باطن شديد الظلام موصوف بالسواد عرفاً ، وهو جزؤه المصادف
لأوساط الليل ، وله سطوح ظاهرة هي اوائل الظل المشتبك ظلها بالضياء
وهذه اشبه بأن تكون خضراء لأن لون الخضرة متوسط بين السواد والبياض
أو مزيج النور والظلام .
ولا يخفى ان العبرة في لون الأشياء انما هي بسطوحها الظاهرة دون
البواطن ، فان الزنجي اسود والرومي ابيض باعتبار ألوانهما الظاهرة ، فعليه
اصبح سائغاً وصف الظل بالخضرة والزرقة ونحوهما باعتبار ما يتراءى من
اطراف ظل الأرض المختلط فيها ببياض النور بسواد الظلام .
ويتأيد هذا المعنى بشاهد لفظي مذكور في الرواية الثامنة عشرة وهو :
ان جبل قاف « زجة من زمردة خضراء » ، والزج في اللغة طرف الشيء ،
فيتفق مع تفسيرنا المذكور .

القرينة السادسة

ان السماء خضرتها من خضرة ذلك الجبل كما في الرواية الأولى والثانية
والثالثة والثامنة والعاشرة والخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة والتاسعة
عشرة . وهذا الأمر انما يستغرب ان اخذت لفظة (من) الجارة نشوية فيكون
المعنى بناءً عليه ان خضرة السماء ناشئة من خضرة هذا الجبل ، فلا ينطبق
حينئذ على الظل . واما ان اخذناها جذسية انطبق على الظل ويكون المعنى
ان خضرة السماء من جنس خضرة الظل ، كما يقال : « الزنجي من البشر » ،

اي من جنس البشر ومن صنفهم وكما تقول : « ان الزهرة من السيارات »
اي من جنسها .

وهذا معنى صحيح يألف به ظاهر ألفاظ الأخبار ، اذ الخضرة الظاهرة
في جهة السماء انما هي من جهة ان الانوار المنعكسة عن الأرض تختلط مع
الظلمة المستوطنة فوق الهواء وفي موضع التعادل بين المختلطين يحصل لون
متوسط بين قوة النور وبين قوة الظلمة ، وسبق في القرينة الخامسة ان اوائل
الظل اشبه بالخضرة والزرقة اللازوردية .

ويؤيد ما ندعيه كلام العلامة المحقق فيلسوف الاسلام نصير الدين
الطوسي المتوفى سنة ٦٧٢ هـ في كتابه (التذكرة) وخلاصته : « ان الحكماء
قالوا : ان الزرقة التي يظن الناس انها لون السماء تظهر في كرة البخار ، لأنه لما
كان ألطف اجزاء البخار اعلى واكشفه الاسفل كانت اجزؤه القريبة منا
انوار ، اذ انعكاس النور من الأكثف اشد ومن الألف اقل ، فصار بذلك
الطبقات العليا من الهواء اظلم من الطبقات السافلة ، فيرى الناظر في كرة البخار
لونا متوسطا بين الظلام والضياء ، وهو اللون اللازوردي ، - الخ .

فاذا ثبت ان خضرة السماء اللازوردية انما هي اختلاط النور والظلام
في طبقات الهواء الوسطى ، كما ثبت ان اوائل الظل المخروطي لازوردية اللون
وانها حادثة من اختلاط النور والظلمة وتعادلها ، يثبت جلياً ان خضرة السماء
من جنس خضرة ظل الأرض ومن قبيلها .

واما خضرة لون البحر (كما تشير اليها الرواية السادسة عشرة) فهي
ايضاً من اختلاط النور النافذة في الماء مع الظلمة المستوطنة في قعر البحر ،
فكلما بعد النور من سطح الماء غلبت عليه الظلمة ، فيحصل عند اعتدال النور
والظلام لون متوسط اخضر كما سبق . وهذا هو السر في ان البحار العميقة يضرب

لونها إلى السواء ، فإذا اغترفت من مائها غرفة ذهب عنه سواده فى يدىك . فظهر
ان خضرة البحار من قبيل خضرة السماء ، وكلاهما من قبيل خضرة ظل الارض .
اما قوله فى الرواية السادسة عشرة : « حتى توارت بالحجاب » فضمير
التأنيث راجع إلى الشمس عند اكثر المفسرين ، وصدق الحجاب مجازاً على
ظل الأرض متاسب جداً ، لأن الحجاب يستر المرئيات عن الناظرين وظل
الأرض - وهو الليل - يستر المرئيات ايضاً عن الابصار اشد استتاراً ، وتوارى
الشمس بظل الأرض ايضاً ظاهر ، أى توارت الشمس واختفت بسبب
الحجاب وظهور مخروط ظل الأرض .

وهذا الوصف لجبل قاف الذى لا ينطبق الا على ظل الأرض قابل
لأن يكون مستقلاً عن الأوصاف العشرة . واما بقية الفقرات فيؤخذ
شرحها مما قدمناه .

القرينة السابعة

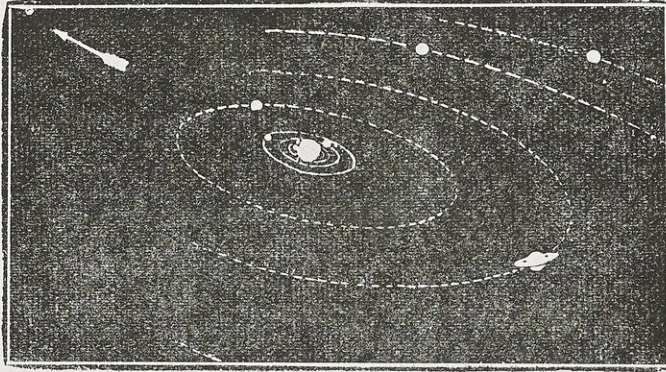
ان من خلف جبل قاف بحار سبعة يفصل كل بحر ارضا عن أرض
من الأرضين السبع كما فى الرواية الحادية عشرة والثانية عشرة وغيرهما ،
ولا ينطبق هذا الوصف ابدأ الا على ظل الأرض سواء حملها الأرضين
السبع على الأقاليم كما هو رأى جماعة او حملناها على طبقات الأرض
المتداخلة كما عليه الآخرون ، اذ ليس فيما بين الأقاليم بحار سبعة يفصل
كل منها ارضا عن ارض ، وليس فى الأرض بحر مسافته خمسمائة عام
كما تشير اليه الرواية العاشرة عشرة ، مع ان حصر الأقاليم الأرضية فرضى
غير حقيقى . وليس ايضاً بين اطباق الأرض بحار فواصل ولا جبال بوارز
مع ان الطبقات الأرضية ثلاث عند القدماء وغير محصورة عند المتأخرين .
فاذا لم يتم التفسير بالأقاليم ولا بالطبقات ونحوهما فالأقرب ما حققناه

بدلالة الآيات والروايات في ابواب الأرضين والسموات من كتاب (الهيئته والاسلام) ، وتفسير البحار السبعة بالبحار السماوية المتكرر ذكرها في الأحاديث الشريفة ، وموجز ذلك :

إن السيارات السبع - حسب ما حققه الفلكيون المتأخرون - اجرامها اراضى ذات وهاد وانجاد وانهار وجبال مثل ارضنا هذه ، فتصدق عليهم كلمة (الأرضين السبع) صدقاً حقيقياً ، وصرح بذلك الامام الرضا على بن موسى (عليه السلام) في رواية الحسين بن خالد ، ولكل كرة من هذه الأرضين ظل مخروطى يحدث وراءها من مقابلة الشمس لها ويدور حولها على شاكاة ظل الأرض - كما سنبينه في القرينة الثامنة .

والفضاء المتوسط بين سياروسيار - أو بالاحرى بين مدار ومدار - موج بسيل شفاف اثيرى يسمى (اتر) فيشبه البحر الهائج (١) وينقسم الى سبعة اجز بسبب انقسام مدارات السيارات الى ثمانية ، فالقواصل السبع بين هذه (١) ويؤكده تشبيه ذلك بالبحار امران ، هما :

- ١ - عظمة الطول والعرض والعمق للفضاء المتوسط بين مدار ومدار ، حتى ان اقل البعد من اقربها عدة ملايين من الفراسخ .
- ٢ - ان الكرات السيارة لا بد لكل منها من ظل مستطيل يحدث خلفه بسبب وقوع نور الشمس على نصفها ، فيكون كل من الكرات الكبيرة والصغيرة شبيهاً بالسماك الطويل ، رأسه الجرم البيضوى لكرة والبدن ظلها المستطيل المشبك سطحه من اختلاط النور والظلام - انظر شكل - (١) فلا تحسب المتخيلة إذا صادفت هذه الاشباح جارية في الجو الاصور اسماءك وحيتان صغار وكبار تسبح في بحر الفضاء . فيحصل بهذه الملاحظة مشابهة تامة بين مجارى هذه السيارات وبين البحار .



(ش - ٢) مجارى الأفلاك بحسب الهيئة الجديدة

المدارات الثمان يصح تسميتها بمجاراً سبعة حسبما نوضحه لك قريباً - انظر شكل (٢) .

فبناءً على مشابهة السيارات السبع مع أرضنا فى ظلها وبقية أحوالها وانقسام أفلاكها إلى مدارات ثمان أولها لعطارد وآخرها لنبتون تكون الأبحر السماوية بين الأفلاك سبعة (١) وتكون الأرضين سبعاً كما قال فى الرواية (١) ويؤيد توجيه البحار السماوية بالمجارى المتوسطة بين مدارات النجوم

أمور هى :

أ - توصيف تحرك السيارات بالسباحة فى الآيات والروايات كما قال تعالى فى سورة يس : ﴿ وكل فى فلك يسبحون ﴾ وقال الامام الصادق جعفر ابن محمد عليه السلام : « ومن تدبير النجوم التى تسبح فى الفلك » . وقد اثبتنا -

الحادية عشرة : « حتى عد سبع ارضين وسبعة اجار وسبعة اجبل » ، وكما قال ﷺ في الرواية الثانية عشرة : « ان وراء قاف (يعنى ظل ارضنا) سبعة بحار كل بحر خمسمائة عام ، ومن وراء ذلك سبع ارضين (يعنى السيارات السبع) يضىء نورنا لأهلها » - الخ .

ويعنى من قوله : « يضىء نورنا لأهلها » ان شمسنا مضيئة على اهالى تلك الارضين .

القرينة الثامنة

تعدد جبل قاف وانه متكثر الافراد في عالمنا وان كان منفرداً في ارضنا خاصة ، ويظهر ذلك من الرواية الحادية عشرة ، فان الظاهر منها

— بدلالات شرعية في كتاب الهيئة والاسلام ان الفلك في عرف الشرع هو مجرى السيار ومداره ، فوصف السيارات بالسباحة تناسب ملاحظة مجاريها في الفضاء كالبحار حتى تكون تحركاتها في ذلك الفضاء سباحة .

ب - تحديد اعماق هذه البحار في بعض الاخبار بمسيرة خمسمائة عام كالمروى في توحيد الصدوق وفي بحار شيخنا المجلسي وغيرهما بسند قوى ان رسول الله ﷺ قال : « ان في السماوات السبع لبحاراً عمق احدها مسيرة خمسمائة عام » . وهذه المسافة قد وردت متكررة في تحديد ما بين الارضين السبع ، أى من كل سيار الى كل سيار وفي تحديد ما بين السماوات السبع ، أى من سماء سيارة الى سماء سيارة اخرى - على ما شرح في الهيئة والاسلام . فيدل المجموع على المطلوب .

ج - تصريح اخبار اخر بوجود بحار من نور في السماوات تتلأل انوارها ، كذلك الفضاء المتوسط بين المدارات ممتلئ من الانوار المتلألئة وأى نور حسي اقوى منها واهم ؟ !

تعداد سبع ارضين ومع كل ارض بحر محيط بها وجبل فيها اسمه (قاف)
أو بالأحرى سمته وصفته نظراً الى متابعة الظل للنور في سيره واقتفائه
لأثره .

وهذا المعنى الغريب الذي كان يعد من الأسرار الغامضة يتضح بعد الاطلاع
على الاكتشافات الجديدة في فن الفلك فان كلا من السيارات السبع ارض كأرضنا
ولكل منها ظل مخروطي الشكل شبيه بالجبل كالموجود في ارضنا ، ويحيط
ذلك الجبل بتلك الأرض احاطة بياض العين بسوادها ، وكل سيارة منها
تجري في بحر موج سيال شفاف اثري يسمى (اتر) عند الافرنج ، وهو الحامل
لاهتزازات دقائق النور والكهر بائية .

ويتضح امر هذه القرينة مما او ضناه في القرينة السابعة ، كما انه يتضح
تسمية كل ظل من الظلال المخروطية للسيارات بجبل قاف مما شرحناه في القرينة الاولى

القرينة التاسعة

ان من وراء جبل قاف ارضاً بيضاء كالفضة طولها مسيرة اربعين يوماً
للشمس كما في الرواية الثالثة عشرة . ومعلوم ان هذا لا يتجه اذا حملنا جبل
قاف على الجبال الحجرية البارزة على متن الأرض .
وقبل العلم بالكشفيات الأخيرة في علم الفلك فسرت هذا الحديث بأن
الرواية تشير إلى الأراضي القطبية ونواحيها التي هي مغمورة تحت الثلوج
وترى بيضاء على الدوام كالفضة او اشد بياضاً وهي المسماة بـ (المنطقة المتجمدة) .
وبما ان العرب عرفوا البلاد القوقاسية وأن الأراضي البيضاء بالثلوج
واقعة في شمالي تلك البلاد صح اخبارهم بأن من وراء جبل قاف ارضاً بيضاء
كالفضة . الخ .

وكننا نفسر جبل قاف بجبال القوقاس ، ونفسر « مسيرة الشمس فيها اربعين يوماً » بظهور الشمس في المناطق المتجمدة نحو شهرين أو أكثر من جملة ايام السنة ، في حين ان الرواية تتضمن ما يبعد هذا التفسير ، فان قوله « طولها مسيرة اربعين يوماً للشمس » لا ينطبق على أى قطعة في مناطق الارض وعليه فالاقرب تأويل هذه الارض البيضاء بأرض (عطار) فان جرمها من شدة القرب الى قرص الشمس مضى اشد الاضاءة ، حتى ان حرارة الشمس على كرة هذا السيار تقاس بثمانية امثال حرارتها في ارضنا ، ودرجة الضوء تقاس في عطار بأكثر من هذا المقياس جداً ، فيناسب قوة الضوء فيها تمثيلها بالفضة المجلوة والتعير عنها بالارض البيضاء ولا يخفى ان ارض عطار واقعة من وراء ظل ارضنا المخروطى اثناء النهار كما هى واقعة تجاهنا ليلاً ، فيصح على تفسير جبل قاف بظل الارض قوله : « ان من وراء جبل قاف ارضاً بيضاء كالفضة المجلوة »

فان سألتم بعد هذا عن تفسير قوله : « طولها مسيرة اربعين يوماً للشمس » اجبتناكم أن الفلكيين المتأخرين ضبطوا الحركة السنوية لسيارة عطار بمدة ثمانين يوماً وبضعة ايام ، فهم في نصف هذه المدة مستضيئة بضياء الشمس قترى بيضاء وفي نصفها الآخر مظلمة بالظل المخروطى الحادث فيها ، ونصف المدة المذكورة يكون اربعين يوماً بالتقريب .

ولى تأويل ثالث للرواية المذكورة مبنى على صحة ما ادعاه بعض الفلكيين فى استكشافه سنة ١٢٦٤ هـ سنة ١٨٤٦ م سيارة جديدة اقرب إلى قرص الشمس من سيارة عطار وسموها (فلكان) فان شدة استضاءتها من الشمس جعلتها مشتتة في منظر الرأى كالبركان المنفجر ، فأرضها اشد بياضاً من عطار واقرب إلى تفسير الرواية بها لو تم امرها ، إذ انها تبعد عن قرص الشمس

سبع درجات من الفلك في حين ان عطارد تبعد ثمانى وعشرين درجة تقريباً ، وقد شرحت انطباق حركتها السنوى على قوله : « طولها مسيرة أربعين يوماً للشمس » في الهيمّة والاسلام .

وتوجد آثار نبوية اخرى تشير أى هذه الأرض البيضاء أوردها شيخنا المجلسى فى السماء والعالم من كتاب البحار ، فروى عن مناقب الشيخ رجب البرسى المؤلف سنة ٨٠٠ هـ وعن مصباح الكشغرى من علماء فى القرن التاسع الهجرى بالاسناد عن الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) عن آباءه عن النبي (صلى الله عليه وآله) انه قال له جبرئيل فى حديث طويل : « الذى بعثك بالحق نبياً ان خلف المغرب أرضاً بيضاء فيها خلق من خلق الله » الى ان قال الامام : « ومسير الشمس فى بلادهم أربعون يوماً » - الخ .

وروى عن السيوطى فى الدر المنثور عن بعض أئمة الكوفة - والظاهر انه جعفر بن محمد (عليه السلام) - قال : قام ناس عن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) - يعنى احتراماً له - فقصد النبي نحوهم فسكتوا فقال (صلى الله عليه وآله) : ما كنتم تقولون ؟ قالوا : نظرنا الى الشمس فتفكرنا فيها من اين تجيء واين تذهب ؟ وتفكرنا فى خلق الله تعالى . فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : « كذلك فافعلوا ، تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله تعالى ، فان الله تعالى وراء المغرب أرضاً بيضاء ونورها مسيرة الشمس أربعين يوماً فيها خلق من خلق الله تعالى » .

وان أبيهم من حمل هذين الخبرين على سياره فلكان أوعطارد الواقعتين من جهة مغرب أرضنا نهراً فاتخذوا الخبرين نبأ غيبياً عن أرضى أمريكا المكتشفة سنة ١٤٧٦ م الواقعة خلف مغربنا تماماً .

القرينة العاشرة

ان من وراء جبل قاف خلائق أو عوالم كثيرة لا يعرفون آدم ولا ولده وكل عالم منهم اكثر من ثلاثمائة أمثال آدم وما ولد كما في الرواية الرابعة عشرة والخامسة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين .

ويستدعى توضيح الموضوع من مجموع ذلك أبحاثاً خمسة :

(البحث الأول) ان الجمل المذكورة في هذه الأحاديث لا تنطبق على الجبال الصخرية في أرضنا كجبال القوقاس ، اذ ليس من وراء هذه الجبال بحار سبعة ولا سبعون ألف امة ولا أقوام لا يعصون الله أولم يفترض عليهم الصلاة والزكاة ، كما انه ليس من ورائها مئات العوالم التي يزيد واحدها عن آدم بأكثر من ثلاثمائة مرة .

والعالم يفسر عند أعلام اللغة كالفير وزآبادى في قاموسه بأنه الخلق كله ، أو ما حواه بطن الفلك ، أو انه مجموعة الكائنات والامم ، وعلى هذا يعود من المحتم فرض أمثال هذه العوالم خارج أرضنا هذه .

(البحث الثاني) اذا أبت الروايات الأربع حمل جبل قاف على الجبال الصخرية الأرضية وجنالك نحو التاويل الذي شرحناه ، وتقريبه بان الظل المخروطى لأرضنا الممتد الى ما وراء فلك القمر (انظر شكل - ١) يوجد من ورائه وخلف البحار السبعة (١) اعني ما وراء مجارى السيارات السبع (انظر شكل - ٢) عوالم

(١) قد سبق في القرينة السابعة ذكر البحار السبعة السماوية وانها من وراء جبل قاف مستشهادين على ذلك بالروايتين الحادية عشرة والثانية عشرة ، وقد نبهنا هذا البحث المهم على ان الرواية الرابعة عشرة مؤيدة أيضاً لتلك الروايتين ، اذ انها تصرح بوجود البحار السبعة من وراء جبل قاف ، وماهى -

وسبعة الأكناف ذوات شمس كشمسنا هذه . وحول كل شمس سيارات كثيرة كبيرة تدور كل مجموعة منها حول شمسها المتمركزة في الوسط على هيئة أفلاك شمسنا هذه ، وتلك الكرات القصية عنا لا تخلو من مخلوقات لرنا سبحانه هي أحياء عاقلة على شاكلة احياء أرضنا أو ارقى مما يعبدون الله تعالى ولا يعصونه ما أمرهم به وهم بأمره يعملون .

ونظراً الى افتراض الشمس وسياراتها الكثيرة الكبيرة لا يبعد أن تشتمل على سبعين ألف امة أو ما يزيد عددهم على الجن والانس ، أو أن تعد عوالمهم مئات العوالم بل ألوفاً ولا يستبعد أن يكون الواحد منها مشتملاً على أكثر مما ولده آدم بثلاثمائة مرة أو أكثر ، فتطبق الروايات والمأثورات الاسلامية على هذا الوجه القريب .

(البحث الثالث) ان اصول الهيئة الجديدة المؤيدة والكشفيات الأخيرة حملت عامة الفلكيين على القول بوجود عوالم من جنس عالمنا الحيواني وأنظمة شبيهة بنظامنا الشمسي وكائنات مثل كائنات أرضنا من وراء ظلمنا المخروطي . وبيان ذلك على سبيل الاجمال : ان الكواكب المحسوسة بأعيننا قد لا يزيد عددها على ثلاثة آلاف كوكب ، وهي منقسمة على اقدار ستة حسب اختلاف تلائها وتفاوت درجاتها في التشعشع ، فأظهرهن كالشعري من القدر الأول واخفاهن كالسهى من القدر السادس .

وأما النظارات الفلكية (تلسكوب) أى دور بين فن حينما اخترعها (غاليله) المتوفى سنة ١٦٤٢ م الى ان تكاملت في عصرنا الحاضر قامت - والحق يقال - بكشف ما يدهش العقول من أسرار السماوات وعوالمها المستورة

- الا البحار السماوية التي مر تفسيرها بأوضح بيان ، وأصبح بذلك مجرانا في تأويل الأحاديث يقرى بعضه بعضاً .

فأصبحت بفضلها الكواكب تعد اليوم بأكثر من مائة وأربعين مليوناً ، ولا يخضع منها للدوران حول شمسنا هذه الاثمانية نجوم تسمى السيارات ، وهذه السيارات ثابتة بالاتفاق لديهم كونها أراضي ذات وهاد وروابي وأنهار وأقمار على شاكاة الأرض التي نحن عليها .

وأما بقية الكواكب - وتسمى الثوابت - فقد أجمع الفلكيون في عصرنا على انها شمس كشمسنا هذه أو اكبر ، ولكن البعد السحيق الفاصل بينهن وبين مركزنا يصغر منظرهن الى حد قد يسترهن عن الابصار ، فالذنب العين لا للنجم في الصغر .

وحسبك ان اقرب هذه الكواكب الثوابت اليها نجمة تسمى (دلفا) يصل نورها الى أعيننا في مدة ثلاث سنوات ، في حين ان النور يسرى في كل ثانية زهاء ستين ألف فرسخ ، ولا توجد حركة ما أسرع من حركة النور ، فكيف يكون بعد هذا الكوكب عنا ياترى ؟ ! يكون بعده عن مدار نبتون نحو ستة دلايين مليوناً من الفراسخ ، في حين ان مدار نبتون يبعد عن مركز شمسنا اكثر من تسعمائة مليون فرسخاً .

فهل يجوز العقل وصول نور شمسنا الى نجمة دلفا حتى يضئها ويضيء ماهو أبعد منها ؟ كلا ثم كلا . لأن شمسنا العظيمة التي هي أكبر من أرضنا بمليون وأربعمائة ألف مرة قد صغرت في أعيننا ، فترى قرصها نحو شهر بسبب بعدها عنا نحو ثلاثين مليوناً من الفراسخ ، فاذا صار بعد الشمس عن مدار نبتون ثلاثين مرة مثل بعدها عن أرضنا صغر بالضرورة منظرها في مدار نبتون لحد يجعلها كحصة أو كنجمة في بادية النظر .

فشمسنا التي صغرت على عظمتها عند مدار نبتون لهذا الحد المدهش كم يكون ليت شعري قدرها ونورها في حدود دلفا التي تبعد عن مدار نبتون نحو

سنة آلاف مرة مثل البعد الذى بين مدار نبتون ومركز الشمس ؟ أجل يتلاشى نورها فى أثناء المسافة ، فلا يمكن أن يستفيد جرم دلفا من نور شمسنا أو من حرها شيئاً ما .

ولا بد حينئذ من تصديقتنا باستقلال نجمة دلفا بنفسها فى نورها ونارها فتكون شمسا كشمسنا هذه فى الانارة والادارة .

وإذا صح القول فى نجمة دلفا وتم استقلالها من بين الثوابت كان غيرها من الكواكب الثابتة أولى منها بهذا الأمر وأحق ، اذ المسافة بين الشمس والثوابت الأخر أبعد وأبعد ثم أبعد ، فان النور من نجمة دلفا يصل الى أرضنا فى نحو ثلاث سنوات ، ويصل النور من بعضهن (كالشعرى) إلينا نحو عشرين سنة ، ويصل النور من البعض الآخر (كنجمة الجدى القطبية) نحو خمسين سنة وفى السماء نجوم يصل نورها إلينا فى خمسة آلاف سنة ، فكم تكون المسافة - ياترى - بين هذه النجوم وبين شمسنا ، وكم يكون القدر المضروب لمثل هذه الكواكب ؟ وهل يجوز مع ذلك دعوى استفادة الكواكب طرأ أشعتها وأضواءها من شمسنا هذه كما زعمه الأقدمون ؟ كلا !

فلو صححت من الفلاسكيين هذى الدعاوى التى يستندون فى اثباتها على أدواتهم الدقيقة وآلاتهم الحديثة لزم أن يكون الكون ظرفاً لشموس تفوق الحد والخصر ، وان تكون شمسنا العظيمة هذه حقيرة جداً فى جنب تلك الشموس بتمام معنى الكلمة .

وعليه يستبعد العقل من خالقنا الحكيم جل شأنه أن يترك هاتيك الشموس مسلوقة الفوائد غير مربوطة بنظام وأحكام ليس فى حضانتها أراضى مأهولة بالأحياء ، وقد قامت ضجة فى الفلاسكيين ولا تزال حتى اليوم قائمة على ان المريخ والمشتري وزميلات لهما من سيارات شمسنا مأهولة بالأحياء ومسكونة

من قبل اناس متقدمين فى التمدن والحضارة .

وقد أوردنا كلمات القوم ومؤيداتهم فى بحث السيارات المسكونة من كتاب الهيئة والاسلام ، وذكرنا المآثورات الاسلامية التى تنص على وجود الحيوان والانسان فى السمكرات السماوية .

فالخالق الحكيم الذى لم يهمل فرائد شمسنا هذه الحقيمة ولم يدع مواهبها ضائعة فى الفضاء حتى أوجد منها ولها السيارات والمدارات ، ولم يترك أراضى السيارات سدى وعبثاً حتى أوجد فيها ومنها المواليد والأشجار النامية وأجرى لها وعليها الأنهار والأقار ، وأسكنها أنواعا من الحيوان والانسان متنعمين بجوده ومرتفعين بآيات مجده ، كيف يعقل أن يترك سبحانه مئات الملايين من شمس هذا السكون الواسع مهملة ضائعة لا يستفاد من مواهبها وقواها . وفيهن آلاف الألوف من الشمس التى هى أعظم من شمسنا وأعظم ثم أعظم ١٩ لذلك لانستبعد ما جاء فى مشهد الكائنات من كشف سيارة لبعض الكواكب الثابتة فى برج السنبلة سموها (أونوريا) وهى نجمة من القدر الثانى عشر ، كما لانستبعد مادعاها فلكس ورنه الفرنسى من اكتشافهم سيارة حول كوكب الشعرى ، وما قرع من السمع من هذا القليل .

(البحث الرابع) - قد عرفت الرأى السائد بين الفلكيين فى العصور الأخيرة واتخاذهم الكواكب الثابتة شمساً مستقلة كشمسنا فى انارتها وادارتها ومركزيتها لسياراتها ومداراتها وان السيارات طرأ أراضى كأرضنا هذه مسكونة أو انها صالحة لسكنى الأحياء ، فاعرف الآن عن نبى الاسلام والأئمة من آله - عليه وعليهم السلام - اشاراتهم وعباراتهم الناطقة بوجود عوالم مأهولة بالأحياء خارج أرضنا هذه ، وانها لا تطبق الا على كائنات السمكرات السماوية ، سواء كانت فى حضنة شمسنا هذه أو فى حضنة الشمس الأخرى

التي ذكرناها . ونخص من بينها أخباراً ستة :

أ - المروى في أبواب السماء والعالم من كتاب بحار الأنوار للشيخ المجلسي المتوفى سنة ١١١١ هـ بالسند القوي الى الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام انه قال : « ان لله عز وجل اثني عشر ألف عالم ، كل عالم منهم اكبر من سبع سموات وسبع أرضين ، ما يرى عالم منهم ان لله عز وجل عالماً غيرهم » .
فقد دل على أن في الكون عوالم تنوف على الألوف كل عالم منها عبارة عن سموات وأرضين وأكبر من عالمنا المؤلف من سبع سموات ومن الأرض مثلن ، ويشير الى اشتغالها على الأحياء العاقلة التي لاتعرف عن عالمنا خبراً ولا أثراً .

ب - المروى في البحار وفي فرج المهموم للسيد بن طاوس المتوفى سنة ٦٦٤ هـ بسنده عن الامام السجاد علي بن الحسين السبط (ع) انه قال لمنجم : « هل أدلك على رجل قد مر منذ دخلت علينا في أربعة آلاف عالم ؟ » .

ج - المروى في كتاب الشيخ ابى الليث السمرقندي وفي كتاب متشابه القرآن لمحمد بن شهر اشوب المتوفى سنة ٥٨٨ هـ عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : « ان لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم ، الدنيا منها عالم واحد » .

د - المروى في الكافي للشيخ الكليني المتوفى سنة ٣٢٩ هـ بسنده عن أبي حمزة الثمالي قال : قال لي أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام ليلة وأنا عنده ونظر الى السماء فقال : « هذه قبة أيبنا آدم ، وان لله عز وجل سواها تسع وثلاثين قبة فيها خلق ماعصوا الله طرفة عين » .

ه - المروى في البحار وفي فرج المهموم وفي كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي من علماء القرن الخامس الهجري مسنداً الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام انه قال لسرفيل الدهقان المنجم : « في البارحة سعد سبعون ألف

عالم ، وولد في كل عالم سبعون ألفاً ، والليلة يموت مثلهم .
 و - المروى في البحار وفي كتاب التوحيد للشيخ الصدوق محمد بن بابويه
 المتوفى سنة ٣٨١ هـ بسنده عن جابر الأنصاري الصحابي ان الامام الباقر محمد
 ابن علي (عليه السلام) قال له : « ولعلك ترى ان الله تعالى انما خلق هذا العالم الواحد ،
 أو ترى أن الله عز وجل لم يخلق بشراً غيركم ، بلى والله لقد خلق الله تبارك
 وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم ، وأنتم في آخر تلك العوالم وأولئك
 الآدميين » .

وهذا الخبر المقدس صريح في المطلوب ، كما أن المأثورات السابقة عليه
 لا تقتصر عنه في الصراحة ، وقد شرحناها وعززناها بأمثالها في مبحث تعدد
 العوالم من كتاب الهيئة والاسلام ، وذكرنا ان اختلاف أعدادها عند الاخبار
 عنها محمول على رعاية أفكار السائلين ومقدار تحمل عقولهم ، عملاً بالحديث
 الشريف النبوي القائل : « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر
 عقولهم » .

وبالجملة فهذه مأثورات إسلامية تؤيد كل التأييد علماء الفلك المتأخرين
 في عقيدتهم بكثرة الكرات المأهولة في السماوات ، ولو صحت آراؤهم هذه
 لأضحت هذه المأثورات الثابتة عن أئمة الاسلام براهين ساطعة على صحة هذا
 الدين القويم وصدق نبيه العظيم بل لا أجد اليوم برهاناً أقوى دلالة منها على
 قداسة نبينا الأدين وقداسة الأئمة من آل الطاهرين - عليه وعليهم الصلاة
 والسلام - وان نفوسهم القدسية كانت مربوطة بالعوالم الغيبية ومستمدة من
 الأسرار الربوبية .

(البحث الخامس) اذا ترجع لدى الناظر ما أوردناها من آراء الفلكيين

بشأن السكرات السماوية المأهولة بالأحياء وكثرة هاتيك العوالم خارج أرضنا ، تلك الآراء المعززة بطواهر الأحاديث الشريفة تسنى له ان يفسر المأثورات الاسلامية الواردة في جبل قاف والعوالم التي من ورائه ، فان قوله في الرواية الرابعة عشرة : « ان الله عز وجل خلق ثلاثمائة عالماً وبضعة عشر عالماً خلف قاف وخلف البحار السبعة لم يعصوا الله تعالى طرفه عين قط ولم يعرفوا آدم ولا ولده كل عالم منهم يزيد من ثلاثمائة وثلاث عشر مثل آدم وما ولد ، يفسر منه جبل قاف بهيئة ظل السكرة الأرضية المخروط الشبيهة بالجبل - انظر شكل (١) وما ذكرناه في الفصل الثاني .

وأما البحار السبعة التي هي خلف قاف فهي المجارى المتوسطة بين مدارات السيارات المواجهة بالسيال الأثيرى - انظر شكل (٢) وما في القرينة السابعة . وتفسير المئات من العوالم فيه بوضعيات الخلائق الكائنة في السكرات خارج نظامنا الشمسى - كما شرحناه في البحث الثالث .

وكذلك القول في تفسير الرواية التاسعة عشرة ، فتتطبق الروايتان على ما رأيناه في جبل قاف ويكون قرينة عليه .

وما قوله في الرواية الخامسة عشرة : « ولله عز وجل وراء ذلك سبعون ألف عالم عددهم اكثر من الجن والانس » ففسر أيضاً بعوالم المخلوقات خارج أرضنا ، وقد فصلنا عنها المقال .

فظهر والله الحمد - بعد التأمل في القرائن العشر - ترجيح تفسيرنا لجبل قاف على بقية الاحتمالات فيه ، وأضحى بفضل شروحنا الوافية وتحقيقاتنا المهمة هذا الرمز الغريب أو اللغز العجيب جلياً أمره كبقية الرموز والأسرار الدينية التي كشفنا الاستار عنها في هذا الكتاب ، بعد ما لبثت تحت ستار الغموض

ثلاثة عشر قرناً ، وأضحى في مثل هذا اليوم هي البراهين الوحيدة لاثبات صدق
النبي الأمين وصحة مذهب الأئمة من أهل بيته الطاهرين الذين اختصوا بعلومه
وأسراره كما اختص جدهم النبي بالوحي المبين ، فعليه وعليهم أفضل الصلوات
والتحيات .

فهرس تفصلي

٣	تقديم بقلم السيد أحمد الحسيني
٧	مقدمة المؤلف للطبعة الجديدة
٩	مقدمة الطبعة الأولى
٩	الأغراض الداعية لتأليف الكتاب

(مقدمات الكتاب)

١٤	أصناف المقالات المعتمدة عليها في الكتاب
٢٠	المصادر المعتمد عليها
٢٦	طريق ترجيح أحد المتعارضين
٢٨	الشواهد الداخلية على صحة النسبة
٣١	الفرق بين التفريس وكشف المغيب
٣٤	تدرج الشريعة في اظهار الحفايا
٣٧	التمدن الاسلامي أكمل من كل تمدن
٣٩	سبب سكوت الأديان الأخرى عن الأسرار الكونية
٤١	في المتفق عليه والمفترق من الهيئات
٤١	هيئة ذي مقر اطيس
٤٢	هيئة بطليموس

٤٤	هيئة المصريين
٤٤	هيئة تينخو براهة
٤٥	هيئة فيشاغورس
٤٥	الهيئة الجديدة

(المسألة الاولى)

٥٢	في حقيقة الفلك ومعناه
٥٧	الاستشهاد بآية « وكل في فلك يسبحون »
٥٨	الاستشهاد بآية « والساجحات سبحاً »
٥٩	الاستشهاد بآية « ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق »
٦١	الاستشهاد بآية « والقمر قدرناه منازل »
٦١	في قول على عليه السلام : ثم علق في جوها فلما
٦٢	الاستشهاد بقول الصادق عليه السلام في حقيقة الفلك
٦٤	أخبار على عليه السلام عن عدم استدارة الفلك
٦٦	نكات في كلام على توافق المتأخرين

(المسألة الثانية)

٦٨	هيئة الأرض وما تقوم عليه
٦٩	مذاهب الحكماء في شكل الأرض
٧٠	أخبار تشير الى استدارة الأرض
٧٣	فيما تقوم الأرض عليه
٧٤	أحاديث في كون الأرض غير محمولة

حديث خلق الأرض على قرني الثور أو على الحوت وتوجيه
ذلك على رأى نيوتون

٧٥

(المسألة الثالثة)

٧٨

تحرك كرة الأرض

٨٠

تاريخ نمو القول بحركة الأرض

٨١

الآيات الدالة على تحرك الأرض

٩٢

تصريح الامام الصادق عليه السلام بتحرك الأرض

٩٣

دحو الأرض من تحت كعبة

٩٥

تصريح الامام على عليه السلام بتحرك الأرض

٩٦

المعنى اللغوى للبك والملك والدحو والدح

٩٧

توصيف على عليه السلام خلق الأرض

٩٩

عدد حركات الأرض

(المسألة الى اربعة)

١٠٤

تعدد الارضين ونفي انفرادها

١٠٥

السيارات أراض عند المتأخرين

١٠٦

ما يدل من القرآن على كون الارضين سبعة

١٠٧

تصريح الرضا عليه السلام بأن فوقنا ستة أراض اخرى

١٠٨

كون تقسيم الاقاليم غير حقيق

١٠٨

ماشاهده النبي صلى الله عليه وآله في معراجة من تعدد الارضين

١١٠

ما جاء في جبل قاف وشرحه

- ١١١ اشارة النبي الى نجيمات المشتري
١١٤ البحار السبعة الفاصلة بين الارضين
١١٦ أحاديث في البحار السماوية
١١٩ اضاءة الارضين بعضها لبعض ومسكونيتها
١٢١ علم الاولياء عليهم السلام بأخبار الارضين
١٢٢ خبر ابن سلام وترتيب الاراضى والبحار
اشارة النبي الى جريان الارض وكثرة خضرة المريخ وسعة
المشتري ولون نباته
١٢٤
١٢٦ خلو بعض الارضين ومسكونية بعضها
١٢٩ ما ينتظر من تزاور سكان السماوات

(المسألة الخامسة)

- ١٣١ ان السيارات تسعة فكيف تكون الارضين سبعة ؟
١٣٢ وجه اعتبار الارضين سبعة
١٣٣ إخبار الشرع الاسلامى عن فلكان ونبتون
١٣٧ توقع كشف جديد

(المسألة السادسة)

- ١٤٠ حقيقة السماوات السبع والارضين السبع
١٤١ أقوال القدماء فى حقيقة السماء
١٤٢ السماء فى العرف واللغة والشرع
١٤٤ طبقات الهواء والاختلاف فى نهايتها

- ١٤٥ تحقيق الكرة البخارية وتحديداتها
١٤٧ مادل على خلق السماء من بخار الماء
١٤٨ مادل على خلق السماء من الدخان
١٤٩ المشابهة بين البخار والدخان
١٥٢ مادل على خلق السماء من الموج أو البحر
١٥٣ مادل على ان السماء معدن الماء
١٥٤ مادل على تقدم خلق الارض على السماء
١٥٦ ان الخضرة الموجودة في الجو هي لون السماء
١٥٧ الاخبار الدالة على ان السماء تحت مدار الكواكب
١٥٨ انتهاء الهواء بالسماء
١٦٠ في انفصال كل سماء عن الاخرى
١٦١ إشارة الشريعة الى وزن السماء والارض
١٦٢ الوزن عند القدماء المتأخرين

(المسألة السابعة)

- ١٦٦ ترتيب السماوات السبع والارضين السبع
١٦٨ الترتيب الاسلامي في السماوات والارضين
١٦٩ تصريح الرضا عليه السلام بالترتيب الاسلامي
١٧٠ تباعد الارضين بمسيرة خمسمائة عام
١٧٢ تحديد المتأخرين للفواصل بين الاراضى السيارة
١٧٥ نتائج هذه المسألة

(المسألة الثامنة)

- ١٧٧ كون الشمس مركزاً لحركات الأجرام
١٧٨ حركتا الشمس
١٨١ مخالفة ظاهر القرآن مع القدماء في تحرك الشمس
١٨١ دلالة القرآن على تحرك الشمس
١٨٤ دوران الشمس وفوائده لنا
١٨٧ اشعار كلام على عليه السلام بتحريك الشمس
١٨٨ اشعار القرآن بمركزية الشمس
١٩٠ توجيه خبر يوم موافقة القدماء نحو الهيئة العصرية
١٩٢ حركة الأرض ومعرفة الدرجات والبروج
١٩٥ شرح قوله تعالى : « تغرب في عين حمئة »
١٩٥ مارأى ذو القرنين في سياحته

(المسألة التاسعة)

- ١٩٧ تحقيق الصفات الخمس لجرم الشمس
١٩٨ هل ان الشمس مصدر الحرارة والنور أم لا ؟
١٩٩ آراء الحكماء في كون الشمس مشار النار
٢٠٠ تصريح القرآن بكون الشمس سراجاً وهاجاً
٢٠١ تصريح الباقر عليه السلام بتركب الشمس من نور ونار
٢٠٣ اظهار على (ع) ان وجه الشمس لو كان الى الأرض لاجرقتها
٢٠٤ مايتلف من حرارة الشمس

- ٢٠٥ زوال حرارة النيرين يوم القيامة
 ٢٠٦ شدة لهيب الشمس وأمطارها
 ٢٠٩ قطر الشمس وكية جسامتها
 ٢١٠ بيان على ﷺ لحجم الشمس
 ٢١٤ وزن جرم الشمس
 ٢١٧ دوام كرة الشمس أوزوالها
 ٢٢٠ تصريح الشريعة الاسلامية بفناء الشمس
 ٢٢٣ وحدة الشمس وتعددتها
 ٢٢٦ إخبار الصادق ﷺ بتعدد الشمس والقمر وعوالم اخر
 ٢٢٨ ان في الشمس والقمر كائنات حية
 ٢٢٩ لكل بيئة مخلوق يناسبها
 ٢٣٥ اظهار الامام كثرة الشمس والاقمار

(المسألة العاشرة)

- ٢٣٧ فيما يتعلق بالقمر وأوصافه
 ٢٣٧ محل القمر من الأنجم
 ٢٣٨ اشارة القرآن الى محل القمر
 ٢٣٩ بيان على ﷺ في محل القمر
 ٢٤١ حديث في محل الرجوم والقمر
 ٢٤٢ وحدة قرص القمر أو تعدده
 ٢٤٣ تصريح الشريعة بكثرة الأقمار
 ٢٤٤ آراء الحكماء في حرارة نور القمر

- بيان الامام الباقر عليه السلام في حرارة نور القمر وتركب جرمه
 وبقية شؤونه ٢٤٥
 الجبال النارية والبراكين في القمر ٢٤٧
 تصريح الامام الرضا عليه السلام بحرارة نور القمر ٢٤٨

(المسألة الحادية عشر)

- عدد السيارات ٢٥١
 تقلبات الافرنج في عدد السيارات ٢٥٢
 ميزان قى قى يوس وكشف النجيمات ٢٥٢
 مادل في الشريعة على ان السيارات سبعة ٢٥٥
 مادل في الشريعة على انها احدى عشر ٢٥٦
 أسماء السيارات الواردة في الشريعة وتطبيقها على السيارات
 المكتشفة عند المتأخرين ٢٥٧
 وجه تعداد احدى عشر سيارة ٢٦٥
 إخبار الصادق عليه السلام بأربع نجوم خفية ٢٦٦

(المسألة الثانية عشر)

- في وجود جنس الحيوان في السيارات ٢٧٠
 اتفاق حكماء الغرب في مسكونية السيارات ٢٧١
 أدلة الحكماء في المسكونية ٢٧١
 أقوال الحكماء في مسكونية السيارات ٢٧٣
 دفع استبعاد مسكونية نبتون وعطارد ٢٧٨

- ٢٨١ المقصود من الاستدلال بآراء الغربيين
 ٢٨٧ آيات تدل على مسكونية السيارات
 ٢٨٩ حديث القباب وشرحه
 ٢٩٠ أخبار مسكونية الأرضين السبع
 ٢٩٣ تفسير قوله تعالى : « ومن الأرض مثلهن »
 ٢٩٥ الأرض البيضاء خلف مغربنا

(المسألة الثالثة عشر)

- ٢٩٨ في الشهب والمذنبات وأحجار الجو
 ٣٠٠ اختلاف الحكماء في حقيقة المذنبات
 ٣٠٢ اختلافهم في منشأ حدوث المذنبات
 ٣٠٣ أقوال الحكماء في الشهب والنيازك
 ٣٠٧ الرأي الاسلامي في الشهب والمذنبات
 ٣٠٧ تحقيق زينة السماء الدنيا بالنجوم
 ٣١١ تقسيم النبي ﷺ للنجوم وفاقاً للمتأخرين
 ٣١٢ اظهار على ﷺ ماوافق ترتيبنا فقط
 ٣١٣ حديث « ان القمر والنجوم والرجوم فوق السماء الدنيا »
 ٣١٤ اشارة الامام الحسن ﷺ الى الترتيب الحديث
 ٣١٥ تفسير على ﷺ للطارق

(المسألة الى اربعة عشر)

٣١٨	آراء الحكماء في بعد الثوابت
٣٢٠	الثوابت شمس ذات أراضى
٣٢١	مقدار اشراق بعض النجوم
٣٢٥	تصريح الشرع بكثرة النظمات
٣٢٦	اخبار تعدد العوالم
٣٣١	شرح حديث القباب المشهور
٣٣٢	احصاء الوفيات في كل يوم
٣٣٣	أخبار تعدد مبادئ النسل
٣٣٥	تحقيق حول العرش والكرسى
٣٣٨	في قناديل العرش وحجبه
٣٣٩	مشابهة النظمات مع القناديل
٣٤٠	سعة أفلاك المذنبات وقوة شمسنا
٣٤٠	اظهار الشريعة شرح عوالم الكون الوافرة وتشبيهها بالقناديل

(خاتمة الكتاب)

٣٤٤	مقالات إسلامية توافق الهيئة العصرية
٣٤٤	إخبار الامام عليه السلام عن نجمة ارانوس
٣٤٨	تكتساب السيارات النور من الشمس
٣٤٩	آراء القدماء في اكتساب السيارات النور
٣٥٠	مقدار اكتساب السيارات من نور الشمس
٣٥٢	فضل نور الشمس على السيارات
٣٥٣	توسط السيارات بين التوابع والجوامع

(رسالة جبل قاف)

٣٥٧	عزيزى القارىء
٣٥٨	مقدمة المؤلف
٣٥٩	الأخبار الواردة فى جبل قاف
٣٦٤	تسمية جبل قاف
٣٦٦	ان جبل قاف محيط بالأرض
٣٦٧	وصف جبل قاف بارتفاع عظيم
٣٦٨	الذوائب النورية الثلاث لجبل قاف
٣٦٨	تشبيه جبل قاف بالزمردة الخضراء
٣٦٩	خضرة السماء من خضرة جبل قاف
٣٧١	ان من وراء جبل قاف بحار سبعة
٣٧٤	تعدد جبل قاف
٣٧٥	الأرض البيضاء وراء جبل قاف
٣٧٨	من وراء جبل قاف عوالم كثيرة
٣٨٠	عدم وصول نور الشمس الى الثوابت
٣٨٣	أحاديث ستة فى تعدد العوالم

فهرس الاشكال والصور

٤٣	النظام الشمسى البطليموسى
٥٠	النظام الشمسى الكوبرنيكى
٥٥	مدار السيارات على الرأى الحديث
٦٠	ظل الأرض المخروطى فى الخسوف وهو شبيه بالسمك الساج
١٠٠	الأرض فى الحركة السنوية حول مركز الشمس
١٨٠	سير القمر اللولى حول الشمس
١٨٤	نوع من الكلف الشمسى
١٨٦	اللهبات النارية المختلفة فى الشمس
	بقع الشمس كما رؤيت فى ٢٥ يونيو الساعة ٤ والدقيقة ١٩
٢٠٧	سنة ١٩٠٥ م
٢٤١	أشكال تربيع القمر
٢٤٧	الجبال النارية والبراكين فى القمر
٢٦١	المشترى ومناطقه وبقعه
٢٦٢	زحل وحلقاته
٢٧٦	صورة المريخ كما رسمها الاستاذ لول وتظهر فيها ترعه المختلفة
٢٨٥	نسبة بعد السيارات عن الشمس
٢٩٩	صور المذنبات من الكسب القديمة

-
- | | |
|-----|--|
| ٣٠٤ | أقسام المذنبات والشهب |
| ٣٠٨ | مجموعة من الشهب على فلك اهليلجى وهى مع فلك الأرض |
| ٣٠٩ | من مناظر الشهب والنيازك |
| ٣٢٢ | البروج الاثنى عشر ونجوم المجرة |
| ٣٢٤ | السديم اللولبى |

سيدر قريباً

مكتبات النجف الاشرف
ومختصر من تاريخها

بقلم
السيد أحمد الحسيني

Shahinshah

al-Hakim al-Shahinshahi

10

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 074328400